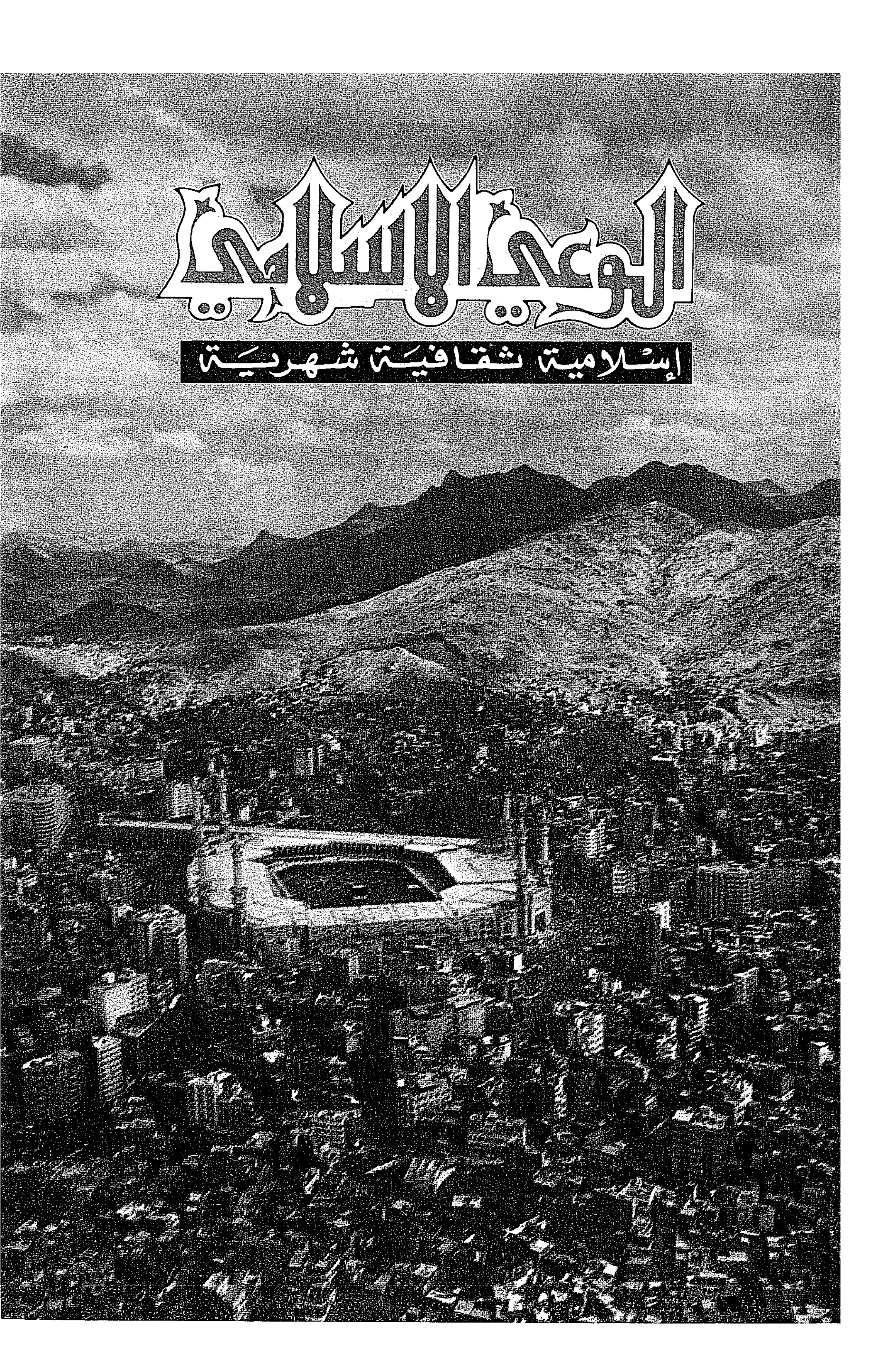


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٣ ● ذو العقدة ١٤٠١ هـ ● سبتمبر ١٩٨١ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرهـا

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة



صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

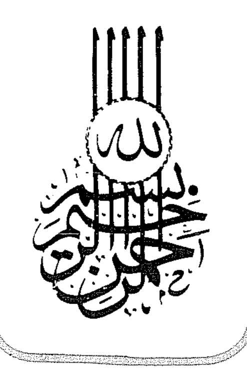
● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

الحجّ.. أشهر معلومات

كان الحج معروفا قبل الرسالة الخاتمة ، منذ أن أتم ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ بناء البيت الحرام تنفيذا لأمر الله تعالى ، فقد أمر الله ابراهيم أن يرفع قواعد البيت ، فرفعها هو وولده اسماعيل ولما فرغ من بناء البيت أمره الله أن ينادي في الناس بالحج ، وذلك قوله

تعالى : **(وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والـركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم) .**

وفرض الحج في الاسلام سنة ست من الهجرة بقوله تعالى : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)** وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان اللـه قد فرض عليكم الحج فحجوا) .. وقد وقت الله تعالى للحج أشهرا معلومـات هي : شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة ، تؤدى فيها أعمال الحج : من الطواف حول الكعبة ، والسعـي بـين الصفـا والمـروة ، والوقوف بعرفة ، وسائر المناسك ، ولا يصح أداء شيء من أعمال الحج في غيرها .. وعلى من قصد البيت الحرام للحج في هذه الأشهر أن يجتنب ما نهى الله عنه من الرفث وهو غشيان النساء والتقبيل ، وأن يعرض لهن بالفحش من القول .. ومـن فعـل المعاصي عامة ، وما نهى عنه المحرم في حال الاحرام خاصة من قتل الصيد وتقليم الأظافر وأخذ الشعر .. ومن المراء الذي يمارى الرجل به صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه .. وعليه أن يستجيب لفعل الخـير ، فيستعمـل مكان الرفث الكلام الحسن ، ومكان الفسوق البر والتقوى ، ومكان المراء الوفاق وحسـن العشرة والأخـلاق الجميلة .. وعليه أن يتزود لسفره واقامته وعودته بما يتبلغ به ويكف وجهه عن الناس ، ويتزود لآخرتـه بالتقوى فهي خير زاد قال تعالى :

(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) .

وقال رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم : (من حج فلم يرفث ولـم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدتـه أمه) .

والحج الذي لا يخالطه اثم ولا معصية ، ويقترن بالفضائل كاطعام الطعام ، وطيب الكلام والتزود من فعل الخيرات هو الحج المبرور الذي جعله الله من أفضل الأعمال . روى أبوهريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم جهاد في سبيل الله . قيـل : ثم ماذا ؟ قال : « حـج مبرور » .

وقد جعل الله الحج جهاد من لا يستطيع الجهاد في سبيل الله ، فقد ورد عن الحسن بن علي رضى الله عنهما أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليـه وسلـم يعتـذر من عدم استطاعته الجهـاد قائـلا : انـي

جبان . واني ضعيف . فقال النبي صلى الله عليه وسلم له : (هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج) .

والحج مفروض على التراخي . ولكن يستحب للمكلف المستطيع أن يعجل بأداء الحج لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (من أراد الحج فليعجل فانه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة) .

والاستطاعة تتحقق بالقدرة الصحية التي تمكنه من السفر والانتقال وأداء الأعمال ، والقدرة المالية التي تكفل له الزاد والراحلة زيادة عن حاجة من يعولهم أثناء غيابه ، وأمن الطريق بحيث يأمن الحاج على نفسه وماله . وعدم وجود مانع من الذهاب الى الحج كالحبس والاعتقال ، وبطش سلطان ظالم .

والمسلمون حين يفدون من مشارق الأرض ومغاربها لأداء الحج يتاح لهم أن يتذكروا أمورهم ويتدارسوا شؤونهم ، ويرسموا خطوط مستقبلهم .. وهم حين يشاهدون الأماكن المقدسة التي مشى فيها رسولهم صلى الله عليه وسلم . وعاش فيها الصحابة والتابعون ، وشهدت انتصارات الاسلام في أيامه الأولى تتيقظ مشاعرهم ، وتتجه نفوسهم للسير في الطريق نفسه الذي سلكه هؤلاء الأبطال الأطهار لرفع كلمة التوحيد ، واعزاز الحق فعزوا وسادوا .

والحج يعطي معنى واضحا للمساواة بين المسلمين أمام الخالق جل وعلا ، فهم يطوفون جميعا حول مكان واحد هو البيت الحرام ، ويسعون جميعا بين الصفا والمروة ويقفون جميعا على (عرفات) يدعون الله في صفاء ونقاء وخشوع لا فرق بين جنس وجنس ولا بين غني وفقير .

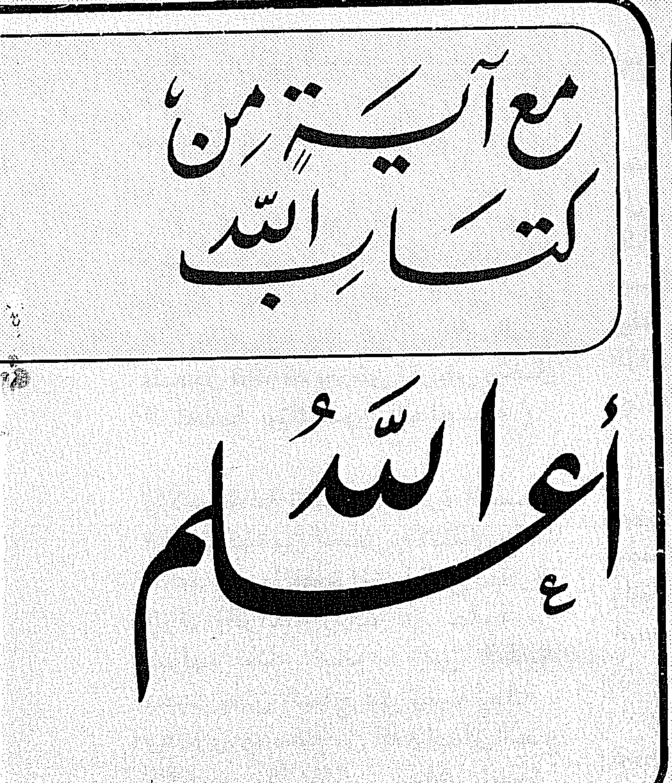
وهل نجد مظهرا لوحدة العقيدة أبهى من مظهر الحجاج وهم يجتمعون على الحب والاخاء في الله ، والتعاون على الخير والتناصر على الحق ؟؟

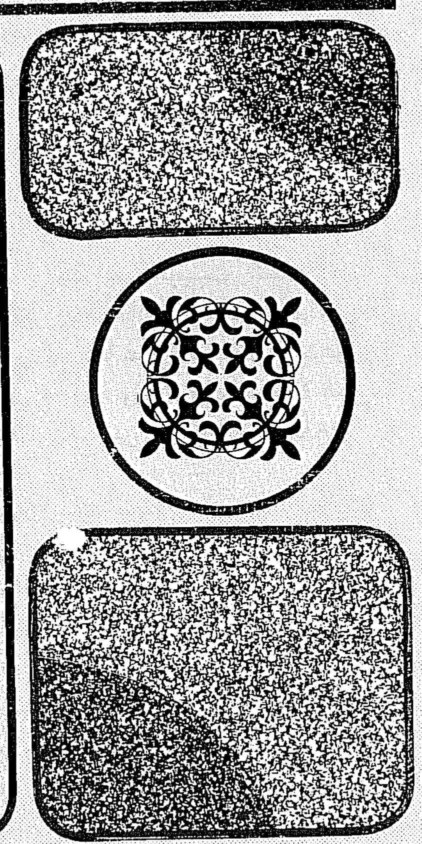
وهل نجد عملا يحقق لصاحبه ضمان الجنة ان مات وضمان الأجر والثواب ان عاد الى بلده كما نجد ذلك فيمن قصد البيت الحرام للنسك حاجا أو معتمرا ؟؟

روى ابن جبير باسناد حسن عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وان رده رده بأجر وغنيمة) .

رئيس التحرير

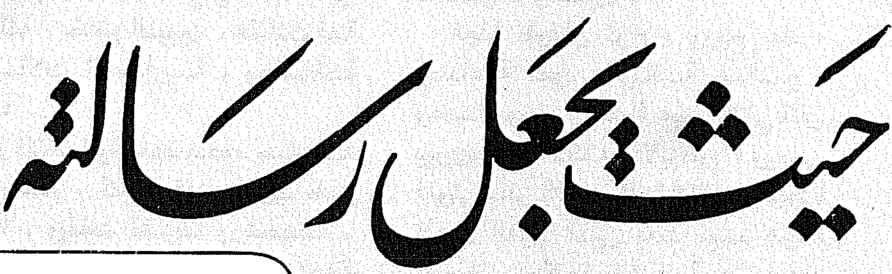
محمد الأباصيري





الرسول المصطفى :

جاء هذا القول الكريم من الله تعالى ، ردا مفحما ، مخزيا لأهل الضلال والعناد من مشركي قريش الذين أبوا أن يستجيبوا لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يصدقوا أنه رسول من عند الله ، فقالوا : (**لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله**) فأخزاهم الله تعالى بقوله : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) فليس هذا الأمر مما ينال بالتمني ، ولا بالمال والجاه والسلطان ، وانما ذلك الى الله تعالى وحده ، يصطفي به من يشاء من عباده : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس**) الحج/٧٥ .. وقد نازع المشركون النبي صلى الله عليه وسلم في أن يكون رسولا من الله تعالى اليهم ، وليس هو أكثرهم مالا ، ولا أعظمهم جاها وسلطانا ، فقال الله تعالى عنهم : (**واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا**) الفرقان/٤١ .. وقال سبحانه عنهم أيضا : (**ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به**



حيث يجعل رسالته

للأستاذ
عبد الكريم الخطيب

كافـرون . وقالـوا لولا نزل هذا القـرآن على رجـل من القريتـين عظيم) فرد الله عليهم بقوله : **(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنـا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضـا سخريـا ورحمة ربك خير مما يجمعـون)** الزخرف/ ٣٠ ـ ٣٢ .

والزمان المصطفى :

وكما اصطفى الله محمدا بن عبد الله ، اماما للمرسلين ، وخاتمـا للنبيين ، فانه سبحانه اصطفى زمان بعثته ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ ليكون أنسب الأزمان ، لاستقبال هذه الرسالة المباركة الخاتمة ، ولاخراج ما تحمل من ثمر طيب مبارك ، تغتذي منه القلوب والعقول ، وتحيا به الأرواح والنفوس .. فلا شك أن للزمن آثاره في حياة الناس ، حيث تنضج على أناته معادن الناس ، وتختبر به معادنهم ، فيكون لكل زمن من الناس ما يشبهه .

ومن هنا كانت رسالات الرسل ، قبل البعثة المحمدية ، محسوبة بحساب أقوامهم ، مقدرة بقدر

مبلغهم من النضج الانساني في مسيرة الزمن بالناس .

ومن هنا أيضا أخذت رسالات الأنبياء ابتداء من نوح ، الى موسى وعيسى ، تتدرج صعدا ، في تكاليفها ، وأوامرها ونواهيها ، حيث تأتي الرسالة اللاحقة باضافات جديدة ، لم تأت بها السابقة .

وهكذا حتى جاء دور الرسالة الاسلامية الخاتمة على يد محمد بن عبد الله ، خاتم النبيين ، فكانت قمة الرسالات السماوية ، وواسطة عقدها .

ان الانسانية لعهد محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت قد جاوزت طور الصبا ، وبلغت أشدها ورشدها ، وهي بهذا جديرة بأن تخاطب من جهة عقلها . لا من جهة حواسها .. وكانت الكلمة المعجزة المتحدية أنسب وسيلة لاقناعها ، واقامة الحجة عليها ، وذلك على خلاف ما كانت عليه الانسانية في مدارج طفولتها وصباها ، حيث كانت المعجزات المادية المحسة التي تشاهد بالعين ، هي التي توائم الناس في هذه الأطوار من حياتهم ، وتقيم الحجة عليهم . كما نرى ذلك في تعليم الصغار ، وما للمحسات من دور أساسي في نقل المعلومات اليهم . على خلاف الكبار الراشدين الذين يكون معتمدهم على العقل في تحصيل العلوم والمعارف .

رسالات الرسل قبل الاسلام :

وننظر في رسالات الرسل ــ عليهم السلام ــ قبل الرسالة الاسلامية ، فنجد أن المعجزات التي وضعها الله بين يدي رسله لتكون شهادة على صدقهم ، وأنهم مبعوثون من عند الله ــ نجد أن هذه المعجزات كانت أمورا مادية خارجة عن مقدور البشر ، خارقة لناموس الحياة المعهودة لهم ، وبها يقع الاعجاز القاهر . المفحم ، الباعث على الدهش ، والحيرة .

فهذا طوفان نوح ، وريح عاد ، وصاعقة ثمود ، وناقة صالح ، وعصا موسى ، وكلمة عيسى التي كان يبرىء بها الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى باذن الله ، كلها كانت مشهودة لأعين القوم الذين بعث فيهم هؤلاء الرسل ، وكلها خارجة عن حدود القدرة البشرية !!

فسفينة نوح ، معجزة مادية قاهرة ، صنعها بيده ، وشهد قومه صنعها ، وأعلمهم بالغاية التي صنعت من أجلها ، وهي أنها ستكون مركبا للمؤمنين ، ونجاة لهم من الطوفان الذي سيغرق كل من لم يؤمن به من قومه ! وأنه لو لم يجىء هذا الطوفان ، لما كان لسفينة نوح حديث في الناس ، ولا أثر في الحياة . ولكنها حين جاءت ساعة العسرة ، وأقبل الطوفان ، كانت أشبه بعصا موسى ، حين ضرب بها البحر ، فانفلق ، وأقام له طريقا له ولقومه ، طريقا يبسا ، ركبه هو وقومه فنجوا ، وركبه فرعون وجنوده ، فأطبق عليهم ، فكانوا من المغرقين .

ومعجزة هود ــ عليه السلام ــ

كانت ريحا صرصرا عاتية ، أنذر بها قومه ، ان لم يؤمنوا به ، كما يقول تعالى : (**فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا**) فكان جواب هود لهم : (**بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم. تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين**) الاحقاف/ ٢٤و٢٥ .

ومعجزة صالح – عليه السلام – كانت ناقة ، لا يظهر وجه المعجزة منها ، حتى تجىء الساعة الموقوتة لها لقد قال صالح لقومه بعد أن تحدوه أن يأتيهم بالوعيد الذي توعدهم به اذا لم يؤمنوا : (**ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب**) هود/ ٦٤ . ان كل ما هو مطلوب منهم أن يدعوا هذه الناقة وشأنها ، تأكل في أرض الله ، وألا يمسوها بسوء ، فان هم عرضوا لها بأذى أخذهم الله بالعذاب .

وازاء هذا التحدي لصالح ، وامعانا ، في تكذيبه ، عقروا الناقة ، ليروا ماذا سيحل بهم . فلما فعلوا بالناقة ما فعلوا ، قال لهم صالح : (**تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب**) هود/ ٦٥ ومع هذا ، فانهم لم يصدقوا هذا الوعيد ، ولم يؤمنوا خلال هذه الأيام الثلاثة ، ولو آمنوا لنجوا من هذا الهلاك الذي أنزله الله تعالى بهم : (**فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها . ولا يخاف عقباها**) الشمس/ ١٤و١٥ .

هذا ، ونلحظ في هذه المعجزات الثلاث – معجزة نوح ، وهود ، وصالح – أنها لم تكشف عن وجهها ، الا حين تطلع طلعتها المباغتة ، لتأتي على القوم الظالمين . انها تجارب في حقل الانسانية الأولى ، غايتها تنقية المجتمع الانساني ، من هذه الأشواك الخبيثة ، التي تنجم بين الحين والحين ، في أماكن وأزمان مختلفة في جسد المجتمع البشري . ولهذا كان من تدبير الحكيم الخبير أن يجتثها من أصولها ، بعد أن يقدم اليها الدواء على أيدي رسله ، فلا تتقبله ، ولا تستجيب له ، فلم يكن بعد هذا الا حسم الداء ، واقتلاعه من جذوره .

وتمضي الأيام والسنون ، ويجىء ابراهيم عليه السلام ، وقد قطعت الانسانية مرحلة طويلة نحو النضج والرشد ، فلا يكون ابراهيم هو الذي يأتي بالمعجزة متحديا ، وانما يصنع قومه بأيديهم مادة المعجزة ، فيوقدون له نارا ، ويؤججون ضرامها ، ثم يلقون بابراهيم فيها ، وهنا تخرج المعجزة من هذه النار التي أوقدوها بأيديهم ، وينظر القوم واذا نارهم هذه قد صارت بردا وسلاما على ابراهيم ، لم يمسسه منها سوء !

ولا تنتهي هذه المعجزة ، بما انتهت به المعجزات السابقة ، حيث كانت تقف على اطلال القوم الظالمين ، دون أن تترك منهم بقية ، كما يقول تعالى : (**فهل ترى لهم من باقية**) الحاقة/ ٨ . فقد ترك القوم وشأنهم .

ثم تجيء دعوة موسى وعيسى عليهم السلام ، وبين يدي كل دعوة منهما الكلمة التي تخاطب العقل ، والمعجزة المادية التي تجابه الحواس ، وذلك حين أشرفت الانسانية على دور المراهقة والتمييز من حياتها ، فكان بين يدي موسى التوراة ، وفيها شريعة الله وما تحمل من أحكام وآداب ، وفي يده عصاه التي يرسلها من يده فتكون حية تسعى ، أو يضرب بها البحر فينشق عن طريق يبس ، أو يضرب بها الحجر ، فيتفجر منه الماء . وكان بين يدي عيسى الانجيل ، وفيه الحكمة والموعظة ، وفي فمه كلماته التي يبرىء بها الأكمه والأبرص ، ويحيي بها الموتى باذن الله .

وانظر أثر الفارق الزمني بين موسى ، وعيسى — عليهما السلام — فتجد أن لهذا الفارق أثره في صورة المعجزات هنا ، وهناك .

فمعجزات موسى المادية ، تنطلق من عصاه ، مادة محسة ، مشهودة للناظرين . ومعجزات عيسى ، في نفخة من فمه ، أو كلمة تنطلق من بين شفتيه . تسمع ولا ترى !

هكذا يقضي منطق الزمن في سير ، وفي تنوع المعجزات التي يضعها الله تعالى بين أيدي رسله .

المعجزة الخالدة :

أما معجزة خاتم النبيين محمد — صلوات الله وسلامه عليه — فقد كانت في كلمات الله التي ضم عليها القرآن الكريم . فلم تكن لرسول الله معجزة محسة يراها الناس ، كما كان ذلك لرسل الله من قبله .

وكلمات الله في القرآن الكريم ، انما تخاطب العقل وحده ، فمن رشد ، ووعى ، وتدبر كلمات الله ، آمن بالله ، وصدق رسوله . ومن لم يؤمن ، لم يأخذه الله تعالى بالهلاك العاجل في الدنيا ، بل تركه يعيد النظر فيما يقرأ أو يسمع من كلمات الله ، الى آخر يوم من أيام حياته .

والحق أن المعجزة القرآنية ، تختلف اختلافا واضحا عن جميع ما سبقها من معجزات الأنبياء ، من حيث هي في شكلها ومضمونها ، ثم من حيث الصلة التي بينها وبين الرسول الذي جاء بها ، والصلة التي بينها وبين القوم الذين تعرض عليهم .

فأولا : المعجزات المادية المحسة التي جاء بها الرسل — قبل محمد صلوات الله عليه وسلامه — لا تعيش في الحياة ولا تصحب الناس الا لحظات عابرة ، ثم تختفي الى آخر الدهر .

وثانيا : ان هذه المعجزات المادية المحسة ، ليست حجة الا على الذين شهدوها ، ورأوا آثارها رأى العين . أما من لم يشهدها ، فلا حجة فيها عليه ، وما صدق أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، بسفينة نوح ، وريح عاد ، وناقة صالح ، وعصا موسى ، وكلمات عيسى ، الا لأن القرآن الكريم قد ذكرها ، وذكر آثارها .

وثالثا : أن تلك المعجزات المادية المحسة ، كان أغلبها تحت سلطان

الرسول ، يظهرها حيث يشاء ، بمعنى أنها لا يمكن أن تكون أو تقع ، الا اذا كان الرسول هو الذي يجليها ويكشف عن وجهها ، فاذا ذهب الرسول ، ذهبت المعجزة معه ..

وهذا خلاف المعجزة القرآنية ، المتحدية للناس جميعا ، في كل زمان ومكان ، الى يوم النفخ في الصور .. ان المعجزة القرآنية ذات وجود ذاتي ، مستقل عن الرسول المبلغ لهذا القرآن الذي نزله الله تعالى عليه ، فهي تواجه الناس باعجازها المتحدي ، بدون أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم ، مكان في هذا التحدي .

فحيث كان في الناس من يفهم العربية ، ويتعرف على مواطن البلاغة والروعة في الكلام ، فانه يستطيع أن يستدعي اليه المعجزة ، أو المعجزات التي تنطوي عليها كلمات الله ، وأن يشهدها حاضرة عتيدة في مجلى بصيرته ، كلما تلا آيات من كتاب الله أو استمع اليها .. وقد عرف مشركو العرب هذا الاعجاز للقرآن الكريم ، فآمن به من آمن ، وكفر من كفر عنادا واستكبارا ، كما يقول تعالى عن هؤلاء المكابرين المعاندين من مشركي العرب : (**قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) الأنعام/٣٣ وكما يقول سبحانه : (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**)النمل/١٤ .

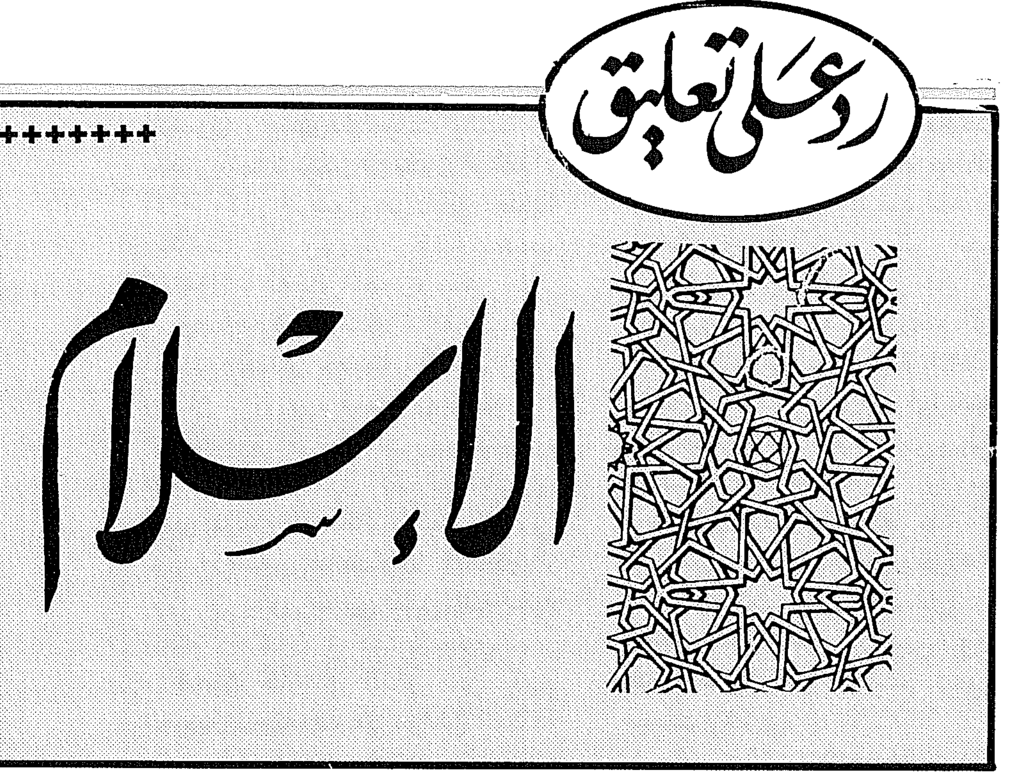
ثم انه إذا لم يكن هناك من لا يفهم العربية ، ولا يحسن تذوق بلاغتها ـ وهم كثير ـ فان ما جاء به القرآن الكريم من دعوة الى توحيد الله ، ومن عبادات ومعاملات ، ومن أحكام الأسرة ، ومن القصاص من أهل البغي والعدوان ـ اذا ترجم الى أية لغة ، فانه يرسم للحياة الانسانية دستورا خالدا معجزا ، اذا استقام عليه مجتمع من المجتمعات ، بلغ من العزة والسعادة ، والأمن والاستقرار ، ما يقيمه على هامة أرقى المجتمعات التي لا تقيم وجودها على هذا الدستور الالهي الذي : (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) فصلت/٤٢ .

وإذن فالزمن الذي اختاره الله تعالى لمطلع الرسالة الاسلامية الخاتمة لرسالات السماء ، هو أنسب الأزمان لالتقاء هذه الرسالة بالعقل الانساني ، الذي كان في ذلك الوقت قد بلغ درجة من الوعي لم تبلغها البشرية من قبل .

ولا يستهولنك في هذا المقام ، ما يقال عن حكماء اليونان والرومان وفلاسفتهم ، وما يقال عن فراعنة مصر ، وبابل وأشور ، وما بلغوا من علم ومعرفة ، فان ذلك لم يكن الا ومضات تلمع ثم لا تلبث أن تختفي ، ويخيم عليها الظلام !!

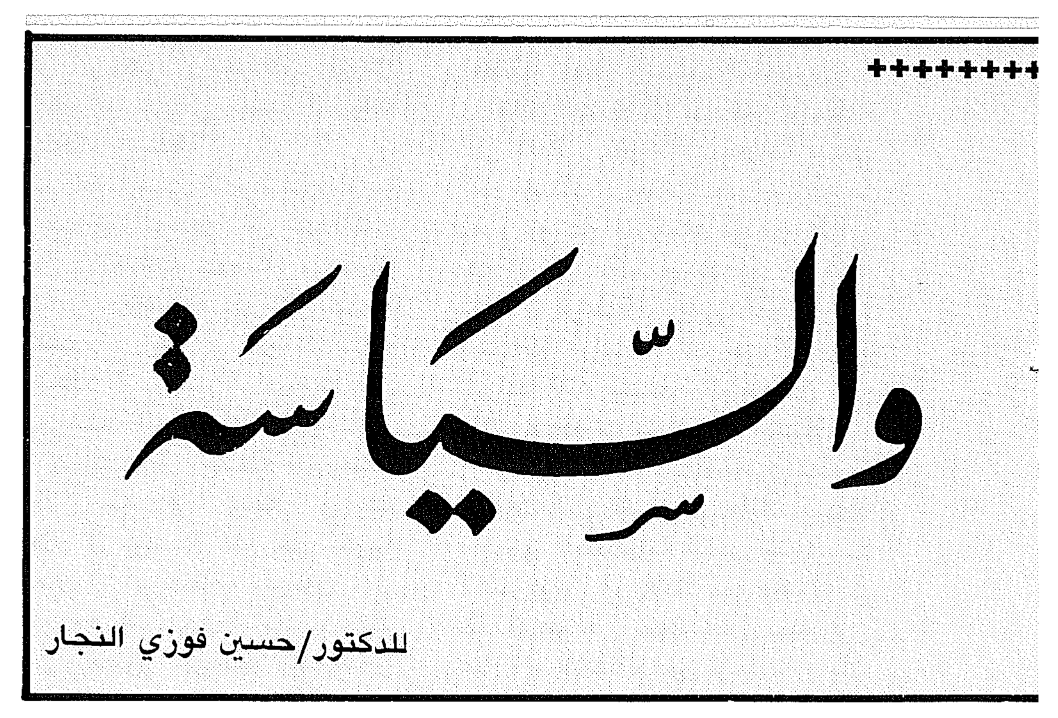
أما الرسالة الاسلامية فهي خالدة باقية لأنها رسالة الله إلى خلقه وقد تكفل جل شأنه بحفظها .

(**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**)



عـرض الاستـاذ عبدالسميـع المصري في العدد ١٩٩ من مجلة الوعي الاسلامـي كتابـي « الاسـلام والسياسة » فأحسن العرض ولولا هنات لفظية ما اخذت عليه شيئا في ادب الحوار ، ولعل أول ما آخذه عليه كلمة التخبط فان ادب الحوار العلمي لا يعرف مثل تلك الكلمات القاسية ، وان كنت ألتمس له العذر بعد أن غامت المعاني لديه فلم يع معنى الدولة في المصطلح العلمي الذي عرفه فقهاء السياسة والعلوم السياسية وما تعنيه الدولة الدينية أو « الثيلوجيـة » أو « البيثوقراطية » في هذا المصطلح ، وقد غاب عنه أن الدولة ظاهرة لاحقة على قيام المجتمع وليست سابقة عليه فاذا قامت فانها تقوم على غرار هذا المجتمع ومثالا له ، فاذا كان المجتمع إسلاميا كانت الدولـة إسلاميـة ، وفرق بين أن نقول دولة إسلامية أو أن نقول دولة دينية ، مما يفسر عبارة الاسلام : « دين ودولة » .

وقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بناء العقيدة ، وظل يدعو لها ثلاثة عشر عاما بمكة ، فلما قامت الجماعة الاسلامية بالمدينة كان عليه أن يسوس امورها ، وحفلت السور المدنية بكل ما يقوم عليه المجتمـع الاسلامي من شرائع تحكم سلوكه ومعاملاته وعلاقات أفراده بعضهم ببعض ، وكان يترك لهم من أمورهم ما هم أدرى به فيقول : « انتم أعلم بشؤون دنياكم » وقد نزل على رأي « الحباب بن المنذر » في موقعة بدر معلنا إلى صحبه أنه بشر مثلهم ، وان



الرأي شورى بينهم وهو غير ما يدين به الحاكم في الدولة الدينية أو « الدولة الثيوقراطية » حيث لا يبرم أمرا إلا وحيا من الله ، وحيث لا تعلو إرادة فوق إرادته ، كما كانت البابوية في حكمها للأمبراطورية الرومانية ، وكما كان من أمر البابا حين يمنح صكوك الغفران ويصدر قرارات الحرمان ضد مخالفيه .

وقبل أن أعرض لتلك المصطلحات الحديثة التي اتسم بها العلم الحديث ، سواء في ميدان السياسة أم الاجتماع أم الاقتصاد ، مما نجد بذوره في تعاليم الاسلام جليةواضحة بينة ، لولا أننا غفلنا عنها فلم نتبين ما بين الاسلام والعلم الحديث من وشائج تزيدنا إيمانا ويقينا بديننا العظيم .

قبل أن أعرض لذلك أحب أن أسأل الاستاذ عبدالسميع المصري ومن يجري جريه ، أيهما أوسع مدى وأبعد نطاقا : الدنيا أو الدولة ؟

فالدولة نظام قانوني تنشأ بنشأة الجماعة المنظمة ، وهي الجماعة التي يدرك فيها الفرد ذاته في غيره ، أي أنه يدرك مسؤوليته قبل الجماعة التي يعيش فيها وواجبه نحوها . وهو ما نراه فيما حدده الاسلام لقواعد المسؤولية والواجب ، كما فصلتها في كتابي . وبقيام هذه الجماعة المنظمة التي يدرك الفرد فيها ذاته في غيره ، تقوم الجماعة السياسية وتبدو حاجة هذه الجماعة السياسية إلى من يدير أمورها فتنشأ السلطة ، وتلتزم السلطة فيها بارادة

المجموع ، وهي إرادة تعلو على كل إرادة سواها ، وهي مصدر السيادة التي تحكم السلطة .

أما الدنيا فهي الحياة بأوسع ما تقوم عليه وما تحتويه ، بل إنها تتسع فتشمل الانسانية جمعاء ، وهي الناس جميعا بكل ألوانهم وأجناسهم ، وهي في دنيا الاسلام هذا العالم الاسلامي الواسع ما كان منه خاضعا للدولة الاسلامية أيام كانت هناك دولة اسلامية فسيحة ، وما كان منه بعيدا عنها ، ودنيا الاسلام في يومنا هذا هي دنيا المسلمين في أي منتجع يقيمون : في الفيلبين وفي الهند وفي امريكا ، حيث يحيون ويقيمون شريعتهم ويمارسون قواعد دينهم من عبادات ومعاملات وعلاقات في دول على غير دينهم .

فاذا قلنا الاسلام دين ودنيا ، فانما نعني شريعة تقيم للدنيا نظاما تتكامل فيه الحياة على أكمل ما تكون الحياة ، فاذا اكتمل للجماعة الاسلامية في أي منتجع قوامها السياسي ، بمعنى أنها هي الجماعة التي تسود ارضها ولها السلطان عليها أقامت الدولة ، ومادامت الدولة تقوم مثالا للمجتمع وعلى غراره فانها دولة اسلامية تقيم شريعة الاسلام وتحكم على أصولها .

ولعل ما يذهب إليه الذين يقولون بأن الاسلام « دين ودولة » لا يخرج عن هذا ولا يشذ عنه إذا ما كانت الدولة تعني الدنيا وتعني الحياة التي يعيشها الناس . ولعل هذا هو ما يذهب إليه القائلون بذلك ، والا اختلف المعنى واختلف المضمون .

فاذا قلنا الاسلام « دين ودولة » فان المعنى يندرج إلى غير ما يذهب إليه المسلمون بهذا التعبير ، وهو ما يغيم على غير المسلمين فيذهب الرأي بهم إلى أن المسلمين يدعون إلى قيام دولة ثيوقراطية ، وهي الدولة التي تعلو فيها إرادة الحاكم على كل إرادة سواها لأنه يستمد سلطانه من الله مباشرة وهو ما يتنزه عنه الاسلام .

ولعل الاستاذ عبدالسميع المصري في غيرته التي لمستها في تعليقه ، يدرك دعوى العلمانية التي يثيرها الشيوعيون في بلادنا وما يكنونه في ضمائرهم من خبث حين يصورون عبارة « الاسلام دين ودولة » بأن المسلمين يدعون إلى إقامة دولة دينية أو « ثيوقراطية » وهم يعرفون تماما أن الاسلام لم يعرف الدولة الثيوقراطية ، فما كان الحاكم في الاسلام خليفة أو ملكا أو سلطانا أو أميرا إلا حاميا للشريعة مقيما لقواعد الدين ، وليس له حق تأويله أو تفسيره ، فهذا موكول إلى اجتهاد الفقهاء وفي اجتهادهم يلتزمون بقواعد لا يحيدون عنها ، هي كما نعرف جميعا القرآن والسنة والقياس والمصالح المرسلة ، وليس منهم ولا من الحكام من يتلقى الوحي من الله أو يحكم بامرته فقد انقطع الوحي بختام الرسالات وبانتقال محمد « صلى الله عليه وسلم » إلى الرفيق الأعلى .

وإذا كانت أوروبا قد عرفت الدولة الثيوقراطية تحت سلطان البابوية فان

المسلمين لم يعرفوا تلك الدولة ولم تمر بهم في تاريخهم ، وإذا كانت الحركة العلمانية قد عرفها الفكر الأوروبي : حين فصل بين الدين والعلم ، وحين أنكر سلطان البابوية ورجال الأكليروس ، فان الاسلام لم يعرف هذا الفصل بين الدين والعلم ، ولم يقف الاسلام في يوم ما أمام حرية الفكر ولم ينكر العلم ، فأكثر الناس خشية لله هم العلماء ، ذلك إنهم يدركون من أسراره وسننه ما يزيدهم إيمانا على إيمان ، ولم يعرف الاسلام حاكما يدعى لنفسه سلطة إلهية .

فاذا كان الشيوعيون يتخذون من عبارة « الاسلام دين ودولة » وسيلة للتهجم على الاسلام ، وأن الدولة فيه تقوم على أساس « ثيلوجي » ينكر العلم ويقف دونه ، فلأنهم يبغون هدم الاسلام والنيل منه ، فينادون بالعلمانية مادام الاسلام كالمسيحية ينكر العلم وهو حقيقة مقررة .

ويؤسفني أن أقول ان « العلمانية » لفظ أبهم معناه الخفي على كثير من المسلمين حتى أنكروه على غير دليل أو منطق ، والدليل بين والمنطق سليم ، فان الاسلام لم يفصل أبدا بين الدين والعلم ، وعاش العلم في رحاب الاسلام مزدهرا حتى عدت العوادي على المسلمين فتخلفوا وجهلوا حقائق دينهم ، وإنه قد شمل الدنيا جميعا ما يدخل في خصائص الدولة وما هو بعيد عنها لا دخل لها فيه ، مما تحكمه قيم الدين وأخلاقياته .

ولعل أكثر ما كان يعني الشيوعيين في مصر يوم كان سلطانهم عليها غالبا خلال الستينات ، أنهم كانوا يرمون إلى حذف كلمة إسلامية من وصف الدولة المصرية .

كان هذا هو السبب في أن أتصدى لهم بكتابي « الاسلام والسياسة » يدور في فحواه على أن الاسلام لا يعرف الدولة الدينية ، وإنه إذا لم يأت بشكل معين للدولة فانه قد وضع المبادىء العامة التي يقوم عليها دستور مقنن لحكم إسلامي ، والخلافة في الاسلام ليست غير شكل من أشكال الحكم ، يقوم على المبادىء التي قررها الاسلام ، وأولها مبدأ الشورى وهو المقابل للديمقراطية الحديثة ، فاذا التوت الخلافة عن هذه القاعدة فقد فقدت القاعدة التي قررها الاسلام للحكم ، واي حكم يقوم على الشورى والأخذ بشريعة الاسلام جمهوريا أو ملكيا أو أي شكل آخر فهو حكم اسلامي ، وإذا كانت الخلاقة إطارا لوحدة العالم الاسلامي ففي أنظمة الدول الحديثة ما يحقق هذه الوحدة تحت أي اسم ، فالجوهر هو الذي يعنينا وليس الشكل . ولم تكن الخلاقة مما نصت عليه الشريعة وليست أصلاً من أصول الاسلام .

وارجو ألا يضنى الاستاذ المصري بما سماه « التكرار والاطالة إلى حد الاملال لتأييد رأي — كما ذكرنا — المؤلف نفسه في شك من صحته » .

هدانا الله جميعا إلى طريق السداد إلا أن أقول كلمة الاسلام في دنيانا هذه الواسعة .

التطبيع الاجتماعي الاسلامي

للدكتور زيدان عبد الباقي

يولد الطفل وعقله عبارة عن صفحة بيضاء ، ويتولى المجتمع من خلال الأسرة تطبيع هذا الطفل اجتماعيا بنقش القيم الاجتماعية والمبادىء والمعايير والعادات والأعراف والتقاليد وما الى ذلك من محددات السلوك على عقله ، فيتحول من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي يدرك حقوقه ويتمسك بها ، كما يدرك واجباته ويقوم بها .

وفي هذا يقول الامام الغزالي « الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه » وقول الغزالي هذا يتفق مع أحدث نظريات علم التربية ، ذلك أن الطفل البشري يولد وهو في حالة من العجز الشديد بحيث اذا ترك وشأنه هلك . ومن أجل ذلك كانت رحمة الله بالأطفال ماثلة في عاطفة الأمومة وعاطفة الأبوة ، حيث يتولى الأبوان رعاية أطفالهما الى حد تفضيلهما على نفسيهما . ففي فترة الطفولة المبكرة يتعرض الوليد من أمه لعدد كبير من خبرات البذل والعطاء ولعدد كبير من خبرات الحرمات . واذا كانت خبرات البذل والعطاء مثل الارضاع وتغيير الملابس المبتلة ومختلف أنواع الرعاية الأخرى ضرورية لحياة الطفل ، فان خبرات الحرمان أكثر ضرورة لحياته الاجتماعية ، حيث تغيب الأم عن طفلها اما لانجاز بعض الأعمال المنزلية أو للخروج للعمل أو للتزاور ، وبالتالي - لا سيما وأن الطفل لا يمارس في الشهور الأولى من عمره وظيفتي التذكر والتوقع - فانه يتصور أنه فقد - بغياب أمه - حياته كلها ، حيث ينخرط في البكاء الشديد بكل كيانه .

وتساعد خصائص الطفل ومن أهمها خاصيتا « المطاوعة » و « الاندماج » في ظل ظروف حالتي البذل والحرمان علي تنمية وسائل

التعبير والطلب لدى الطفل ، بمعنى أن خاصية المطاوعة تسمح له بتشكيل سلوكه بأشكال متنوعة تتناسب مع أشكال السلوك السائدة في المجتمع ، فالعجز الشديد لدى هذا الوليد يحتم عليه قبول كل ما يلقي اليه من الكبار من مساعدات وتوجيهات تربوية والا هلك .. وتبدو خاصية المطاوعة واضحة في علاقة سيدنا اسماعيل عليه السلام جد العرب بأبيه الخليل ابراهيم عليه السلام من خلال قوله تعالى : (**فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين**) الصافات /١٠٢ ومن ناحية اخرى فان هذا العجز الشديد يعرضه في طفولته المبكرة لخبرات الحرمان التى لا يستطيع التغلب عليها بنفسه ، ومن ثم تبدأ في الشعور بحدود شخصيته ، بأنه كائن له حدوده . ومن هنا توضع البذرة الأولى لاستقلال شخصيته واحساسه بفرديته . وبذلك تساعد خبرات البذل والحرمان التى تقدمها الأم لوليدها على وضع الأساس النفسي والاجتماعي لشخصية الطفل التى ستتبلور فيما بعد .

الطابع الفردي والاجتماعي للوليد :

وهكذا فانه عن طريق خبرات البذل والحرمان التى توفرها الأم لوليدها تتجه به من التمركز حول الذات وتلك مرحلة يمر بها الطفل في نموه وارتقائه النفسي . ومن مميزاتها أن الطفل يكون عاجزا تماما عن أن يرى وجهة نظر الآخرين في أي مشكلة هو بصددها ، ولكنه مدرك فقط لوجهة نظره هو . ومن مظاهر التمركز حول الذات ايضا الأنانية الشديدة عند الأطفال في هذه المرحلة ، فاذا كان الطفل يحب شيئا فهو يريد أن يحصل عليه بأي شكل ، بصرف النظر عن فائدتها أو عدم فائدتها بالنسبة له ، وبصرف النظر عن مقدرة الأبوين على شرائها أو عدم المقدرة .. فالطفل هنا متمركز في قدراته المختلفة ، وفيما ينبع من ذاته ولم ينطبع بعد في البيئة المحيطة به .. نقول تتجه خبرات الحرمان من التمركز حول الذات الى الشخصية ذات الطابع الاجتماعي المطلوب للمجتمع ، حيث تتولى الأم تدريبه على مقاطع الكلمات ثم على الكلمات والعبارات ، ثم تشرع في تلقينه مباديء دينه ومختلف سننه الاجتماعية مثل العادات والأعراف والتقاليد وسائر القيم والمباديء القويمة .. الخ . وهذا يؤكد الأساس العلمي لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام « كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه البيهقي والطبراني ، واذا كان الحديث النبوي يجمع بين دور الأب والأم في تهويد أو تنصير أو تمجيس الوليد ، فان الدور البارز في هذا للأم أكثر من الأب ، فهي التى تهدهده وتمسح عنه بيدها الحانية .

غير أن دور الأب يتفوق على دور

الأم في تربية الأبناء بعد السنوات الثلاث الأولى من عمر كل منهم ، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » الترمذي والحاكم ، وقال أيضا « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » رواه الترمذي ، ذلك ان الأبناء - بنين وبنات - هم ثمرة القلوب وأفلاذ الأكباد ، وأمانة جليلة في أعناق الآباء ، تتمثل في حسن الرعاية ودقة التربية واستقامة التنشئة الاجتماعية . ومن ثم فان الاسلام يلزم الآباء بتوفير التربية السليمة للأبناء بقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**) التحريم/٦ ، والولد من الأهل ، والوقاية من النار تكون بالهداية الى مواطن الخير والابعاد عن مزالق الشر ، وانما يتحقق ذلك بحسن التربية .

ومن الواجب على الوالد أن يحرص اولا وقبل كل شيء على غرس بذور الأخلاق الفاضلة في نفس الولد أو البنت وتعويدهما العادات الكريمة والأعراف القويمة والتقاليد المألوفة وتجنيبهما الترف والنعيم ، وابعادهما عن قرناء السوء . وفي هذا يقول الغزالي عن تربية الوالد لولده وصيانته « بأن يؤدبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ، ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ، فيهلك هلاك الأبد ، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره » .

ومن خبرات البذل والحرمان التى يقدمها الوالد والوالدة معا اشعار الأبناء بتمييز بعضهم على بعض مما يربي الغرور في نفس من يقدمانه على غيره ، ويربي الغيظ والحقد في نفس من يحرمانه أو يؤخرانه . فقد حاول بعض المسلمين أن يشهد الرسول الكريم على أنه اختص أحد أبنائه بشيء فرفض الرسول صلوات الله وسلامه عليه وقال « أشهد غيري ، فاني لا أشهد على جور » متفق عليه ، ونصحه النبي بأن يسوى بينهم حتى يكونوا متساوين في برهم له . بقوله « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » متفق عليه .

المعلم الأول للوليد :

واذا كان علم النفس التربوي وعلم الاجتماع التربوي يؤكدان أن الأم تتولى محادثة وليدها منذ لحظة ميلاده ، وان كان الحديث من طرف واحد ، فان عاطفة الأمومة تجعل في مقدور الأم - وحدها - أن تترجم تقلصات كل جارحة من جوارح وليدها ، ثم تستجيب لتلك التقلصات بتوفير ما عبرت عنه من احتياجات لهذا الوليد .. وهذا الفهم لدى الأم يعتمد على عملية مماثلة بين الأم ووليدها ، بمعنى أنه اذا كان الطفل عمره كذا ساعة أو يوم أو شهر ويصرخ ويتلوى بشكل معين ، مع أنه في حالة شبع فلابد أن يكون عنده مغص مثلا . والمقارنة بين الأم والوليد تعتمد على عملية الاسقاط Projection وتلك العملية تشبه ماكينة السينما التى تلقي شعاعا

منعكسا على الشاشة الموجودة في الاتجاه المقابل فتظهر الصورة . ولذلك فالأم تعرف أنها تتلوى وتتقلب في حالة المغص ، وما دام الطفل يتلوى ويتقلب فقد يكون عنده مغص ، أي أن الأم تسقط على الطفل بعض حالاتها النفسية ، مع أن حالتها هذه قد تكون غير موجودة تماما لدى الطفل .. وخاصية المطاوعة لدى الوليد تساعده على اكتساب كل خبرة تقدمها الأم ، بمعن أنه يبدأ في التعليم منذ لحظة ميلاده . وهذا ما عبر عنه حديث الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله « طلب العلم فريضة على كل مسلم » البيهقي ، ولذلك فان الأب والأم مطالبان بواسطة علماء الاجتماع التربوي بانتهاز فرصة الطفولة المبكرة عند الأبناء لكي يغرسا في نفوس أبنائهم المباديء الطيبة والأخلاق الكريمة وتزويدهم بالمعلومات النافعة .

ومن المعروف أن الطفل يغلب عليه الحياء في أول أمره . واذا زاد هذا الحياء عن حده انقلب الى ضده ، أي يصير ضعفا . وبالتالي فانه من الميسور استغلال هذا الحياء عند الطفل واستثماره تربويا بصورة تجعل منه شخصية متميزة بالاتزان الانفعالي . وفي هذا يقول الامام الغزالي « فانه اذا كان - أى الطفل - يحتشم ويستحيى ويترك بعض الأفعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه ، حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض ، فصار يستحي من شيء دون شيء . وهذه هداية من الله تعالى ، وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب ، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ ، فالصبي المستحى لا ينبغي أن يهمل ، بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه » وهكذا نجد للأم دورا في تربية الأبناء يتقدم على مختلف أدوار بقية أفراد الأسرة ، وان كان دور الأب قد يتفوق على دورها في المراحل التالية من عمر الأبناء .

المنهاج الدراسي الاسلامي :

يتكامل المنهاج الدراسي الاسلامي بحيث يشمل كل خصائص مناهج التربية الحديثة ، وبحيث يتناول كل ما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية الكاملة ، ويقضي المنهاج الدراسي الاسلامي الذي ينقسم الى جانبين أحدهما دراسي والآخر تربوي بما يلي :

أولا : الجانب الدراسي :

يتكون الجانب الدراسي من المنهاج الدراسي الاسلامي من خمس مراحل هي :

١ - في مرحلة الحضانة ورياض الأطفال :

ففي هذه المرحلة نرى المربين المسلمين الأوائل أمثال ابن سينا الذي يشير بأن يبدأ البرنامج اليومي لأطفال الحضانة ورياض الأطفال بالاستحمام ، ثم باللعب الحر حينا من الزمن ، ثم تناول وجبة خفيفة من الطعام ، ثم اللعب المنظم تحت اشراف المدربين الرياضيين والاخصائيين الاجتماعيين ، ثم تناول الغذاء .. الخ وهذه المرحلة في التعليم

الاسلامي تبدأ منذ عهد الرضاع ، حيث يطالب الاسلام المسلمين باختيار المرضعة الصالحة والمربية الصالحة .. ويشترط الامام الغزالي في المرضعة أن تكون متدينة وتأكل من حلال حتى تؤثر في الوليد تأثيرا صالحا ، لأن هذا في نظره يتفق مع قول الرسول عليه الصلاة والسلام « كل جسد نبت من حرام ، فالنار أولى به » الطبراني وابو نعيم .

وهذه المرحلة في التعليم الاسلامي تبدأ منذ لحظة ميلاد الطفل تطبيقا لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام بأن « طلب العلم فريضة على كل مسلم » البيهقي وكذلك فان الأب والأم مطالبان بواسطة علماء الاجتماع التربوي بانتهاز فرصة الطفولة عند الأبناء لكي يغرسا في أبنائهما المباديء الطيبة ، والاخلاق الكريمة والمعلومات القويمة .

٢ ـ في المرحلة الابتدائية :

والتى فيها ينبغي أن يقوم المعلم او المؤدب بالاشراف على تربية الطفل ، مع التدرج في الزامه بالكتاب وبالعلم ، من التقليل من فترات اللعب بالتدريج ، مع زيادة فترات الدراسة . وهذه المرحلة من أهم المراحل الدراسية في حياة الأطفال التعليمية ، على اعتبار أن مزايا التعليم فيها كما أشار اليها خبراء التعليم الاسلامي متعددة مثل قولهم :

ـ من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا .

ـ وقولهم أيضا : التعلم في الصغر كالنقش على الحجر .

ـ وكذلك قولهم أطيع الطين ما كان رطبا ، وأعصر العود ما كان لدنا .

كما يطالب حجة الاسلام الغزالي بالزام الطفل بالقيام بالفروض الدينية اذا بلغ سن التمييز والتكليف والرسول يقول مثلا في شأن الصلاة بالنسبة للبنين والبنات « مروا اولادكم بالصلاة وهم أبناء لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر » احمد وابو داود والحاكم ، والقدوة العملية في مجال التربية انفع درسا وأقوى تأثيرا .

٣ ـ في المرحلة الاعدادية :

وهي مرحلة اكتشاف القدرات والاستعدادات العلمية والمهنية لدى الأطفال . ولذلك فمن الضروري استخدام أساليب التوجيه التربوي في توجيه كل منهم الى ما يتفق مع قدراته واستعداداته من جانب ومع حاجات المجتمع وامكاناته من جانب آخر . وفي هذا يقول أبو يحيى الأنصاري « ان كل صبي يجب عليه أن يعرف طرفا من العلوم الضرورية في الحياة ـ أي المعارف العامة ـ ثم يتجه بعد ذلك الى العلم ـ أي العلم الذي يتفق مع قدراته العقلية العليا ـ أو المهنة التى يهواها طبقا لاستعداداته المهنية ، اذ ليس كل أحد يصلح لتعلم العلوم ، فاذا اتجه الى العلم فليقصد العلم الذي يقبله طبعه ـ أي ميوله ـ فما كل ما يصلح لتعلم العلوم ، يصلح لجميعها » .

هذا ومن الضروري ألا تنتهي هذه المرحلة الا بانتهاء عملية التوجيه

التربوي حتى يعرف كل تلميذ خطه المهني أو العلمي . وقد ذهب الأصفهاني الى هذا الرأي - كما يرى ابن سينا - من « أنه ليست كل صناعة (مهنة) يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، ولكن ينبغي له أن يزاول ما شاكل طبعه وناسبه » ولقد روى أن يونس بن حبيب كان يتردد على الخليل بن أحمد الفراهيدي ليتعلم منه العروض والشعر ، فصعب ذلك عليه ، فقال له الخليل يوما .. « من أي بحر قول الشاعر :

اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع ؟

ولما عجز يونس بن حبيب عن الاجابة طالبه الخليل بن احمد بتنفيذ الشطرة الثانية من قول الشاعر محل السؤال .

وكان الامام البخاري يحاول في أول أمره تعلم الفقه والتبحر فيه ، فقال له محمد بن الحسن : « اذهب واشتغل بعلم الحديث » عندما رآه مناسبا لقدراته وأليق به وأقرب اليه . وقد اطاع البخاري ومن ثم صار على رأس أهل الحديث ، بل وامامهم .

٤ - في المرحلة الثانوية :

وهي طبقا لرأي أبي يحيى الانصاري تنقسم الى نوعين :

أ - الثانوي الفني بمختلف انواعه الزراعية والتجارية والصناعية ، وهو التعليم الذي يؤهل الدارسين للمهن الضرورية للمجتمع .

ب - الثانوي العام بمختلف اتجاهاته الأدبية والعلمية والرياضية ، وهو التعليم الذي يؤهل الدارسين للمرحلة الجامعية وما بعدها .

وهذه المرحلة ينبغي أن تنتهي قبل بلوغ الدارسين سن العشرين من اعمارهم حتى يتشبعوا بالمهارات المهنية المطلوبة لمهنة كل منهم من جانب ، او أن يتشبعوا بالأسس العلمية الأدبية أو العلمية أو الرياضية من جانب آخر . وفي هذا يقول علماء التربية الاسلامية « بادروا بتعليم الأطفال قبل تراكم الأشغال ، وانه وان كان الكبير أوقد عقلا ، فانه أشغل قلبا » ويقول الشاعر في هذا أيضا :

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا
فمطلبها كهلا عليه شديد

وفي هذه المرحلة ينتهي تعليم ٧٥٪ من أبناء الشعب ، ويملك ٢٥٪ منهم القدرات التى تمكنهم من مواصلة التعليم في المرحلة التالية وما بعدها .

٥ - المرحلة الجامعية :

وهي المرحلة التى يتاح فيها تخريج الاخصائيين في مختلف التخصصات بحيث تغطي أعدادهم حاجات المجتمع من المتخصصين ذوى المستويات الدقيقة .

تلك هي أجزاء الجانب الدراسي في المنهاج الدراسي الاسلامي ، وهو الجانب الذي يقدم داخل الفصول ، اما الجانب التربوي الذي يقدم داخل الفصول وخارجها فهو كما يلي :

: الجانب التربوي :

وهذا الجانب يتكون من خمس مراحل هي :

١ - التربية الاجتماعية الاسلامية :

وهذا النوع من التربية تضع الأم الأساس الأول له ، ثم يستكمله مع الأم ، الأب والمعلم والقريب والجار والصديق والزميل . وعلى الكبار داخل الأسرة أن يعودوا صغيرهم على آداب المائدة لضرورتها بالنسبة له . وفي هذا يقول حجة الاسلام الغزالي « وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام ، فينبغي أن يؤدب فيه ، مثل : ألا يأخذ الطعام الا بيمينه ، وأن يقول عليه : بسم الله عند أخذه ، وأن يأكل مما يليه ، وألا يبادر الى الطعام قبل غيره ، وألا يحدق النظر اليه ، ولا الى من يأكل ، وأن يجيد المضغ ، وأن لا يوالي بين اللقم ، ولا يلطخ يديه أو ثوبه ، وأن يعود الخبز القفار في بعض الأوقات ، حتى لا يصير بحيث يرى الأدم دائما وحتما ، ويقبح عنده كثرة الأكل ، بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم ، وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ، ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل ، وأن يحبب اليه الايثار بالطعام ، وقلة المبالاة به ، والقناعة بالطعام الخشن ، أي طعام كان »

وكل تلك الأمور ينبغي أن يلتفت اليها الوالدان في تربية الأبناء وتعليمهم آداب المائدة وأساليب تناول الطعام وكيفية الجلوس على المائدة ، حتى لا يضيق بهم من يشاركونهم الطعام والجلوس على المائدة . وبجوار ذلك يقول الغزالي أيضا « وينبغي ان يعود .. الا يضع رجلا على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده ، فان ذلك دليل الكسل ، ويعلم كيفية الجلوس ، ويمنع كثرة الكلام ، وانه فعل أبناء اللئام » وأن يعود أيضا الاحسان الى الغير ، على أن يكون ذلك بمقدار حتى لا يخرج به الى رذيلة التفاخر على الغير ، وفي ذلك يقول حجة الاسلام الغزالي « ويمنع من أن يفتخر على أترابه بشيء مما يملكه والداه ، أو بشيء من مطامعه وملابسه ، أو لوحه وأدواته ، بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم » .. واذا عجز الوالدان عن ذلك ، أو اذا كان الطفل قد فقد أحدهما أو كليهما ، فعلى المدرس والمربي والأخصائي الاجتماعي أن يبصر الطفل ويعلمه آداب المائدة باعتبارها من أهم العادات الاجتماعية .

واذا كان من الخير في مجال التربية الاجتماعية ان نعود الطفل الشعور بمشاعر الآخرين والتجاوب معهم في عواطفهم ومشاركتهم وجدانيا فيما يمر بهم ، فانه من الخير في مجال الصحة النفسية أن نجنب الطفل حد العواطف المثيرة حتى لا تستبد به وتضله عن الطريق السوي .. ولذلك نجد الفيلسوف الاسلامي الذائع الصيت ابن سينا يقول في كتابه « القانون » انه « يجب علينا أن نجنب الطفل الغضب الشديد والخوف الشديد والحزن والسهر ، وأن نقدم اليه ما يحتاجه ليعتدل مزاجه ، فتعتدل أخلاقه ، لأن الأخلاق الحسنة تابعة لصفاء المزاج » .

وهكذا نجد التربية الاجتماعية الاسلامية تتناول التربية بجانبيها الاجتماعي والنفسي وكذلك الصحية النفسية ، وتلك هي الصورة التكاملية للتربية .

٢ ـ التربية الصحية :

وعلى الوالدين أيضا تجنيب أطفالهما العادات المرذولة التى قد تؤثر على صحتهم وعلى الصحة العامة . وفي هذا يقول حجة الاسلام الغزالي « وينبغي أن يعود ألا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ولا يستدبر غيره .. الخ » ومعنى ذلك أن الامام الغزالي يطالب الجميع بتعليم الأطفال عادة البصق والتمخط والعطس في المنديل وليس على الأرض في الشارع أو المنزل أو في الفصل الدراسي أو في مكان العمل .. وكذلك اذا تثاءب فانه ينبغي أن يضع كفه مقلوبا على فمه حتى لا يرى الناس فمه مفتوحا وبه آثار التدخين وآثار تناول القهوة والشاي بصورة قد تكون مقززة .. وأيضا ألا يسير وراء الآخرين أو يلتصق بظهورهم أينما جلسوا وحيثما ساروا .. الخ ..

٣ ـ التربية الرياضية :

والتربية الرياضية او البدنية لها أهميتها في مجال منهاج التربية الاسلامية المتكامل ، على اعتبار أن العقل السليم في الجسم السليم . وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « ان لبدنك عليك حقا » وكذلك يقول الامام الغزالي « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » ومن الألعاب الأساسية لعبة « الرمي » وهي لعبة تؤدي الى زيادة القوة البدنية تأكيدا للحديث الذي يقول « ألا ان القوة الرمي » مسلم .

ويحدد الامام الغزالي مواعيد ممارسة الأنشطة الرياضية بقوله « وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف عن الكتاب ـ أي للطفل فيما بين الحصص الدراسية او فيما بين المواعيد المحددة للاستذكار في المنزل ـ أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعليم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا » واللعب الجميل الذي يشير اليه الغزالي هنا ليس هو لعب الكرة في الشارع او بقية مختلف الألعاب التى تمارس في الشارع داخل الأحياء السكنية أيا كان نوعها ، وانما اللعب الجميل هو اللعب المنظم داخل ملاعب المدارس والمعاهد والكليات الجامعية والأندية الرياضية تحت اشراف المتخرجين في مختلف أقسام المعاهد العالية للتربية الرياضية . وهذا اللعب من وجهة نظر الغزالي ضرورة علمية وعقلية واجتماعية ونفسية تجدد ذهن الطفل أو الغلام أو الشاب الصغير حتى يعود الى دراسته أو عمله وهو أكثر اشتياقا اليه وقواه متجددة حتى لا يسأمه ويفر منه وممن يفرضونه عليه بمختلف الحيل النفسية المعروفة .

٤ ـ التربية القومية :

تقوم التربية القومية الاسلامية

على أساس تعريف الدارسين حقوقهم وواجباتهم من خلال القيم الاجتماعية المستمدة من الدين والأخلاق ، وكذلك تعريفهم بوطنهم من خلال الوثائق القومية التى تنظم العلاقات والمعاملات في المجتمع مثل الدستور ..

وليس على أساس الاشادة الى حد التأليه ببعض الملوك أو الرؤساء أو الأمراء في المجتمع . ذلك أن التربية القومية الاسلامية تقضي بأن يغرس في نفس الطفل منذ أول الطريق معنى العزة وعدم الرضا باذلال الناس . وفي هذا يقول الامام الغزالي « ويمنع أن يأخذ من الصبيان شيئاً بذلة ، ان كان من المحتشمين ، بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في الأخذ ، وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة ، وان كان من أولاد الفقراء فيعلم ان الطمع والأخذ مهانة ومذلة ، وأن ذلك من دأب الكلب ، فانه يبصبص في انتظار لقمة والطمع فيها » تلك هي التربية الاسلامية التى تعتمد على المشاركات الوجدانية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية التى تستند الى الآية القرآنية (**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**) أي التربية التى تجعل من الانسان وحدة اجتماعية متفاعلة بصورة ايجابية مع بقية افراد المجتمع ، ولا تجعل منه مجرد عابد ذليل في محراب الملك أو الرئيس أو الأمير .

٥ ـ التربية الدينية :

وهذه التربية أساسها الدين والايمان بالله والخوف منه والارتباط بحماه ، وذلك بتعليمه القرآن الكريم والحديث والفقه والسيرة وقصص الأخيار . وهنا يطالب حجة الاسلام الغزالي « بتجنيب الصبي أشعار الهوى والغرام والأدب المفسد ، كما يطالب بالزامه بالقيام بالفروض الدينية اذا بلغ سن التمييز والتكليف » بشرط أن يكون والداه ومدرسوه والمشرفون على تربيته قدوة حسنة له . والقرآن يقول في هذا (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**) الاحزاب/ ٢١ ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام كما أمره به في القرآن « **قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** » وكذلك نقرأ موعظة لقمان لابنه في القرآن الكريم (**واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم** لقمان /١٣ وعلى الوالد ايضا ان يأخذ بيد ابنه الى الطريق المستقيم ،

طريق الدين والأخلاق الكريمة ،

أسوة بسيدنا نوح الذي قال لابنه كما جاء في القرآ الكريم (**ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين**) هود/٤٢ ، ٤٣ وعلى الأبناء طاعة آبائهم حتى لا يكون مصيرهم مثل مصير ابن نوح ما دام آباؤهم يرشدونهم الى طريق الدين .

ومما ينبغي أن يحرص عليه المربون في تربية الأبناء تقديرهم لأنماط السلوك الايجابية ، أي التى تتفق مع الدين ، التى يأتيها الطفل .. فاذا أتى الولد عملا كريما أو سلك سلوكا حميدا ، كان على المربي أن يذكر له ذلك ويقدره ويشكره عليه ليكون ذلك تشجيعا وتأييدا وحثا له على المزيد من العمل الطيب والتصرف الجميل . واذا ارتكب الولد خطأ كان على المربي أن يذكره به في رفق ، وأن يبين له ما في هذا الخطأ من ضرر . وأن يحرص المربي على أن يتم ذلك في هدوء وبعيدا عن التشهير ، وبلا قسوة ، حتى لا يقتل عنصر الحياء في الصبي ، وحتى لا يقضي على همته وعزيمته . وللغزالي في هذا المقام عبارة جليلة تدل على خبرة وبصيرة بطرق التربية القديمة والحديثة يقول فيها « ثم مهما ظهر من الصبي من خلق جميل وفعل محمود ، فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس ، فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة ، فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ، ولا يكاشفه ، ولا يظهر له أنه يتجاسر أحد على مثله ، لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه ، فان اظهار ذلك عليه ربما يزيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة ، فعند ذلك ان عاد ثانيا ، فينبغي ان يعاتب سرا ، ويعظم الأمر فيه ، ويقال له : اياك أن يتعود بعد ذلك لمثل هذا ، وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس .. ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين ، فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه ، وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه ، فلا يوبخه الا أحيانا » .

وهكذا نرى الغزالي يؤمن بالتجاوز عن السابقة الأولى اذا ما أخفاها صاحبها ونجح في اخفائها لأن ذلك يدل على احساسه بالذنب ، ولكنه اذا عاد لمثلها فمن الضروري محاسبته عليها سرا أيضا وعلى الوالد أن يحافظ على اطار من أنماط السلوك مع ولده حتى لا يتصور الولد أن الوالد غلام يلعب معه .

وعلى الوالدين أن يقتديا بنبي الله لقمان في توجيه أبنائهم الى ما يتفق مع الدين ، كما جاء في القرآن الكريم (**يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وأصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور. ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك وأغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير**) لقمان/ ١٦ - ١٩ .

تلك هي باختصار شديد نظرية التطبيع الاجتماعي Socialization الاسلامي التى تركها لنا فقهاء الاسلام من مختلف نواحيها البيولوجية والاجتماعية والنفسية والدينية ، مما يعد مفخرة للاسلام وللمسلمين .

رحلة الحاج من وطنه إلى مكة المكرمة و آثار الحج ومنافعه

نحو فهرسة لمناسك الحج

للدكتور/ ابراهيم سليمان عيسى

مع اشراقة اول شهور الحج الثلاثة (شوال وذو القعدة وذو الحجة) بدأت وفود الحجيج تزحف قاصدة مكة المكرمة لتؤدي هذه الفريضة وتشهد أكبر مؤتمر

سنوي يعقد على صعيد واحد وحول بيت واحد حضوره عبادة والطواف حوله عبادة وعلاوة على ذلك فيه منافع للناس .

وتزدحم النفس بالأحداث الجلال العظام فمنذ أربعة عشر قرنا وزيادة ، انبعثت من أرض هذه البلاد أنوار الرسالة المحمدية ، تبشر بدين الحق الذي أفاء على العالم كله حضارة وعدالة ونورا .

ذكريات عزيزة يحسها كل البشر ، وتستشعرها الانسانية في كل مكان ، وتملأ وجدان المسلمين ، وتفيض بها مشاعرهم ، وعجيب أمر هذه الفريضة فمن أداها وذاق حلاوتها وأمتع الروح والقلب بالمشاهد وممارسة الشعائر ، يعيش طيلة حياته تواقا الى تكرارها ومعاودة أدائها والمتعة بما تجد فيها الروح هناك من سعادة لا تعادلها سعادة .

لذلك ظلت الكعبة وهي قبلة المسلمين سببا هاما من أسباب قوة ووحدة المسلمين .. وكانت كتابات وتقارير واجتماعات اعدائهم تدور حول صد المسلمين عنها أو التهوين من شأنها ، بل لقد صرح احدهم « بأن الاسلام سيظل صخرة عاتية تتحطم عليها كل محاولات النيل منه ما دام للاسلام هذه الدعائم الاربع : القرآن والأزهر واجتماع الجمعة ـ الاسبوعي ـ ومؤتمر الحج السنوي » واجد نفسي معتزما بمشيئة الله آداء فريضة الحج فاغترف من هذا النبع الصافي هذا المقال اقدمه تذكرة لكل مسلم ومسلمة بأعمال الحج ومناسكه ، مرتبة ترتيبا زمنيا ومكانيا فإنأوقات الحاج وتوالي المناسك وتعدد المعالم وكثرة الانتقالات .. لا تحتمل استيعاب الاحكام الشرعية المتعلقة بالحج طلبا أو كفا صحة او فسادا في كتب الفقه الاسلامي المطولة . وهي كثيرة ومتعددة .

والجدير بالذكر ان الحج فر يضة وركن من أركان الاسلام الخمس ، شرعها الله وأوجب أداءها على كل مستطيع يقول سبحانه : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين**) آل عمران/٩٧ وقبل الشروع في آداء مناسك الحج على المسلم أن تكون نيته خالصة لله سبحانه وتعالى ، وعلامة ذلك أن يتخلص المسلم من عيوب نفسه ، وان يرد المظالم ويعطي لكل ذي حق حقه ، وأن يصل رحمه ويعد نفقته في الاراضي المقدسة من مال طيب حلال . فمن فعل ذلك كان حجه مبرورا .. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » متفق عليه .

تعريفات هامة :

١ ـ **ما هو الحج** : هو أن يقصد المسلمون القادرون الكعبة في مكة المكرمة ، وأركانه : الاحرام ، والطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة في التاسع من ذي الحجة من الزوال إلى الفجر مع مراعاة أن يكون الاحرام من اماكنه .. والحج فريضة محكمة على كل مسلم مستطيع قادر على آدائها صحة

ومالا وغيرهما وسبق الاشارة الى ذلك .

٢ ـ **ما هي العمرة** : واجب تؤدي مع الحج أو منفصلة عنه واركانها ثلاث : احرام ، وطواف ، وسعي وأربعة بزيادة الحلق عند الشافعية وهي واجبة وفي تركها هدى ويرى بعض المذاهب انها سنة . وليس لها ميقات زماني فيمكن القيام بها في أي وقت من أوقات السنة .

٣ ـ **الميقات الزماني للحج** : بين الله سبحانه وتعالى المواقيت الزمانية للحج في قوله تعالى : (**الحج اشهر معلومات**) البقرة/١٩٧ وقد بينها « الرسول » صلى الله عليه وسلم بأسمائها وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة .. وقال أبو حنيفة وبعض الأئمة انها شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة .. ويقول الامام الشافعي ان الشروع في الحج قبل هذه الاشهر لا يصح .. كما لا يصح الاحرام بالصلاة قبل وقتها . ومن المتفق عليه ان أعماله ومناسكه لا تستوعب هذه الأشهر الثلاثة وغالبا تؤدى في أيام معدودة من ذي الحجة الا الاحرام فانه يمكن ان يستوعب شهر شوال وذي القعدة وعشرا من ذي الحجة ، وتوسيع الميقات الزماني جاء بقصد سعة الاحرام وسفر الحاج ذهابا الى الاراضي المقدسة واستعداده لأداء هذه الفريضة .

٤ ـ **الميقات المكاني** : خصص الشارع لكل وافد الى مكة المكرمة مكانا أوجب عليه ان لا يمر به إلا محرما « أي متجردا من ثيابه العادية ومرتديا ملابس الاحرام ، وهذه الامكنة تسمى مواقيت الاحرام ولا يصح ان يؤخر الاحرام بعدها وان كان يصح أن يكون قبلها فيجوز لأي حاج ان يحرم من بيته او في الباخرة أو في الطائرة أو في المطار ولكن ذلك مشقة لم يلزمنا بها الشارع الحكيم .. ومعلوم أن للاحرام ميقاتين احدهما زماني كما سبق من أول شوال إلى طلوع فجر الاضحى والآخر مكاني وهو يختلف باختلاف الجهات التي قدم منها حجاج البيت الحرام وهي كما يلي : ـ

(أ) **ذو الحليفة** « آبار علي » مكان بينه وبين مكة حوالي ٤٥٠ ك . م وهو ميقات اهل المدينة .

(ب) **الجحفة** « رابغ » مكان بينه وبين مكة ٢٠٤ ك . م تقريبا وهو ميقات أهل مصر والشام والمغرب وبلاد الأندلس .

(جـ) **قرن المنازل** ، جبل يقع شرقي مكة المكرمة يطل على عرفات وبينه وبين مكة ٩٤ ك . م وهو ميقات أهل نجد والكويت .

(د) **يلملم** ، ميقات أهل اليمن والهند وهو جبل جنوبي مكة المكرمة وبينهما ٥٤ ك . م .

(هـ) **ذات عرق** ، ميقات أهل العراق وهو مكان في الشمال الشرقي من مكة وبينهما حوالي ٩٤ ك .م .

وهذه المواقيت عينها وبينها « رسول الله صلى الله عليه وسلم » لأهل هذه البلاد التي ذكرت ولمن مر بها يقول صلى الله عليه وسلم : « هن لهن . ولمن أتى عليهن من

غيرهن . ممن أراد الحج أو العمرة » رواه مسلم ويحرم على المسلم الذي يريد الحج أن يتجاوزها بدون إحرام سواء أكان قادما برا أم بحرا أم جوا .

خطوات أداء فريضة الحج أو العمرة :

اولا : الاحرام :

الاحرام أولى خطوات أداء فريضة الحج أو العمرة ، ويجب أن يكون من ميقاته المكاني وفي ميقاته الزماني بالنسبة للحج ويشمل ما يلي : ـ

١ ـ قبل وصول الحاج الى ميقات الاحرام عليه الاستعداد للاحرام والسنة في الاستعداد للاحرام ، أن يقلم أظافره وأن ينظف بدنه وأن يزيل الشعث كقص الشارب وتسريح اللحية وحلق العانة ونحو ذلك ، مما قد يتأذى به المحرم اذا بقى بعد دخوله في الاحرام ، ثم يغتسل ويتجرد من ملابسه العادية ويلبس ملابس الاحرام .

٢ ـ بعد ذلك يصلي ركعتين بنية سنة الاحرام ، وعقب ذلك ينوي الدخول في النسك ويسن النطق بالنية بأن يقول نويت الحج وأحرمت به لله تعالى « اللهم يسره لي وتقبله مني » اذا كان مريدا الحج فقط . ويقول : « نويت العمرة ... الخ » اذا كان معتمرا أو يقول « نويت الحج والعمرة ... الخ » اذا كان سيجمع بينهما في احرام واحد .

٣ ـ يسن قرن الاحرام بالتلبية وهي سنة ويستحب للرجل ان يرفع صوته بها ، ووقتها عند جمهور الفقهاء **من وقت الاحرام الى رمي جمرة العقبة يوم النحر** ، ويستحب تجديدها عند تغير الحال من صعود جبل او ركوب سيارة او لقاء اصحاب ومعارف وعقب كل صلاة يصليها وهو محرم ، ومن الجدير بالذكر ان رفع صوت المرأة بالتلبية مكروه وعليها ان تسمع نفسها ومن يليها فقط وصيغة التلبية هي :

« لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .. » والتلبية هامة جدا في أداء مناسك الحج ، وبعض الأئمة يرى انها ركن من اركان الحج ، ويرى غيره انها ليست ركنا ، ولكن يلزم تاركها دم .

٤ ـ **محظورات الاحرام** : اثناء فترة الاحرام من وقت الاحرام حتى الانتهاء من المناسك يحرم عدة أشياء نجملها فيما يلي :

(أ) **لبس المخيط للرجل** :فلا يلبس المحرم قميصا أو جبة أو سروالا او اي ثوب مما اعتاد لبسه ولا يلبس عمامة او قبعة ولا حذاء يستر ظاهر قدمه .

(ب) **القفاز** « الجوانتي » للمرأة ، يحرم على المرأة ستر الوجه واليدين بأي ساتر ، ويرى بعض الأئمة ان المرأة اذا قصدت ستر احداهن « الوجه او اليدين » عن الأجانب جاز لها ذلك وفي هذه النقط كثير من التفاصيل .

(جـ) ايضا يحرم **الرفث** ، وهو الجماع ودواعيه كالتقبيل واللمس بشهوة والمداعبة والنظر في محاسن المرأة .

(د) ويحرم **الفسوق** اقتراف المعاصي والجدال وهو مخاصمة الرفقاء وغيرهم لقوله تعالى : **(فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)** البقرة/١٩٧ .

(هـ) كذلك يحرم **ممارسة عقد النكاح** سواء أكان زواجا ام خطبة على المحرم واذا حدث كان باطلا الا عند الحنفية .

(و) كذلك **يحرم** تقليم الاظافر والتطيب وصيد البر وقطع شجر الحرم او اتلافه . وهذه المحرمات كلها اذا اقترف منها شيء وجبت الفدية ما عدا عقد النكاح ، والفدية وهي تختلف وتتفاوت باختلاف طبيعة المحظور الذي وقع .

٥ **ويباح للمحرم** ما عدا ذلك . كالاغتسال وغسل الثوب ونفض الشعر ومشطه ولبس الخفين للمرأة فقد روى مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم امر عائشة رضي الله عنها فقال « انفضي رأسك وامتشطي » وقال النووي نفض الشعر والامتشاط جائزان في الاحرام ، بحيث لا يؤدي ذلك الى سقوط الشعر . كذلك لا شيء في تغطية الرأس بهذا او النظر في المرآة او شد الحزام او لبس الخاتم الفضي في اليد او الاستظلال بشيء او خيمة او بيت او مظلة شمسية كذلك يباح ايضا قتل الحيوانات المؤذية للمحرم اثناء مدة الاحرام كالعقرب والثعبان .

٦ ـ ويستمر المحرم متجها الى مكة المكرمة فاذا ما قرب منها يسن له ان يغتسل قبل دخولها ، ويستحب ان يدخلها نهارا ويبدأ بالحرم ويقول عندما يقع بصره على الكعبة : « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا وزد من شرفه ، من حجه او اعتمره تعظيما وتشريفا وتكريما ومهابة وبرا » .. « اللهم انت السلام فحيينا بالسلام » وهذا الغسل للنظافة فيستحب للمرأة حتى ولو كان بها عذر شرعي ، كما ان عليها ان لا تدخل المسجد الحرام الا اذا تطهرت بعد النقاء ..

والجدير بالذكر ان انواع الاحرام **ثلاثة** : هي الافراد والتمتع والقران

فالافراد : هو ان يحرم للحج وحده فاذا فرغ من اعماله ، احرم بالعمرة وطاف وسعى واتم اعمالها .

والتمتع : هو ان يحرم بالعمرة فاذا فرغ منها ، احرم بالحج في اليوم الثامن من ذي الحجة .

والقران : الجمع بينهما في احرام واحد او الاحرام بالعمرة ثم ادخال الحج عليها قبل الطواف وعلى كل من المتمتع والقارن ان يقدم هديا لقوله سبحانه في المتمتع : **(فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم)** البقرة/١٩٦ . واما القارن فلما روى عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم . ذبح عن نسائه البقر يوم النحر وكن قارنات ومن اختار الافراد فليس عليه شيء من الهدى .. بقى ان تتذكر ايها القارىء ان افضل الانواع الثلاثة للاحرام محل اختلاف بين الأئمة رضوان الله عليهم .

فالاحناف على ان القران افضل ويليه التمتع ثم الافراد . **والمالكية** يفضلون الافراد ويليه القران ثم التمتع ، **والشافعية** يقولون بأفضلية الافراد ويليه التمتع ثم القران ، والامام احمد يفضل التمتع ويليه الافراد ثم القران وعلى العموم ما دامت هذه المسألة خلافية بين الأئمة فعلى كل حاج تخير نوع الاحرام الذي يتوافق مع ظروفه ووقته مع ملاحظة وجوب الهدى على المتمتع والقارن فقط اما المفرد فلا هدى عليه : **ورأى الفقهاء الغالب يوافق الامام احمد في افضلية التمتع لما يحققه من فوائد هي : ـ**

١ ـ قصر مدة الحج وهي لا تتعدى اليوم الثامن من ذي الحجة ويوم عرفة وجزءا من ايام العيد . فلا يكون هناك ملل من طول مدة الاحرام لأن طول المدة قد يكون سببا في فساد الحج ، او الاقلال من الثواب الا من قدره الله سبحانه وتعالى على تحمل المشقة .

٢ ـ نظافة الجسم بالاستحمام الذي يقوم به المتمتع بين النسكين وصيانته من العوامل الجوية .

٣ ـ ان المتمتع يلزم اهداء هدى وهذا يفوز بالنفع للفقراء والمساكين كما سبق فان لم يجد المتمتع هديا فعليه الصيام كما حددته الآية الكريمة .

وبدخولك ايها الحاج الكريم مكة المكرمة تكون قد بدأت في بقية المناسك .. تقبل الله حجك وجعله حجا مبرورا .

قبل أن اختم هذا المقال أود الاشارة إلى آثار أداء فريضة الحج في النفس والحياة عموما والى تلك المنافع التي أشارت اليها الآية الكريمة في قوله تعالى : **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله)** الحج/٢٧ و ٢٨ والآية الكريمة تفتح بابا للتأمل والتفكر والنظر في هذه المنافع المشهودة التي قدمت في الآية الكريمة على ذكر اسم الله جلا علاه .

وتتعدد آثار الحج ومنافعه لتشمل الآثار والمنافع الروحية والتعليمية والتجارية وغيرها ، هذه الآثار وتلك المنافع العظيمة التي أوردها القرآن الكريم تعليلا لهذه الرحلة المباركة كانت دائما محل اهتمام المؤمنين المخلصين وغيرهم واهتمام المؤمنين المخلصين بها يكون على سبيل تحصيلها وأداء هذه الفريضة لاكتساب هذه الآثار وتلك المنافع ، اما غيرهم فهي محل اهتمام بالدراسة والبحث وايجاد الوسائل الكفيلة بعدم تحقيقها وتحصيلها وبصد المسلمين عن الكعبة ومحاولة صرف نظرهم عنها ومع ذلك فاننا نجد قلة من المنصفين الاجانب يشهدون بفضل هذه الشعيرة الاسلامية العظيمة والامثلة على ذلك كثيرة منها ما ورد في مقدمة هذا المقال ، واذا ما عدنا الى تعداد هذه المنافع والآثار التي تعود على المسلمين افرادا

وجماعات وشعوبا بالخير العميم ، فيمكن ان نذكر منها :
١ ـ ان الحج يزود المسلم بشحنة روحية وعاطفية ويملأ جوانبه خشية وتقى لله سبحانه وتعالى ، فالارض المقدسة وذكرياتها الغالية وشعائر الحج والتفاف المسلمين حول الكعبة التي ظلت وسوف تظل على مدى الدهر رمزا للتوحيد وعبادة الله ووحدة المسلمين وقوتهم فيرجع الحاج خاصة من كان حجه مبرورا نقي القلب . طاهر العقيدة واقوى عزيمة على الخير واصلب عودا امام المغريات والشهوات ولقد اشار الحديث النبوي الى هذا ، يقول الرسول الكريم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » رواه البخاري واحمد والنسائي .
٢ ـ المنافع التجارية : وللحج جانب مادي ، حيث يكون فرصة لتبادل المنافع التجارية على نطاق واسع بين المسلمين .
وكان المسلمون في اوائل الاسلام يتحاشون التجارة ، ولا يقومون بأي عمل دنيوي ، يكون الهدف منه الربح والرزق خوفا من ان ينال ذلك من أدائهم الشعيرة ، أو ينقص مثوبتهم عند الله . فأجاز الله سبحانه وتعالى ذلك فقد روى البخاري عن ابن عباس قال : « كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فتأثموا أي تحرجوا ان يتاجروا في الموسم « موسم الحج » فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت الآية الكريمة : (**ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم**) البقرة/١٩٨ . يقول صاحب المنار في هذه النقطة : « كان بعض المشركين وبعض المسلمين يتأثمون في ايام الحج من كل عمل حتى كانوا يغلقون حوانيتهم فعلمهم الله تعالى انٍ الكسب طلب فضل من الله لا جناح فيه مع الاخلاص . وقوله تعالى (**من ربِّكم**) يشعر بأن ابتغاء الرزق مع ملاحظة انه فضل من الله ، نوع من انواع العبادة ويروي ان عمر قال لسائل في هذا المقام : وهل كنا نعيش الا على التجارة ؟
٣ ـ الحج مساواة ووحدة وسلام : من الأمور المسلم بها ان الحج تدريب عملي للمسلم على المبادىء الانسانية العليا . فقد جاء الحج ليضع المبادىء والقيم الاجتماعية بين أيدي المسلمين ليتدربوا عمليا عليها ، من هنا كانت الحكمة في الاحرام حيث التجرد من ملابس الزينة والتفاخر وارتداء الجميع ملابس بسيطة لا مجال فيها لصنعة هي اقرب من اكفان موتى المؤمنين . ويلبسها الكل: الفقير والغني والمعدم وذو المال والحقير وصاحب الجاه . وقديما كانت قريش ترى نفسها افضل من سائر العرب ، فكانت تقف على المزدلفة وتترفع عن الوقوف معهم في عرفات ، فأبطل الاسلام هذه العادة ، وذكر بعض اعمال الحج قوله : (**ثم افيضوا من حيث افاض الناس**) البقرة/١٩٩ .
كذلك يتجلى مبدأ السلام في هذه الرحلة الميمونة ، فالحج طريقة لتدريب المسلم على السلام ، فأرض الحج هي البلد الحرام والبيت الحرام يقول تعالى : (**من دخله كان آمنا**) آل عمران/٩٧ ويقول عمر رضي الله عنه « لو وجدت فيه ـ أي في الحج ـ قاتل أبي ما مسته يدي » أرض الحج أمان شامل للطير في الجو ، والصيد

في البر ، والنبات في الارض ، والمسلم في الحج يعيش في سلام حقيقي ، مهما اختلف جنسه ولونه ووطنه ، وحدة في الشعائر والمشاعر ، والهدف والعمل والقول ، الجميع مسلمون يطوفون ببيت واحد ويعبدون الها واحدا ، ويتبعون رسولا واحدا هل رأيت ايها القارىء الكريم وحدة اعمق من هذا وابعد غورا ؟

٤ ـ الحج مؤتمر عالمي : يجتمع المسلمون من مشارق المعمورة ومغاربها . مؤتمر دعا اليه العلي القدير يلتقي فيه المصلحون والسياسيون والعلماء ، ليتعارفوا ويتعاونوا على بلوغ انبل الاهداف واعظمها . ولقد عرف المسلمون الاوائل قيمة هذا المؤتمر ، فجعلوه فرصة لتبادل الآراء وتعارف الافكار وتدارس الروايات والاحاديث والاخبار . ولا يخفى علينا ما للحج من أثر في ثقافة المسلم وتدريبه ، وتوسيع افقه واتصاله بمن حوله من العالم لذلك قالوا : السفر نصف العلم ويروى ان حكيما قال من يعش يرى كثيرا ، فرد عليه آخر وقال : لكن من يسافر يرى اكثر ، رحلة الحج فيها تدريب للمسلم على البساطة والتقشف ، والانتقال والارتحال والاعتماد على النفس ، والبعد عن الترف والتكلف والعودة الى طهارة الفطرة الانسانية وفيه التضحية بالراحة والسكون ، وتدريب على ركوب الصعاب والمشقات ومفارقة الاهل والوطن ، والآل والصحاب ، وأعمال الحج توقظ في نفوس الحجيج النزعة الى تقاليدهم وتذكرهم بكل المعاني والمشاعر النبيلة وبقصة مجيء الاسلام وانتشاره وازدهاره .

وستظل الكعبة رمزا خالدا ومثابة للناس وأمنا يقول الله تعالى : (**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا**) البقرة/١٢٥ اللهم اجعلنا من حجاج بيتك الملبين لندائك وهيىء لنا كل السبل لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم . وليذهب الى الجحيم امثال المستشرق الفرنسي (كيمون) حيث يقول في كتابه (باثولوجيا الاسلام) « اعتقد ان من الواجب ابادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة » ويقول موروبيرجر في كتابه (العالم العربي المعاصر) « يجب محاربة الاسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي الى قوتهم لان قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الاسلام وعزته وانتشاره ان الاسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الافريقية » ونقول لهؤلاء المستشرقين ان الاسلام سوف ينتشر وينتشر ، وسيعود المسلمون الى ريادة العالم كله ، وسيملأ الاسلام جوانب الارض عدالة وحضارة ونورا .

ثانيا : **الطواف حول الكعبة المشرفة** :

١ ـ بعد دخول مكة المكرمة ، يشرع في طواف القدوم وهو سنة لمن نوى الحج فقط ، اما المعتمر فيجزئه طواف العمرة عند القدوم لأن هذا الطواف سنة للحاج فقط ، وركن من اركان العمرة ، ويوجد بعد ذلك نوعان من الطواف بالكعبة ، هو طواف الافاضة او الزيارة ، وهو ركن من اركان الحج لقوله تعالى : (**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**) الحج/٢٩ . وطواف الوداع ويسمى طواف الصدر ليكون هذا الطواف آخر عهدك بالبيت ، ومعلوم ان

ذلك يكون في نهاية الحج وعند العزم على مغادرة مكة للسفر منها الى موطن الحاج ، ويسمونه ايضا طواف الوداد ، وسوف نتكلم عن الادعية المأثورة في طواف الوداع او الصدر او الوداد في نهاية مناسك الحج .. ونخلص من ذلك ان طواف القدوم سنة عند الحنفية والشافعية والحنابلة لمن نوى الحج فقط ، وواجب عند المالكية وفي عدم القيام به هدى عندهم ، اما طواف الافاضة فهو ركن من اركان الحج باجماع الأئمة خاصة الأربعة اشواط الاولى والثلاثة الباقية يرى الفقهاء انها واجبة وليست ركنا ، اما طواف الوداع فهو واجب في اغلب المذاهب وعند الحنفية واجب على غير اهل مكة وفي تركه هدى عندهم .

٢ ـ والطواف مهما كان نوعه سبعة اشواط ، ومعنى الطواف الدوران حول الكعبة ، ويراعى فيه ما يراعى في الصلاة من طهارة وستر عورة ، ويسن الرمل « الاسراع في المشي او الجري » في الاشواط الثلاثة الاولى ، ويمشي في الاربعة الباقية .

٣ ـ وعلى الحاج ان يبدأ كل دورة بالحجر الاسود ، ويختمها به جاعلا البيت عن يساره ويستحب للحاج ان يجعل وسط الرداء ت تحت منكبه الايمن ويجمع طرفيه على منكبه الايسر .

٤ ـ اذا شك الحاج في عدد الاشواط ، بنى على اليقين وهو الاقل ، فاذا شك مثلا انه طاف خمسة اشواط او ستة ، جعلها خمسة واكمل الطواف .

٥ ـ وعلى الحاج ان يستلم الحجر الاسود في كل مرة ، ويقبله اذا امكنه ذلك والا اشار اليه من بعيد ، ويقول عند لمسه الحجر الاسود او الاشارة اليه « اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » .

٦ ـ يسن أثناء الطواف الدعاء بالادعية المأثورة في كل شوط من الاشواط السبعة ،

٧ ـ على المرأة اثناء الطواف ان تمشي مشيتها المعتادة وليس عليها ان ترمل اي تسرع او تجري .

٨ ـ بعد الانتهاء من الاشواط السبعة ، يصلي المحرم ركعتين ناويا سنة الطواف ، ويقرأ في الركعة الاولى سورة الاخلاص ويسن ان تكون الصلاة في مقام ابراهيم ، ان امكن ، وتجزىء عن ركعتي سنة الطواف صلاة اي فرض او نفل يصليها الحاج .

٩ ـ بعد صلاة الركعتين يسن له ان يأتي الملتزم « باب الكعبة » ويتجه الحاج الى بئر زمزم للشرب منها ما استطاع ، ويسن ان ينوي عند شربه الشفاء ونحوه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير ماء على وجه الارض ماء زمزم . فيه طعام الطعم وشفاء السقم » ويسن ان ينوي عند شربه الشفاء ونحوه مما هو خير في الدين والدنيا ، فان « ماء زمزم لما شرب له » ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا شرب من ماء زمزم يقول : اللهم اني اسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء .

ثالثا : السعي بين الصفا والمروة :

١ ـ بعد شرب ماء زمزم يرجع المسلم الى الحجر الاسود لاستلامه ناويا التوجه الى السعي بين الصفا والمروة .

٢ ـ والسعي بين الصفا والمروة يكون سبعا مبتدئا بالصفا ومنتهيا بالمروة . أي مبتدئا بما بدأ الله به في قوله : **(ان الصفا والمروة من شعائر الله)** البقرة/١٥٨ . وهو ركن من أركان الحج ومن الأئمة من قال بوجوبه .

٣ ـ تجوز الاستراحة بين الاشواط ، أو أداء الصلاة مع الجماعة ويشترط المشي للقادر عليه ولا بأس بالركوب لغير القادر .

٤ ـ للسعي سنن منها :

أ ـ ان يخرج الى السعي من باب الصفا .

ب ـ ان يصعد على الصفا حتى يشاهد الكعبة .

جـ ـ الدعاء بالادعية المأثورة ويستحب فيه قراءة القرآن والاكثار من الذكر .

د ـ ان يكون بعد الطواف مباشرة .

هـ ـ ان يكون الساعي متطهرا من الحدث والخبث .

و ـ ان يهرول وسط الشوط بين المكانين المعروفين بالميلين (العلمين الاخضرين) .

ويجب الاشارة الى انه لا يسن للنساء الصعود على الصفا إن كان هناك زحام .

التحلل من العمرة :

بعد الانتهاء من السعي بين الصفا والمروة تتم العمرة لمن نواها عند الاحرام .. اذا كان معتمرا فقط وحتى يتحلل من العمرة عليه ان يحلق رأسه ويقص شعره ، ويباح له ما كان محظورا عليه وقت الاحرام . يظل هكذا حتى يحين وقت الاحرام بالحج ، وهو في هذه الحالة يسمى **متمتعا**وسَبَقَ أن التمتع هو الاحرام بالعمرة اولا ، ثم التحلل منها ، ثم الاحرام بالحج في وقته ، وسبق انه متى تمتع المحرم وجب عليه هدى .

اعادة الاحرام للحج (يوم التروية) :

في اليوم الثامن من ذي الحجة نتهيأ للاحرام ، ويسمى هذا اليوم يوم التروية وسبق كيفية الاحرام . والاحرام للحج بعد التحلل من العمرة يكون من نفس المكان الذي ينزل فيه الحاج سواء أكان في مكة ام خارجها ، ثم يذهب الحاج الى منى في طريقه لعرفات ، واثناء السير الى منى يستحب الاكثار من الدعاء والتلبية ، ويبيت الحاج في منى ولا يخرج منها الا بعد طلوع شمس التاسع من ذي الحجة ، ويؤدي بها صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وتجدر الاشارة الى انه اذا ترك الحاج شيئا من هذا او ذهب الى عرفات مباشرة من مكة فلا شيء عليه ، لان عائشة رضي

الله عنها لم تخرج من مكة يوم التروية حتى دخل الليل وذهب ثلثه .

رابعا : الوقوف بعرفة :

١ ـ اهم ركن من اركان الحج لقوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » رواه ابن ماجه وابو داود . من فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج .
٢ ـ وعرفات جبل يقع غرب مكة على بعد اكثر من عشرة كيلو مترات ، ووقت الوقوف بعرفة بين زوال اليوم التاسع من ذي الحجة الى فجر العاشر منه ، وشرط الوقوف ان يكون بعد الزوال ، والسنة ان يمتد الى غروب الشمس ، ومن وقف قبل الزوال لا يعتد بوقوفه .
٣ ـ عرفة كلها موقف « **إلابطن عرنة** » وفي الجهة الشمالية من جبل عرفات صخرة مرتفعة تسمى جبل الرحمة وفي سفحها الجنوبي خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الوداع المشهورة .
٤ ـ المراد بالوقوف بعرفات حضور الحاج فيه ولو لحظة بمقدار ما بين السجدتين واقفا او جالسا او ماشيا او راكبا او نائما او مستيقظا من بعد ظهر اليوم التاسع من ذي الحجة وحتى فجر العاشر منه .
٥ ـ يجب في الوقوف ان يكون على طهارة والاكثار من ذكر الله والثناء عليه والتكبير والتلبية والتهليل والاستغفار والتذلل له والطلب منه والرجاء اليه .
٦ ـ في عرفات نصلي الظهر والعصر يومها قصرا جمع تقديم ومعنى الظهر المقصور ان نصلي ركعتين بدلا من اربع ، وكذلك العصر . ونجمعها جمع تقديم اي نصلي الظهر والعصر في وقت الظهر مع الامام بمسجد نمرة من غير فصل بينهما بنافلة .. واذا صليت في الخيمة فتصلي كل فريضة في وقتها او جمعها في وقت الظهر مستقلة كل منها عن الاخرى .

الافاضة الى المزدلفة :

المزدلفة مكان يقع بين منى وعرفات ، وتكون الافاضة اليه بعد غروب الشمس ، ويندب في الافاضة الى المزدلفة الاكثار من التلبية والدعاء والذكر وقراءة القرآن .. وعند الوصول الى المزدلفة « وتسمى المشعر الحرام » نصلي المغرب بها مع العشاء قصرا جمع تأخير اي وقت العشاء ، والمبيت بمزدلفة مطلوب لمن في استطاعته ذلك حتى يصلي الصبح في أول وقته ثم يتركها الى منى لقوله تعالى : (**فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم**) البقرة/١٩٨ ومعنى افضتم : نزلتم .
والحاج يجمع من ارض المزدلفة الحصيات التي ترمى بها جمرة العقبة بمنى صباح يوم النحر وهي سبع حصيات ، ويمكن جمعها من غير المزدلفة ، ويمكن

ايضا جمع جميع الحصيات اللازمة للرمي في الايام الثلاثة يوم العيد واليومين التاليين له من مزدلفة او من غيرها ومجموع الحصيات المطلوبة ٤٩ حصاة لجمرة العقبة يوم النحر ، وواحدة وعشرون للجمرات الثلاث في ثاني ايام العيد ، ومثله في ثالث ايام العيد .

رمي جمرة العقبة بمنى : كما يلي :

بعد ترك المزدلفة يسلك الطريق الى منى وعند دخولها فورا يرمى جمرة العقبة بسبع حصيات واحدة تلو الاخرى على ان تكون كل حصاة بين طرفي الابهام والسبابة اليمنى ، وان يكون الرمي بقوة قائلين : « بسم الله والله أكبر .. رجما للشيطان وحزبه اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا » .

وبعد رمي اول حصاة تنقطع التلبية التي التزمناها منذ الاحرام بالحج ، ثم يتم ذبح الهدى أن لم يكن قد تم الذبح بمكة من قبل ، ويلاحظ عدم رمي هذه الجمرة ولا غيرها بأشياء تخالف السنة ، ويمكن الانابة في الرمي على ان يرمي من انبته لنفسه اولا ولمن انابه ثانيا . والافضل الرمي بنفسك ما دمت قادرا عليه .

وتسير الخطوات بعد ذلك :

١ ـ بعد رمي جمرة العقبة بالحصيات السبع ، يحلق الحاج رأسه او يقصر شعره ومعنى ذلك هو التحلل من الاحرام بالحج ، ويباح ما كان محظورا بسبب الاحرام الا معاشرة الازواج ، وهذا هو التحلل الاول الذي يبيح له كل شيء الا النساء .

٢ ـ بعد ذلك ينزل الى مكة لطواف الافاضة وهو ركن كما سبق ثم يسعى بعده ويتحلل الحاج التحلل الاكبر ويرجع الى حياته العادية وطواف الافاضة كيفيته وشروطه واجراؤه يكون كما سبق في الكلام عن طواف القدوم .

٣ ـ الذين لا ينزلون الى مكة يوم النحر بل يظلون بمنى حتى يرموا الجمار ، فانهم يطوفون طواف الافاضة عندما ينزلون الى مكة ويتحللون التحلل الاكبر .. والسعي الذي يعقب طواف الافاضة يكون للذين لم يسعوا من قبل ، اما الذين سعوا فعليهم بطواف الافاضة ثم التحلل الاكبر .

٤ ـ رمي الجمار أيام التشريق الثلاثة له شروطه التي سوف اتكلم عنها فيما بعد .

٥ ـ رمي الجمار ايام التشريق يكون بعد رجوع الحاج من طواف الافاضة ان كان قد نزل مكة بعد رمي جمرة العقبة ، وان لم يكن قد نزل الحاج واجل طواف الافاضة فانه بعد الانتهاء منها ينزل الى مكة ويطوف طواف الافاضة ويتحلل التحلل الاكبر .

٦ ـ بعد ذلك يطوف الوداع عند العزم على مغادرة مكة الى الموطن ثم يسافر بعد ذلك في سلامة الله .

الافاضة ورمي جمرة العقبة والتحلل

من الجدير بالذكر ان الافاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس لأن النبي صلى الله عليه وسلم وقف حتى غربت الشمس وقال : « خذوا عني مناسككم » رواه مسلم وقد افاض النبي عليه الصلاة والسلام بالسكينة وضم زمام ناقته اليه حتى كاد رأسها يفيض طرف رجله وهو يقول : « يا أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالانصاع » والانصاع يعني الاسراع رواه البخاري ومسلم ، الاكثار من التلبية والدعاء والذكر وقراءة القرآن لأنه صلى الله عليه وسلم لم يلب حتى رمى جمرة العقبة ويبيت الحجاج هذه الليلة في « مزدلفة » ويسن ان يظل بها الحاج حتى يصلي الفجر الا اذا كان له عذر ، وعند الحنفية ان الحاج لا ينصرف قبل طلوع الفجر إلا لعذر وإلا لزمه دم .

ولا يتعين اخذ الحصى من المزدلفة وان استحبه الشافعية ولا دليل على من اعتقد بوجوب اخذ الحصى من المزدلفة والوارد عنه صلى الله عليه وسلم انه اخذ سبعا من حصى الجمار في هذا اليوم ليرمي جمرة العقبة ويمكن التقاط حصى الرمي في الايام الباقية من منى ويمنع اخذ الحصى من مكان الرمي « أي حصى رمي به من قبل » وبعد رمي جمرة العقبة ينحر الحاج هديه ثم يحلق بعد ذلك شعره أو يقصر والحلق افضل ، لأنه صلى الله عليه وسلم دعا بالمغفرة والرحمة للمحلقين ثلاث مرات وللمقصرين مرة واحدة ، اما النساء فليس عليهن حلق ، وانما عليهن التقصير وبعد الفراغ من الحلق ، يسن ان يقول الحاج الحمد لله الذي قضى عني نسكي . اللهم ائتني بكل شعرة حسنة . وامح عني بها سيئة . وارفع لي بها درجة واغفر لي وللمحلقين والمقصرين وجميع المسلمين . اللهم زدنا ايمانا ويقينا وتوفيقا وعونا واغفر لنا ولآبائنا وامهاتنا وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد رمي جمرة العقبة والذبح وحلق الشعر او تقصيره ، يباح للمحرم كل شيء ما عدا النساء وهذا هو التحلل الاول ثم يطوف طواف الركن « طواف الافاضة » ويسن للحاج ان يتطيب ويتوجه الى مكة لأداء هذا الطواف ، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه قبل ان يحرم . ولحله قبل ان يطوف بالبيت » اخرجه البخاري ومسلم وبعد الفراغ منه يسعى ان لم يكن قد سعى ويرجع الى حياته العادية فيحل له ما بقي محرما عليه وهو مباشرة زوجته .

شروط رمي الجمار

وفي أيام التشريق ترمى الجمار الثلاث في ثلاثة أيام ، اذا تأخر بمنى،ويومين اذا تعجل ، والجمار عددها ثلاث هي الصغرى قريبة من مسجد الخيف والوسطى

تبعد عنها بنحو ١٥٥ مترا والكبرى وتسمى جمرة العقبة وهي في مدخل منى وتبعد عن الوسطى بنحو ١٥٥ مترا ايضا ويلاحظ :

١ ـ عند الرمي يبدأ الحاج بالصغرى فالوسطى فالكبرى على الترتيب ويفعل ذلك يومين بعد العيد ان اراد الاكتفاء والرحيل الى مكة او ثلاثة اذا اراد البقاء .

٢ الرمي يكون بحصى مناسبة لا هي بالصغيرة ولا بالكبيرة وعليه ان يتأكد او يغلب على ظنه اصابة الجمرة .

٣ ـ لا يجوز الرمي بحجر كبير ولا بعصى او زجاجة او حذاء او ما شابه ذلك ، كما يفعل بعض الناس اظهارا لكراهية الشيطان لأن هذا مخالف للسنة .

٤ ـ على الحاج تحاشي اصابة الناس عند رميه الحصى ، وينوي في قلبه العزم على قهر الشيطان ووسوسته ، وليعلم انه في الظاهر يرمي الحصى وفي الحقيقة يرمي الشيطان .

٥ ـ ووقت الرمي لجمرة العقبة يوم النحر عند الشافعية واحمد من منتصف ليلة العيد حتى آخر أيام التشريق الثلاث ، ويمكن الأخذ بهذا تلافيا للزحام او شدة الحر ، وعند الحنفية يبدأ الوقت عنده بطلوع فجر العيد حتى فجر اليوم الثاني ، ويندب ان يكون بعد طلوع شمس العيد ، ويكره تأخير الرمي بعد الزوال يوم العيد عند المالكية .

٦ ـ الجمار الثلاث الاخرى وقت الرمي يكون من الزوال الى الغروب ، ويكره تأخيره الى الليل حتى الفجر ، ولكنه يجزىء عند ابي حنيفة ، ولا يجوز تأخيره عن الغروب عند مالك والشافعي واحمد ، وعندهم لو تأخر عن الغروب لا يرمى ليلا وانما يرمى بعد زوال اليوم الثاني .

٧ حكم الرمي واجب عند الجميع .

٨ ـ يجوز للمرضى وكبار السن والنساء الحوامل ان يوكلوا من يرمي عنهم الجمرات كلها ، وليس لهم توكيل لغيرهم في شيء من المنسك ما عدا الرمي ، وعلى الحاج الموكل ان يرمي لنفسه اولا ، ثم يرمي عن موكله .

والجدير بالذكر ان من فاته الوقوف بعرفة فلا حج له وعليه عندئذ ان يأتي باعمال العمرة من طواف وسعي وحلق او تقصير وعليه قضاء الحج في العام القادم ودم كدم المتمتع ـ اما من فاته ركن آخر غير الوقوف بعرفة ، فيجوز الاتيان به في اي وقت من عمره عند ابي حنيفة واحمد ، وعند المالكية يمتد وقته الى آخر ذي الحجة ولا دم عليه ، ولكن اذا آخر الاتيان به بعد ذي الحجة فان حجه صحيح ويجب عليه هدى . ومن المعروف أن من فاته السعي فعليه ان يؤديه طالما هو موجود بمكة ، والا بعث بهدى يذبح في مكة ولا يرجع الى مكة لاعادة السعي .

مبطلات الحج :

تجدر الاشارة الى ان الحج او العمرة لا يبطله ارتكاب اي شيء من المحظورات

(محظورات الاحرام) الاحالة واحدة هي الجماع فهي تبطل الحج اما ارتكاب اي محظور آخر فيوجب الفدية والفدية تكون واحدة من **ثلاثة اشياء** هي ذبح شاة او اطعام ستة مساكين كل مسكين نصف صاع او صيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة ايام بعد عودته الى وطنه ويجوز الاكل من هدى التمتع وهدى القران وهدى التطوع ولا يأكل من غيرها هذا ما ذهب اليه الامام ابو حنيفة والامام احمد . وعند الامام مالك يجوز الأكل من الهدى الذي قدمه لفساد حجه ومن هدى التمتع ومن الهدى كله الا فدية الاذى وجزاء العيد وما نذره للمساكين .

أخطاء شائعة يرتكبها بعض الحجاج :

تتعدد الاخطاء الشائعة التي يرتكبها بعض الحجاج ، وقد يكون ذلك بغية الامعان في أداء الشعيرة او نتيجة عدم المام الحاج بمثل هذه الأمور منها :

١ ـ تجاوز الحاج ميقاته المكاني وهذا مخالف لأمره صلى الله عليه وسلم فعلى من يفعل ذلك الرجوع الى الميقات المكاني والاحرام منه ، وإن لم يستطع ذلك فعليه فدية ، يذبحها في مكة ويطعمها كلها للفقراء . فان لم يمر الحاج على ميقات من المواقيت الخمسة السابقة احرم بمحاذاة اول ميقات يمر به .

٢ ـ كذلك من الاخطاء في الطواف ابتداء الطواف قبل الحجر الاسود او من داخل حجر اسماعيل او الرمل « الاسراع » في جميع الاشواط او المزاحمة لتقبيل الحجر الاسود او التمسح به التماسا للبركة منه او استلام جميع اركان الكعبة المشرفة او التزاحم للصلاة عند مقام ابراهيم عليه السلام .

٣ وايضا من الاخطاء نزول بعض الحجاج خارج حدود جبل عرفات وبقاؤهم في اماكن نزولهم حتى غروب الشمس ، ثم ينصرفون الى مزدلفة ، وهذا خطأ جسيم يفوت على مرتكبه الحج ، لأن الحج عرفة بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا انصراف بعضهم من عرفة قبل الغروب ، وهذا مخالف للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه وقف بعرفة حتى غربت الشمس تماما . والتزاحم في صعود جبل عرفة ، واستقبال بعض الحجاج عرفة في الدعاء والسنة هي استقبال القبلة .
٤ ـ ايضا من الاخطاء اعتقاد البعض ان حصى الجمار لا بد ان يكون من مزدلفة وانشغالهم بالتقاطه قبل ان يصلوا المغرب والعشاء ، وكذلك غسل الحصى بالماء وهذه امور غير مشروعة ، او رمي الحصى دفعة واحدة ، او الرمي بحصى كبير او الحذاء او الاخشاب ، وايضا من الأخطاء الانابة في الرمي مع القدرة عليه .
وهناك اخطاء كثيرة أخرى كمن يطوف طواف الوداع ثم يرجع الى منى ليرمي الجمرات ويسافر من منى الى وطنه ، فمثل هذا جعل آخر عهده بالجمار وليس بالبيت الحرام ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينفرن احد حتى

يكون آخر عهده بالبيت » رواه مسلم واحمد وقد يخرج الحاج بعد طواف الوداع القهقري اي يخرج بظهره ليظل مستقبلا الكعبة وهذه بدعة في الدين لا اصل لها . أو الدعاء بدعوات كالمودع للكعبة .

أخطاء في زيارة المسجد النبوي :

بعض الزائرين للمسجد النبوي يتمسح بالقضبان ، أو يذهب الى المغارات في جبل احد ، وربط الخرق عندها وزيارة بعض الأماكن التي يظنون أنها من آثار الرسول الكريم كمبرك الناقة واخذ التراب من هذه الاماكن للبركة ، ورمي النقود عند زيارة مقابر البقيع ، ودعاء الاموات ، كل هذه أخطاء لا اصل لها في الدين ، ولكن اذا ذهب الزائر الى هذه الاماكن ومثلها بمكة ، غار حراء وثور بقصد معرفة هذه الاماكن وتذكر المجهود الجسمي وما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته حتى انتشر الاسلام هذا الانتشار العظيم ، فأغلب ظني ان هذا لا بأس به إذا ما وضع الزائر في ذهنه صعوبة الوصول ووعورة الطريق خاصة وان هذه الطرق لم تكن ممهدة او مرصوفة في هذا الوقت .

ويجدر الاشارة في نهاية هذا المقال ، انه يسن زيارة مقابر البقيع وقبر عثمان رضي الله عنه وقبور شهداء أحد ، وقبر حمزة رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين ، ويسلم الزائر عليهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد علمنا ان نقول عند زيارة القبور : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » رواه مسلم .

بقى على المسلم ان يتذكر ان شروط وجوب الحج هي : البلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ووجود محرم مع المرأة او رفقة مأمونة من النساء .

اما أركان الحج عند الأئمة فهي :

الحنفية : ركنان فقط : الوقوف بعرفة وطواف الافاضة الاربعة اشواط الاولى منها اما الثلاثة الباقية فهي من الواجبات وليست من الاركان .

الشافعية : اركان الحج ستة : الاحرام وطواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة وازالة الشعر بشرط ان يزيل ثلاث شعرات من الرأس « **الحلق او التقصير** » ويكون هذا الركن بعد الوقوف بعرفة والركن السادس هو الترتيب بمعنى تقديم الاحرام اولا وتقديم الوقوف على طواف الافاضة والحلق والطواف على السعي ان لم يفعل السعي عقب طواف القدوم .

باقي الأئمة : عندهم أركان الحج **أربعة** : الاحرام وطواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة .

وصحة الحج تتوقف على أداء هذه الاركان ، فمن ترك ركنا منها لا يصح حجه .



تربية الطفل في الإسلام

للاستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

○ ـ **نظرة الاسلام الى طبيعة الطفل**

يتمشى اهتمام الاسلام بتربية الطفل مع نظرته الى طبيعة الطفل . وبدون فهمنا لهذه النظرة يكون فهمنا لتربية الطفل في الاسلام فهما مبتورا ، ويمكن تحديد خصائص الطبيعة الانسانية للطفل كما يلي :

١ ـ يتكون الانسان من جانبين : الجانب المادي والجانب الروحي ولابد من امتزاج هذين الجانبين لتحقيق سعادة الانسان ، واما انفصالهما عن بعضهما البعض فيؤدي الى شقائه .

٢ ـ تتصف طبيعة الانسان بأنها متفاعلة أي أنها مؤثرة في الوسط المحيط بها بفعل الدوافع الفطرية المزودة بها ، ومتأثرة بهذا المحيط بفعل المرونة التى تتصف بها من حيث قابليتها للتأثر بهذا المحيط .

٣ ـ لا تنضج طبيعة الانسان بدون التربية الصحيحة السليمة الملائمة لهذه الطبيعة .

٤ ـ تتصف طبيعة الانسان عند الولادة بالحياد الاخلاقي أي يولد الطفل على الفطرة ، وبحسب التربية التى يتلقاها من بيئته يغلب لديه جانب الخير أو الشر .

٥ ـ الطفل ليس رجلا مصغرا .

وهذه الخصائص ليست منفصلة عن بعضها البعض وانما هي مرتبطة مع بعضها البعض ارتباطا وثيقا ، بحيث تكون كلا واحدا ، وهذا الفصل المصطنع انما هو من أجل سهولة توضيحها فقط .

وسيتم فيما يلي تناول كل جانب من هذه الجوانب بشيء من التفصيل

○ ـ **تكوين الانسان** :

يتكون الانسان في نظر الاسلام من جانبين : الجانب المادي والجانب الروحي لقوله تعالى : (**اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**) ص ٧١/٧٢ ،

فالطين يمثل الجانب المادي من الانسان وهو جسده ، وقد ثبت أن جسد الانسان يتكون من نفس العناصر التى يتكون منها الطين . وينبع من هذا الجانب دوافع الانسان التى تهدف الى المحافظة على بقاء الانسان وحمايته من الأخطار الخارجية التى قد يتعرض لها . وهذه الدوافع الفطرية هي ما تسمى عند المسلمين بالشهوات .

ويدل على اعتراف الاسلام بوجود هذه الدوافع عند الانسان عدد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وأقوال كبار علماء المسلمين ، ولضيق المقام هنا عن التفصيل يكتفي الباحث بذكر قوله تعالى : **(زين للناس حب الشهوات)** آل عمران/١٤ ، وقوله تعالى في الانسان : **(وانه لحب الخير لشديد)** العاديات/٨ ، والخير هنا هو الموضوعات المادية الخارجية التى تشبع دوافع الانسان وحاجاته ، كما يدل على ذلك السياق الذي توجد فيه هذه الآية في سورة العاديات .

وأما الجانب الروحي الذي في الانسان فينبثق عنه دافع التدين الفطري ، ومظهر هذا الدافع هو التقديس . وحتى حين تضل فطرة الانسان لانكبابها على الشهوات فانها برغم ضلالها تتجه نحو خالقها . وانه وان كان اتجاها تخالطه الشوائب التى تؤثر في نقائه وصفائه الا انه على أي حال اتجاه نحو الله يظهر فيه وجود دافع التدين الذي يدل عليه مظهر التقديس بشكل واضح . فيعبد الناس الله ويشركون به غيره من الكائنات **(ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)** الزمر/٣ ، والملحدون الذين يحاولون قمع دافع التدين الفطري عند الانسان لم يستطيعوا قمع هذا الدافع وانما هم يعملون على تحويله الى عبادة الابطال أو الى عبادة كائنات أخرى من مخلوقات الله أو الى منتجات من صناعة الانسان ، ويظهر ذلك جليا من تقديس الافراد لمثل هذه الأمور عندما يضلون عن الله تعالى .

وهذان الجانبان وهما : الجانب المادي والجانب الروحي لابد من اتصالهما وامتزاجهما بشكل متوازن من أجل تحقيق سعادة الانسان . فسعادة الانسان لا تتحقق الا باشباع دوافعه جميعها بشكل متوازن وبحيث يصحب عملية الاشباع هذه مزج المادة بالروح أي تسيير الاعمال التى يقوم بها الفرد لاشباع دوافعه بأوامر الله ونواهيه . فالاسلام يحض على اشباع الدوافع في عدد من الآيات والأحاديث نجتزىء منها قوله تعالى : **(قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق)** الاعراف/٣٢ ، وكره الاسلام الانقطاع التام للعبادة لاشباع الجانب الروحي واهمال الحاجات الجسدية ، فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الرهبانية وقال (ان الرهبانية لم تكتب علينا) رواه احمد ، وقال تعالى : **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص/٧٧ .

كما أمر الاسلام المسلم بأن يجعل المقياس الذي يقيس به أعماله التى

يقوم بها لاشباع دوافعه هو مقياس الحلال والحرام بحسب أوامر الله ونواهيه ، وهذا هو مزج المادة بالروح . فمثلا اباح الاسلام اشباع الدافع الجنسي ولكن بطريق منظم وبحسب قواعد معينة وضعها الاسلام للزواج وحرم الزنا وجعله من الكبائر .

وأباح اشباع دافع الجوع بأنواع معينة من الطعام وحرم أنواعا أخرى ، وأمر بأن يتم الحصول على الطعام بالطرق الحلال التى أباحها الشرع . ومن يتتبع الاحكام الشرعية يجد أن هذا الأمر وهو مزج المادة بالروح ينطبق على اشباع كل دافع من دوافع الانسان ، أي أن الاسلام يحض على اشباع كل دافع ولكن بحسب أوامر الله ونواهيه وأن يتم الاشباع بشكل معتدل ومتوازن بين جميع الدوافع ، وأي انفصال بين الجانب المادي والجانب الروحي يؤدي الى عدم التوازن بين اشباع الدوافع وينتج عن ذلك شقاء الانسان .

○ ـ اتصاف الطبيعة الانسانية بالحياد الأخلاقي

المقصود بهذا القول أن الطفل يولد على الفطرة ، وتكون قابليته للاتجاه نحو الخير اكثر اذا ما حقق التوازن بين اشباع دوافعه بشكل معتدل وكان يمزج في هذا الاشباع المادة بالروح أي كان يجعل مقياس أعماله في اشباع دوافعه مقياس الحلال والحرام المتفق مع أوامر الله ونواهيه وأما اذا لم يمزج المادة بالروح وحدث انفصال بين جانبه المادي وجانبه الروحي فانه يختل التوازن بين الجانبين فيختل التوازن بين اشباع الدوافع جميعها فينتج عن ذلك الشقاء الانساني ، كما نلاحظ في وقتنا الحاضر أن حالات القلق النفسي والانتحار تكثر حيث تسود الحياة المادية ، ويتم اهمال الجانب الروحي لدى الانسان . والاندفاع وراء اشباع الدوافع بدون ضوابط يؤدي الى تضخمها وخروجها عن الاعتدال فتدفع الانسان الى الوقوع في الشرور . ويعبر الغزالي عن الحياد الاخلاقي بقوله : « والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ، ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر ، وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات أو الاعراض عنها ومخالفتها » .

○ ـ عدم قابلية الطبيعة الانسانية للنضج بدون التربية :

عندما يولد الطفل يكون خلوا من كل علم . وكل علم يوجد لديه في مستقبل حياته انما يحصل عليه عن طريق الاكتساب من بيئته ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « وانما العلم بالتعلم » رواه البخاري ، والحقيقة أن نمو الخصائص الانسانية التى تميز الانسان عن الحيوانات وضبط دوافعه وتهذيبها وانارة العقل بالشرع لا يتم كل ذلك بشكل صحيح بدون التربية السليمة الملائمة لطبيعة الانسان وفي ذلك يقول الحسن رحمه الله : « لولا

العلماء لصار الناس مثل البهائم » . ومن هنا فقد اكتسب طلب العلم والعمل به أهمية كبرى لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه ابن ماجه ، والاسلام لا يعذر الجاهل على جهله بأي علم من العلوم النافعة له في حياته . كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ دائما من كل علم لا ينفع .

○ ـ مرونة الطبيعة الانسانية في تفاعلها مع الوسط المحيط بها :

طبيعة الطفل في أساسها متفاعلة مع الوسط المحيط بها أي أنها تؤثر في الوسط المحيط بها وتتأثر به . وفعاليتها في التأثير في الوسط المحيط بها ناتجة عن فعل الدوافع الفطرية التى يولد الطفل مزوداً بها كما سبق توضيح ذلك . وفي نفس الوقت تتصف هذه الطبيعة الانسانية بتأثرها في الوسط المحيط بها ، لان الطفل يكتسب علومه وأخلاقه من بيئته ، ويعبر الغزالي عن ذلك بقوله « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل شيء وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه » .

○ ـ نظرة الاسلام الى الطفل بانه ليس رجلا مصغرا

ينظر الاسلام الى الطفل بأنه يختلف عن الكبير البالغ في صفاته الجسمية وقدراته العقلية ولذا فانه ينبغي معاملته بشكل يتفق مع خصائصه ، ولذا فان الاسلام لا يكلف الطفل بالالتزام بالتكاليف الشرعية حتى يصل سن البلوغ ويصبح قادرا على الالتزام بهذه التكاليف من الناحية الجسمية والعقلية لتلبية الجانب الروحي ، وحتى يصل سن البلوغ لابد من الاهتمام بتربيته وتعويده على السير في طريق الخير ووقايته من السير في طريق الشر . ولذا فقد جعل الاسلام تربية الطفل ووقايته من كل انحراف واجبا دينيا وحمل مسئوليته للاباء وغيرهم من المربين الذين يشرفون على تربية الطفل . وانهم يأثمون في حالة تقصيرهم عن القيام بهذا الواجب الديني . يقول تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا)** التحريم/٦ ، ويوضح الغزالي ذلك بقوله : « والصبي أمانة عند والديه .. فاذا عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له » .

○ ـ التطبيقات التربوية

في ضوء مفهوم الطبيعة الانسانية توجد تطبيقات تربوية اسلامية لتربية الطفل سبقت بها التربية الاسلامية كل تربية في القديم والحديث . والتطبيقات التربوية التالية متصلة مع بعضها البعض ، ويصعب الفصل بينها ، وما الفصل بينها الا من أجل فهمها :

○ ـ ضرورة ايجاد التوازن بين العوامل النفسية والبيئية :

بما أن طبيعة الطفل متفاعلة

بفطرتها مع الوسط الذي يعيش فيه الفرد ، فان الفرد في أي مرحلة من مراحل نموه ، انما هو نتاج التفاعل المستمر بين العوامل النفسية الموجودة في داخله ، والعوامل الخارجية المؤثرة فيه . وتفسير سلوك الفرد ينبغي أن يتم في ضوء هذين العاملين . ونجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » رواه مسلم ، وفي هذا الحديث يقر الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ الفروق الفردية ، ثم يوضح أن المزايا الداخلية التى يتميز بها الفرد لا تجعله متميزا عن غيره الا اذا تفاعلت مع البيئة الموجود فيها .

○ ـ ضرورة استغلال الدوافع في التربية والتوجيه :

بما أن الدوافع هي محركات السلوك الانساني كان من الطبيعي أن تهتم التربية الاسلامية باستغلال هذه الدوافع . وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في تربية الاطفال . فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان ينظم للاطفال دروسا بليغة يتعلمون منها ثمرات الجهاد والسبق في الحياة وهم لا يشعرون ، وذلك عن طريق اللعب الذي يلائم طبائعهم واستغلال دوافعهم واشباع حاجاتهم فقد روى في مسند الامام أحمد أنه كان صلى الله عليه وسلم يصف الاطفال الذين يأنسون به ويقول : « من سبق فله كذا » « فيستبقون اليه ، فيقعون على صدره فيلتزمهم ويقبلهم .

○ ـ استغلال اللعب في تربية الطفل

لقد رأينا فيما سبق كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستغل اللعب في تربية الأطفال . وأدرك المربون المسلمون ما للعب من أهمية كبرى في تربية الاطفال . ومما أدركوه في هذا المجال هو أن فرض الجدية على الطفل والطلب منه بالاستمرار في التعلم وعدم السماح له باللعب الجميل المناسب له يؤدي الى ملله من الدروس واضعاف قدرته على تحصيلها والتفكير فيها والى كراهيته لها والنفور منها ، واما اذا سمح له بعد انتهاء الدرس بممارسة اللعب المناسب الترويحي فان ذلك يؤدي الى تجديد نشاطه ويزيد من اقباله على دروسه بهمة ونشاط ، ويزيد من قدرته على التحصبل والتفكير .

○ ـ ضرورة تهيئة بيئة تربوية مصفاة من الشوائب :

بما أن طبيعة الطفل تتصف بالمرونة من حيث قابليتها للتأثر بالبيئة المحيطة بها ، لذا كان لابد من احاطته بالمؤثرات التى تؤثر فيه تأثيرا ايجابيا ، وتقيه من الوقوع في الانحراف وتحميه من كل أثر سلبي . ويحض الرسول صلى الله عليه وسلم كل مسلم على أن يبذل جهده في تهيئة البيئة التربوية الصالحة لطفله في البيت عند التفكير في تأسيس البيت وحتى قبل ولادة الطفل ، ولا أدل على ذلك من أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا كل مسلم يريد أن يختار زوجته بالتفكير في الأطفال الذين ستنجبهم ،

فيعرف الصفات والمواهب التى تتمتع بهـا ، ويعرف مـدى صـلاحيتهـا لتنشئتهم التنشئة الصالحـة لأنها ستنقل اليهم مزاياها الطبيعية عن طريق الوراثة ، وستنقل اليهم صفاتها المكتسبـة عـن طـريق التـربيـة والمخالطة . وكذلك نرى المربين المسلمين يوصون بضرورة حفظ الطفل من قرناء السوء ، وألا يستعمل في حضانته الا امرأة صالحة متدينة ، وأن يكـون المعلم قـدوة حسنـة لتلاميذه .

○ ـ الاهتمـام بالأخـذ بالتـربية المستمرة :

طبيعة الطفل تتصف بالمرونة ، واهمال تربيته يؤخر نضجه من حيث اتصافه بالصفات الانسانية ، وأنه اذا عود الشر استمر عليه وأدى ذلك الى شقائه ، واذا عود الخير استمر عليه وأدى ذلك الى سعادته ، لذا كان لابد من الاهتمام بتربية الطفل منذ صغره ، والاستمرار في تربيته طيلة أيام حياته .

○ ـ ضرورة مراعاة مستوى نضج الطفل واستعداده للتعلم :

بما أن الطفل يسير في مراحل من النمو في نضجه ، فاذن لابد من مراعاة مستوى النضج الذي يكون قد وصله ، فهو لا يستطيع أن يتعلم الا ما هو مناسب له يقول تعالى (**لا يكلف الله نفسا الا وسعها**) البقرة/٢٨٦ ، ولذا لا يجوز تكليف الطفل بما هو فوق طاقته ، ويبين المربون المسلمون في ضوء ذلك أن تكليف الطفل بتعلم ما هو فوق طاقته واستعداداته لا يؤدي الا الى نفـوره من التعلم وعـدم استفادته منه ، ولذا على المعلم أن يعرف مستوى قدرات طفله وان يعرف استعداداته ليقدم له ما يناسب ذلك يقول ابن قيم الجوزيه : « ومما ينبغي للمربي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الاعمال ومهيأ لـه منها » .

○ ـ عدم معاملة الطفل على انه رجل مصغر :

يتصـل هذا التطبيق بـالتطبيق السابق ، والمراد تركيزه هنا ان الطفل لا يختلف فقط عن الكبير في القدرات العقلية ، وانما يختلف عنه في جميع الصفات ، ولا بد من احترام طبيعته هذه ومعاملته على اساسها ، فانه يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه كان يقول « من كان له صبي فليتصاب له » رواه الديلمي ، اي فلينزل الى طبيعته الطفولية وليعاملها على اساس طبيعتها التي تختلف عن طبيعة الراشد .

○ ـ ضـرورة مـراعـاة الفـروق الفردية :

لقد سبق وان رأينا ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » اي انه يوجد بينهم اختلاف في الصفات والطبائع الاساسية وفي الصفات المكتسبة ، وهذا يحتم استعمال اساليب مختلفة في معاملة الافراد ويقول المـربون المسلمون « وكما لو عالـج الطبيب جميـع المرضى بعـلاج واحد قتـل اكثرهم ، فكذلك الشيخ المريد لو اشار

على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وأمات قلوبهم » .

○ ـ التوجيه العلمي والمهني بحسب المواهب والقدرات :

تدعو التربية الاسلامية الى توجيه الطلاب الى التخصصات المهنية والتعليمية بحسب مواهبهم وقدراتهم التي يتصفون بها ، وعلى ان تبدأ عملية التوجيه بعد ان يجتاز الطالب مرحلة من التعليم يتقن فيها اساسيات العلوم المهمة له في حياته ، ويصبح في مرحلة يكون فيها قادرا على التخصص في الناحية التي تتفق مع مواهبه .

○ ـ حاجة الطفل الى الانتقال معه من المحسوس الى المعقول في تعلمه :

تنظر التربية الاسلامية الى العقل وخاصة في مرحلة الطفولة بأنه يألف المحسوسات ويصعب عليه ادراك المعقولات اذا لم تتمثل في الحواس ويقول الغزالي : « لا يحل في العقل الا ما يحل في الحواس » . ولذا فقد اهتمت التربية الاسلامية بالبدء بالمحسوسات للانتقال الى المعقول لتقريب المعاني العقلية للمعقول . ونرى القرآن الكريم تكثر فيه الآيات التي تحاول تقريب كثير من القضايا العقلية الهامة عن طريق ضرب الامثال الحسية ، ويبين الله سبحانه وتعالى ان الغاية من ضرب الأمثال للناس هي اثارة تفكيرهم ، يقول تعالى : « **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** » الحشر/٢١ . ولا يتسع المجال هنا لذكر عدد من الأمثلة على ذلك ونكتفي منها بقوله تعالى : (**مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد**) ابراهيم/١٨ . ولذا فقد اهتم المربون المسلمون باستعمال الوسائل الحسية في تعليم الاطفال لتوضيح العلوم لهم .

○ ـ حاجة الطفل الى الانتقال معه من السهل الى الصعب في تعلمه :

لقد سبق وان رأينا ان التربية الاسلامية تهتم بمراعاة مستوى نضج الطفل وتشدد على الا تقدم له الا ما يتناسب مع قدراته واستعداداته لأن كل ما يقدم له وكان فوق مستوى نضجه واستعداداته يصعب عليه فهمه ولهذا فانه لا بد من استعمال الوسائل الحسية لمساعدة الطفل على فهم العلوم والبدء معه في تعلم السهل والانتقال معه الى الصعب .

○ ـ حاجة الطفل الى الانتقال معه من المعلوم الى المجهول في تعلمه :

لما كان فهم المعلوم اسهل من فهم المجهول لذا كان لا بد من البدء بالمعلوم في تعليم الطفل والانتقال به الى المجهول . ويذهب المربون المسلمون الى ان العلوم المجهولة يصعب اكتسابها بدون العلوم السابقة فيقولون : « كل علم مكتسب فبعلم قد سبق ان اكتسب » ويقولون : « العلوم الخفية توزن بالعلوم الجلية » .

○ ـ الثواب والعقاب :

تميل التربية الاسلامية الى

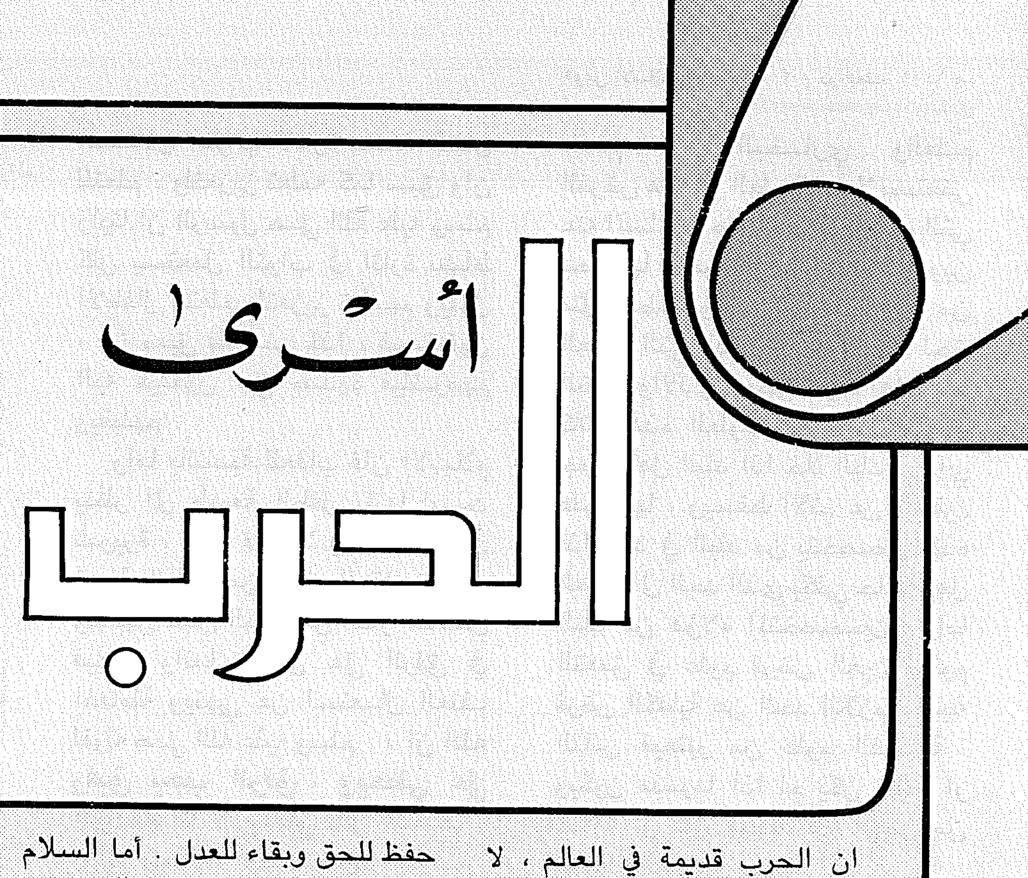
استغلال الثواب لاثارة نشاط الطفل للتعلم ، ولتعزيز تعلمه كما سبق وان رأينا ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستعمل الثواب في اثارة نشاط الاطفال للتعلم ولتعزيز تعلمهم ويقول « من سبق فله مني كذا » فيستبقون اليه فيقعون على صدره فيلتزمهم ويقبلهم .

وأما بالنسبة للعقاب فان الاسلام ينظر الى طبيعة الطفل بانها ليست شريرة ، ولذا فهو لا يقر العقاب في تربية الطفل من اجل العقاب نفسه ولتطهير نفس الطفل من الشر المتأصل فيها . وانما يحض على الرفق في المعاملة وينهي عن استعمال العنف لقوله صلى الله عليه وسلم : « **ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرحمة ما لا يعطى على العنف** » رواه مسلم . وقد ادرك المربون المسلمون المضار النفسية والعقلية والجسمية والخلقية التي تنتج عن استعمال العقوبات القاسية ومما يقوله ابن خلدون في هذا المجال : « من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين ... سطا به القهر وضيق على النفس انبساطها ودعا الى الكسل وحمل على الكذب والخبث ... وفسدت معاني الانسانية التي له ... وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل » .

○ - **اجبارية التعليم** :

لأهمية التعليم في حياة الانسان فقد جعله الاسلام اجباريا على كل فرد مسلم لقوله صلى الله عليه وسلم « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » رواه البخاري . والعلم الفرض هذا هو العلم الذي لا يستغنى عنه المسلم في حياته . واما العلوم التي يحتاجها بعض الأفراد دون الآخرين مثل الطب والصيدلة وغيرها من العلوم التي اذا خلا منها بلد لحق الضرر والأذى ببعض افراد اهل البلد كانت هذه العلوم فرض كفاية يأثم جميع اهل البلد اذا خلا البلد من اي علم منها ، ويسقط الأثم عن الباقين اذا وجد في البلد من يتخصص بهذه العلوم الى الحد الذي يكفي حاجة اهل البلد من هؤلاء المتخصصين . واما التعمق في علوم فرض العين وعلوم فرض الكفاية عن الحد اللازم لحاجة الناس فيغتبر من علوم الفضيلة ، ويكون مذموما اذا لم يكن نافعا او ضارا او كان مبنيا على اسس من الوهم والخرافة .

رأينا فيما سبق ان درجة وجوب تعلم العلم من حيث كونه فرض عين او فرض كفاية او فضيلة او من حيث كونه مذموما انما يكون بحسب درجة نفعه للفرد او للمجتمع او بحسب الضرر الذي يحصل منه للفرد او للمجتمع . ولذا فانه من الواضح ان الاسلام لا يحض على طلب العلم لمجرد حشو العقول بالمعلومات التي لا تستعمل في الحياة ولا تكون نافعة . ونرى القرآن الكريم يذم الذين يتعلمون علما ولا يعملون به بأسلوب يعادل اقسى الزواجر يقول تعالى (**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا**) الجمعة/ ٥ .

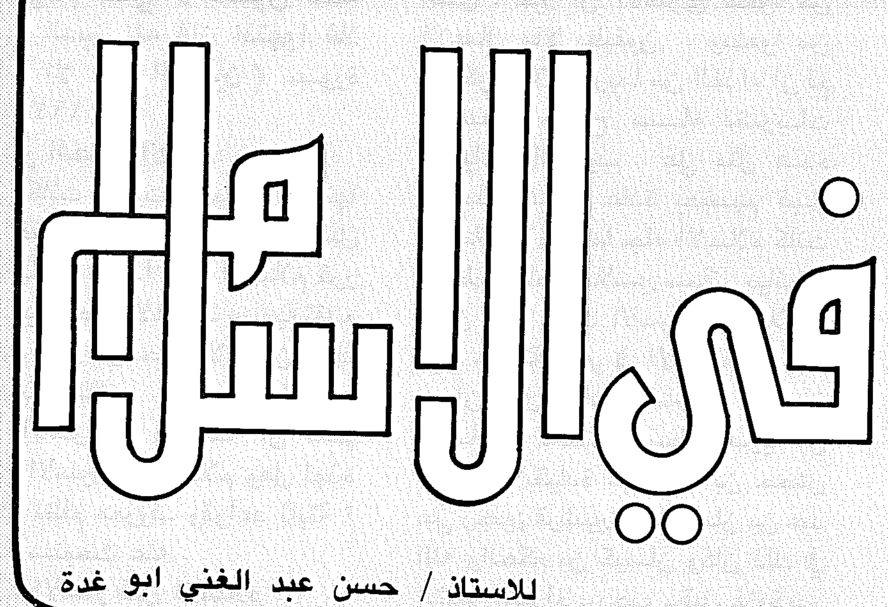


أسرى الحرب

ان الحرب قديمة في العالم ، لا يخلو منها زمان ومكان ، لأن الاقتتال طبيعة في البشر . وسبب ذلك كما يقول ابن خلدون : اما غيرة ومنافسة ، واما غضب لله ولدينه ، واما غضب للملك والسيطرة وسعي الى تمهيد ذلك ، واما عدوان على الآخرين .

والناس يدركون خلو الحرب في كثير من الاحيان من الرحمة والهوادة ، فمن لوازمها القسوة والغلظة ، ومع ذلك فهم يسارعون اليها ، اذا أخفقت جهودهم السلمية ، وفشلت وسائلهم الدبلوماسية في الحد من عدوان الظالم **(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)** البقرة/٢١٦ ففي رد العدوان حفظ للحق وبقاء للعدل . أما السلام الدائم فهو أمر مستحيل في البشر عند ابن خلدون ، لأن القتال ناتج عن اختلاف ارادتين : احداهما تريد الانتقام والعدوان والأخرى تدافع ضدها ، فاذا تجمع حول كل ارادة المتحزبون لها كانت الحرب .

وفي عصرنا الحاضر تسعى الدول الى اقرار السلام وابعاد شبح الحرب ، وربما صدق هذا على بعض الدول ، لأن هناك من يحضر المؤتمرات ونية الغدر وأسلحة الفتك والدمار تلازمانه ، ثم ان جهود السلام تتعارض مع أهواء الدول الكبيرة وأطماعها ، فهي لذلك تسعى في فرض نفوذها ومذهبها السياسي أو اتجاهها الاجتماعي . وما دام الواقع العالمي



للاستاذ / حسن عبد الغني ابو غدة

كذلك فان الحرب مستمرة وفكرة الغائها لا يمكن لها أن تستمر ، وسيبقى القتال مهددا العالم .

مشروعية القتال في الاسلام :

اذا كان القتال شبحا مخيفا يخشى الناس وقوعه ، فان الاسلام لا يزاوله لبسط نفوذ ولا لقصد عدوان . فهو الذي عاب الافساد في الارض والاعتداء على الناس (**ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**) البقرة/١٩٠

ولكن لماذا شرعت الحرب في الاسلام ؟

١ ـ من مشروعية القتال رد العدوان ومقاومة الظالم ، لأن طرد المسلمين من ديارهم ومبادأتهم بالعدوان ، ونقض العهود معهم تشكل دوافع كافية لقتال العدو (**ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة**) سورة التوبة/١٣ (**فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين**) سورة البقرة/١٩١ .

٢ ـ كما أن من مشروعية القتال تأمين وصول الدعوة الاسلامية الى الناس ، لأن الاسلام ، لا يقف مكتوف اليدين أمام من يقف في طريق دعوته ، ويمنع الناس من سماع الاسلام وفهمه بما يفرضه عليهم من ارادة ظالمة وقوة غاشمة . فمن حق الناس اختيار ما يريدون من عقيدة وما يرضون من دين . وليترك المتسلطون دعاة الاسلام يحاجون غيرهم ويناقشونهم ولتكن الغلبة

للحجة والبرهان لا للتسلط والقهر **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)** سورة البقرة/١٩٣ .

من آثار الحرب الأسر :

اذا كانت الحرب وسيلة لابد منها عند اخفاق الجهود السلمية وفشل المفاوضات ، واذا كان الاسلام قرر مشروعية الحرب لأهداف سامية تقدم ذكرها ، فان كل حرب لابد أن تترك آثارها بين الناس ، ومن آثار الحرب ظهور الأسرى . ويهمنا أن نعلم معاملة الأسير في الاسلام وهل لهذه المعاملة نظام معروف وقواعد ثابتة ؟ هذا ما سنبحث عنه .

معاملة الأسير قبل الاسلام :

الأسير هو الشخص الذي يقع في قبضة دولة معادية في الحرب أو قبلها أو بعدها ، وربما كان الأسير رجلا أو امرأة .

وسمي أسيرا لوقوعه في الأسر وهو الاحتباس الذي يصاحبه في العادة التقييد أو ربط اليدين ليمنع من الفرار والعدوان .

بدأ الأسر في التاريخ عقب الغزو أو الحرب اللذين كانا يسودان بين الأقوام والجماعات ، فتكون نهاية ذلك استبقاء الافراد الذين ألقي القبض عليهم بيد أعدائهم ، ثم أصبح للأسير نظام خاص للمعاملة عند قدماء المصريين والصينيين والهنود ، كما أن الرومان واليونان والفرس كانت لهم معاملات معينة للأسرى . حتى عرب الجاهلية عرفوا معاملة منتظمة مع الأسير : كالفداء أو الاستخدام أو القتل . غير أن الأسرى كلفوا من الاعمال مالا يطيقون ، ومنعوا من السكن الملائم وربما من الغذاء ان لم يخضعوا صباح مساء لضربات السياط والتعذيب . على مثل هذه المعاملة كانت عادة بعضهم قبل الاسلام . وعندما جاء الاسلام كانت له نظرة خاصة للأسير سيأتي بيانها . ولكن متى حدث الأسر في الاسلام ؟

أول حادثة أسر في الاسلام :

ان أول حادثة اسر في التاريخ الاسلامي كانت في سيطرة سرية من المسلمين بقيادة عبد الله بن جحش على رجلين قرشيين هما عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وكان ذلك في الشهر الحرام ـ رجب ـ قبل غزوة بدر الكبرى ، وقد رد رسول الله هذين الأسيرين الى قريش بعد أن عاد رجلان من السرية الى المدينة ، وكانا قد تخلفا في الطريق . فلما تأكد رسول الله من رجوع جميع رجاله أعاد الأسيرين الى قريش . ولم تتعرض آيات القرآن لقصة هذين الأسيرين .

ولما اشتد عود المسلمين وانتزعوا النصر العسكري في معركة بدر حصلوا على سبعين اسيرا من أفراد عدوهم ، وكانت مسألة الأسرى من آثار المعركة التى اختلفت وجهات نظر المسلمين فيها . فعمر بن الخطاب ومعه بعض الناس يرون قتل جميع الأسرى وعدم قبول افتدائهم . وابو بكر الصديق ومعه بعض الناس يرغبون في الفدية ولا يريدون القتل لأن الأسرى من الأهل والقرابة ، وأخذ

الرسول بالرأي الثاني وقبل الفداء ممن يستطيعه .. الخ ونزلت آيات القرآن تعرض ـ ولأول مرة ـ لمسألة الأسرى (**ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**) سورة الأنفال/٦٧ .

من هو الأسير ؟

الأسير في النظام الاسلامي هو فرد من العدو المحارب غير المسلم وربما أمسك به قبل الحرب أو بعدها ، سواء كان جريحا ام سليما . وعليه فلا أسر لأفراد العدو المهادن أو المصالح الا لحدوث غدر ووقوع خيانة ، كما أنه لا أسر لأفراد مسلمين : فلو ثار بعض المسلمين على السلطة أو خرجت طائفة منهم على الدولة فألقي القبض عليهم فهؤلاء بغاة وليسوا أسرى ولهم معاملة مغايرة تختص بشرحها كتب الفقه الاسلامي . وربما سموا أسرى تجوزا .

التحكم بالأسير :

ذهب بعض العلماء الى أن الفرد الآسر أو المجموعة الآسرة هي التى تتحكم في مصير الأسير وممتلكاته بل هي صاحبة الارادة الوحيدة في ذلك قياسا على قوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلا فله سلبه » حديث متفق عليه ، والسلب هو ما يملكه القتيل من متاع وسلاح اثناء المعركة . فكذلك من أسر أسيرا فهو حر الارادة فيه . وأضافوا الى ذلك ما أخرجه الحاكم من أن آسري العباس بن عبد المطلب توعدوه بالقتل بعد بدر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس ، وقد زعمت الانصار آنهم قاتلوه . قال عمر : أفآتيهم ؟ قال نعم فأتى عمر الانصار فقال لهم : ارسلوا العباس . فقالوا : لا والله لا نرسله . فقال عمر : فان كان لرسول الله رضا ! قالوا : فان كان له رضا فخذه . فأخذه عمر .

وفي تقديري أن قصة العباس مع آسريه لا تصلح لما ذكروا ، بل لها توجيه آخر هو أن الأنصار توعدوه بالقتل توقعا لما سيوقعه به الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل أنهم لما قبل الرسول الفداء بحكم كونه رئيس الدولة لم يصر الأنصار على قتل العباس وتسليم العباس الى عمر طاعة من الأنصار لقيادتهم التى لها حق التصرف المطلق لأن من المعروف في الفقه الاسلامي أن راى الحاكم هو الذي ينهي مصير الأسرى .. ولما سبق فان الذي يتحكم في مصير الأسير رئيس الدولة لا الأفراد أو المجموعة الآسرة ـ لأن أسير الحرب هو أسير للدولة . وهذا ما قرره القانون الدولي فاعتبر أسير الحرب اسيرا للدولة وحدها وهي التى تقرر مصيره .

ما يحمله الأسير :

يكون مع الأسير المحارب عادة سلاحه ولوازم حربه من أجهزة وعتاد وربما مبالغ من المال وما شابه ذلك . والحكم في ذلك أن الممتلكات ملك للدولة الآسرة لا الأفراد ، والتصرف فيها خاضع لرأي القائد المفوض أو الحاكم العام . ويحرم على الأفراد أخذ شيء من ذلك الا باذن من

الحاكم . وكل سرقة قبل توزيع المغانم غلول وسحت « لا تغلوا فإن الغلول نار وعار على أصحابه في الدنيا والآخرة » حديث رواه أحمد والنسائي .

وربما احتاج القائد الى حماسة المقاتلين فبث فيهم الشجاعة والمنافسة فأباح لهم تملك ممتلكات من يقتلونه أو يأسرونه من العدو ، فهذا أمر جاء في الاسلام لأن تقدير المصلحة عائد الى القائد ، ومن المصلحة تشجيع الأفراد المقاتلين على العدو ورفع روحهم المعنوية بما هو مناسب ومشبع لرغبات الأفراد « من قتل قتيلا فله سلبه » وقد قال عبد الله بن جحش « اللهم ارزقني رجلا شديدا أقتله وآخذ سلبه » . اخرجه الحاكم والبيهقي بسند صحيح .

تقييد الأسير :

أجاز الاسلام ربط يدي الأسير أو تقييده بجذع شجرة أو عمود أو غير ذلك ، وهو حينما يقرر ذلك يقصد به التحفظ على الأسير والحذر من هربه أو عدوانه . أخرج أبو داود عن جندب بن مكيث أنه خرج في سرية فأسروا الحارث بن البرصاء فقال لهم : اتركوني فقد جئت أريد الاسلام . فقالوا : ان تكن مسلما لم يضرك رباطنا يوما وليلة ، وان تكن غير ذلك نستوثق منك . ثم شدوا وثاقه أخذاً من الآية الكريمة (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق**) سورة محمد / ٤ وجريا على عادة القرآن في تعليم المسلمين الحذر من العدو فقد أرشدهم ـ كما يقول المفسرون ـ ولم يلزمهم بربط الأسير أو تقييده .

وربما تستنكر بعض الدول اليوم ربط الأسير أو تقييده ، وتعتبر ذلك اهدارا لكرامة الانسان ، وفات تلك الدول أن ذلك للحذر والتحفظ . بل ان هناك من يدعي التقدم والحضارة ثم يخرق الكرامة الانسانية ، بما يقوم به من قتل وتشريد وعدوان على الابرياء من أطفال ونساء وشيوخ ، وليست حروب أفغانستان وارتيريا بعيدة عنا ، كما أن فعل العدو الاسرائيلي شاهد حاضر على هدر حقوق الانسان وكرامته .

هذا وقد ربط رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيره ثمامة بن أثال في سارية ـ عمود ـ المسجد النبوي ، وربما قصد الرسول صلى الله عليه وسلم تعريف الأسير بدين الاسلام وشعائره وسلوك المسلمين ومعاملاتهم وعدالتهم وسمو دينهم . ولقد تأثر الأسير بمن خالطهم حيث انه لما أطلق سراحه دخل الاسلام فتأثر به قومه لأنه كان زعيمهم فلا يعقل أن يخالفوه . وفي أمثال ثمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجب ربنا عز وجل من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل » حديث رواه البخاري .

تعذيب الأسير :

ان المتتبع للنصوص الاسلامية في معاملة الأسرى يجدها تفيض بالاحسان الى الأسرى ومد يد المساعدة اليهم . لأن الأسير مخلوق وقع في شدة وضيق فيحسن بالآسرين ان يقدموا له العون ويخففوا عنه الشدة ، فربما ترك عداوته لهم

وانخلع عن الشرك الى الاسلام من حسن المعاملة (**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**) سورة الانسان/٨ ثم ان الاسلام دين هداية لا عداوة وحقد . فهو لا يبيح لاتباعه مبادأة الأسير بالعدوان والايذاء والتعذيب ليكره على الاعتراف بأمر ما أو ليحمل على افشاء أسرار دولته . خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت رجلا من بني حنيفة لا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفي أحسنوا اساره ثم رجع الرسول الى أهله فقال لهم : اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به الى ثمامة وأمر رسول الله بلقحته (ناقته) أن يغدا عليه بها ويراح » كما في الروض الأنف وأصل الحديث عند الشيخين .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين يوم بدر : استوصوا بالأسارى خيرا . فاذا كان الاسلام يكرم الأسير ويطعمه ويستوصى به خيرا فهل يعقل أن يسمح بتعذيبه أو ايذائه ؟ أما اذا جرت عادة الدول المعادية على تعذيب أسرى المسلمين والاضرار بهم لحملهم على افشاء الأسرار فلا مانع حينذاك من التماثل في المعاملة ، لايقاف العدو عن عدوانه وكفه عن فعله السيء . وما ورد من روايات وقصص فيها تعذيب المسلمين لأسراهم فانما هي من باب التعامل بالمثل لا المبادأة بالعدوان .

والشيء المتعارف عليه دوليا في عصرنا الحاضر ان الأسير لا يكره على شيء من المعلومات سوى اسمه ورقمه العسكري ورتبته ، وقد سبق الاسلام هؤلاء حينما أرشد الى اعانة الأسير وسماع شكواه كما كان يفعل رسول الله عندما يتردد على ثمامة وهو في المسجد يسأل عن حاله .

معتقلات الأسرى :

كان الأسرى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعون في المسجد كما فعل بثمامة بن أثال . أو يربط الى جذع شجرة بشكل مؤقت ليتم تقرير مصيره أو يحتفظ به في غرفة أو بيت من البيوت كما فعل بسهيل بن عمرو حينما أودعه الرسول صلى الله عليه وسلم في حجرة سودة بنت زمعة احترازا من هربه كما في سنن ابي داوود ، ولم تكن بساطة حياة العرب تساعدهم على تخصيص معتقلات أو بناء سجون للأسرى ، خاصة اذا علمنا أن تبادل الأسرى أو تقرير مصيرهم كان لا يأخذ مدة بعيدة من الزمن حسب استراتيجية حروب ذلك العصر ، وما دام الاسلام دين النظافة ، يأمر بها ويحث عليها « ان الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم (ساحاتكم) ولا تشبهوا باليهود .. رواه الترمذي فلا نستطيع أن نتصور المسجد أو البيت أو ساحات المسلمين الا نظيفة صحية تتوفر فيها راحة الأسرى وتحفظ فيها سلامة أجسادهم ويبتعدون عن الأمراض

والأوبئة والصخب والقلق .

وعلى هذا فالأسير كان يلقى العناية الصحية والراحة الجسمية عند المسلمين اضافة الى تلبية رغباته وتأمين حاجاته ومتطلبات جسمه . وقد ذكرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرسل الى الأسير الطعام والغذاء ويأمر بالناقة ليشرب منها صباحا ومساء . ويستمع الى شكواه في معتقله قائلا : ما عندك ياثمامة ؟ ثم تغير اسلوب المعيشة وبنيت السجون ووضع فيها الأسرى وتمتعوا فيها بالراحة والطمأنينة والاحترام الى أن افتدوا أو اطلق سراحهم .. الخ . وبهذا يكون الاسلام سابقا عصرنا المسمى بعصر النور والذي يطالب باحسان معاملة الأسرى وحفظهم في معتقلات خاصة تحفظهم من القتال ، وتتوفر فيها أساليب الراحة ومتطلبات الصحة والسلامة . ولم يحدث في تاريخ المسلمين ان لقي الأسير منهم الجوع والقهر والتعذيب وقطع الاطراف على النحو الذي تعامل به بعض الدول أسراها في عصرنا هذا الذي يسمى بعصر النور كل ذلك يتم على أيدي أبناء الأمم التى تدعي أنها حامية الانسان والحضارة والمدنية ، قال عمر بن الخطاب : يارسول الله دعني انزع ثنيتي (سني) سهيل بن عمرو ويدلع لسانه حتى لا يقوم خطيبا يحرض عليك ، فلم يأذن له بذلك .

العناية بالأسير :

من المبادىء الاسلامية تكريم الانسان واحسان معاملته (**ولقد كرمنا بني آدم**) سورة الاسراء/ ٧٠ ، ومن هذا المنطلق شرع الاسلام تكريم الأسير ورعايته الرعاية اللائقة به كانسان له روح وحياة يحيا بها . ومن رعاية الأسير توفير طعامه وشرابه وملبسه واطمئنانه على أهله واولاده وحفظ صحته من الأمراض والعدوى ومعالجته ان لزم الأمر ، وهذه التكاليف تقوم بها الدولة بحكم واجبها تجاه أسراها حتى يتقرر مصيرهم ، ذلك لأن الأسير يعجز عن التكسب والانفاق على نفسه ورعاية شؤونه ، فلا بد من العناية به ممن يمنعه من القيام بذلك . والأسلام لا يجيز حرمان الأسير من الطعام أو الدواء كما لا يسمح للأمراض بالفتك به وهو لا يوافق على تعرية الأسرى وهتك كرامتهم باظهارهم عراة دون ستر عورتهم . ولقد أثنى الله على من يطعم الأسير في قوله : (**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**) سورة الانسان/ ٨ بل هذه من صفات المؤمنين الملازمة لهم ، بل ان المسلمين كانوا يشركون الأسرى معهم في الطعام كما قال أبو عزيز أسير المسلمين في بدر : كنت في رهط من الانصار فكانوا اذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز واكلوا التمر لوصية رسول الله اياهم بنا .. الخ ، اما كسوة الأسير فهي واجبة سترا لعورته وصيانة لكرامته الآدمية (**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا**) سورة الاعراف/ ٢٦ والاسلام يوجب دفع البرد عن الأسير بما يعطي من ثياب

تحميه من البرد وتحفظه من الحر أو تدفع عنه الأذى ولقد اتى بالعباس بن عبد المطلب وهو أسير في بدر ولم يكن عليه ثوب يستره فامر له رسول الله بثوب يكسوه .. حديث رواه البخاري ، وحفظ صحة الأسير وتأمين راحته مطلوب في قوله صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالأسارى خيراً » ولا مانع بعد ذلك من تقدير الناس وانزالهم حسب منازلهم ومراكزهم الاجتماعية أو العسكرية ، اذ ليس في الاسلام ما يمنع من معاملة اصحاب الرتب من الضباط الأسرى معاملة أفضل وأحسن مستوى ممن دونهم ، على أن لا تهدر حقوق الأخرين ولا يتساهل في الحد الطبيعي والانساني في معاملة عامة الأفراد العاديين .

مصير الأسرى :

بدأت النصوص الاسلامية تعالج مسألة الأسرى بدءا من أسرى بدر ، فقد استشار الرسول أصحابه في مصيرهم فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالعفو عنهم وقبول فدائهم لأنهم الأهل والقرابة ، وأشار عمر بقطع رؤوسهم والخلاص من شرهم وأشار عبد الله ابن رواحة بتحريقهم في واد كثير الحطب ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رغب في الفداء وأخذ برأي ابي بكر لعلهم يتوبون ويؤمنون ولعل المسلمين ينتفعون بالفداء والمال ، ثم نزلت آيات القرآن تحبذ رأي عمر وتتمنى لو أن الرسول قتل الأسرى ، لأن الرحمة لا تنفع معهم واللين لا يجدي أمامهم فهم (مجرمو حرب) حسب تعبيرنا المعاصر لأنهم نكثوا أيمانهم واخرجوا الرسول من بلده وعذبوا الضعفاء وقتلوا المسلمين وهم الذين بدأوا بالحرب يوم بدر (**ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض**) سورة الانفال/٦٧ .

ولعل في تقتيل الأسرى يومئذ ارهابا للمعتدين وتخويفا للغادرين ولكل من تسول له نفسه العدوان على الاسلام وأهله ، ثم لما قوي المسلمون وانتشر الاسلام استقرت معاملة الأسرى على أمور ١ - الفداء ٢ - المن ٣ القتل ٤ - الاسترقاق

ولذا جاءت تعبيرات الفقهاء بأن الامام (الحاكم) مخير بين هذه الأمور الأربعة كما في الهداية من كتب الحنفية وغيره .

○ **أما الفداء** : فقد قرره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تصرف به مع الأسرى مقابل دفع مبلغ من المال يدفعه الأسير أو اهله أو الدولة المسؤولة عنه . وقد اطلق سراح العباس بن عبد المطلب مقابل مبلغ من المال ، فان لم يكن للأسير مال أو لم يفد به فأمامه مجال تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ليطلق سراحه . وقد تعلم الصحابي الجليل زيد بن حارثة من أسير في معركة بدر .

● وقد يفدى الأسير بتبادله مع أسرى المسلمين عند العدو « فادى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مسلما برجلين مشركين » حديث أخرجه مسلم والترمذي .

واستمر العمل بالفداء بين الدولة

الاسلامية وأعدائها ، فقد كانت العادة بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية أن ينتهي مصير الأسرى بالفداء المالي أو الشخصي ، فيعين المكان والزمان للتبادل ويتم ذلك بصفة رسمية محفلية (ابن الاثير في حوادث عام ١٨١ هـ) وليس هناك مقدار معين من المال ، وانما يقدره الحاكم حسب الظروف والملابسات وحال المسلمين .

○ **وأما المن** : فهو التفضل على الأسير باطلاق سراحه دون مقابل ، لطمع في اسلامه (كثمامة بن أثال) أو تغيير مواقفه أو لأنه فقير لا يجد ما ينفقه ، أو يتعهد بأن لا يعين على المسلمين عدواً .. الخ وقد من رسول الله صلى الله وسلم على أبي نمرة الشاعر يوم بدر بعد أن شكا اليه الفقر وكثرة الأولاد ، وعاهده أن لا يعين عليه عدواً (واعطاه كلمة الشرف كما في تعبيرنا الحديث) وحينئذ تركه الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكنه نكث وعده وغدر بعهده . وخرج مع المشركين يوم أحد كما سنبين ذلك فيما يأتي . والمن والفداء مذكوران في قوله تعالى (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء**) سورة محمد / ٤ ..

○ **وأما القتل** : فهو ليس الحل الوحيد لمصير الأسير لأننا ذكرنا أن الحاكم مخير بين أربعة أمور ، لكننا لو تتبعنا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ودرسنا المواطن التى قتل فيها أسراه وجدناها قليلة بالنسبة الى الفروع الاخرى من مصير الأسرى ، بمعنى ان الرسول لم يقتل من الأسرى الا معاملة بالمثل لأن اعداءه كانوايقتلون أسراهم من المسلمين (قتل خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وهما في الأسر) . كذلك فإن الرسول لم يقتل من الاسرى الا من رأى منه الغدر والاعتداء على حرمات المسلمين فهذا ابو نمرة الشاعر نقض عهده وأخل بوعده ونكث كلمة الشرف والوفاء التى أعطاها لرسول الله ، فوقع في الأسر يوم أحد وطلب من الرسول أن يمن عليه لكثرة عياله ولكن الرسول رفض وعامله معاملة يستحقها مجرم الحرب في عهدنا وقال له : لا أعفو عنك حتى تجلس في مجالس مكة وتمسح عارضيك وتقول خدعت محمداً مرتين وقال له لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ثم أمر بقتله كما في فتح الباري . واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم يعامل من آذاه ـ من الأسرى ـ والب عليه الناس بالقتل حتى يردع المجرم ويوقف المعتدي والسيرة تذكر معاملة الرسول لبني قريظة بالتقتيل لأن يهود بني قريظة عاهدوا الرسول على أن يعيشوا مسالمين في المدينة ، يردون معه عدوان المعتدين عليها ، واذ بهم ينقضون العهد ويساعدون قريشا على المسلمين في غزوة الخندق ، بل يتحرشون بالمسلمين من خلف صفوف القتال ويضعفون عزيمتهم عن مقاومة عدوهم الأمامي ، فما كان لهم من جزاء الا القتل بما أثاروا من ذعر في صفوف المقاتلين المسلمين ، وما قاموا

به من عدوان على المدنيين الآمنين في المدينة المنورة .

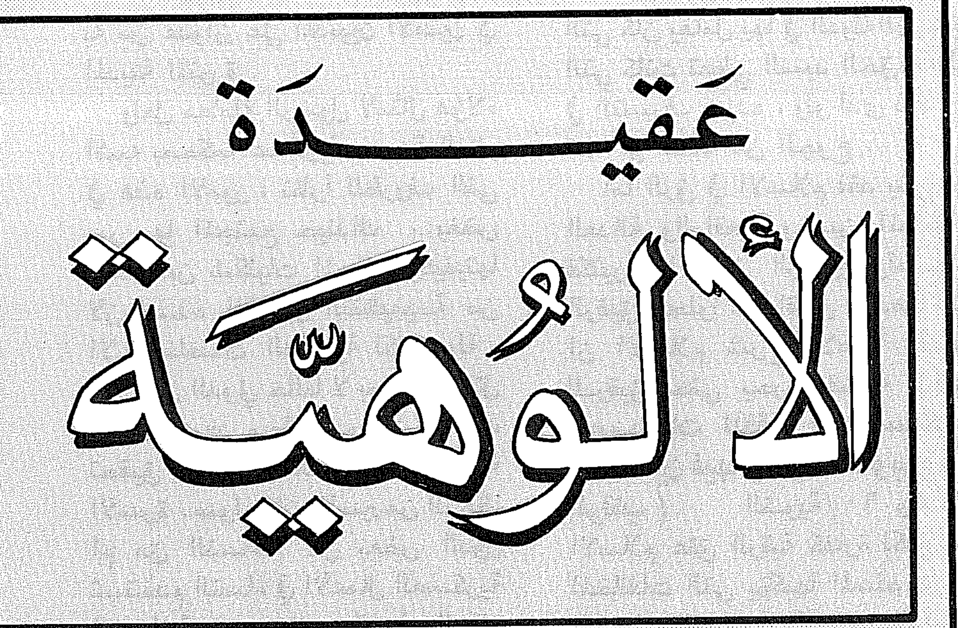
ولعل معاملة الرسول لأمثال هؤلاء أشبه بمحكمة عسكرية سريعة النظر في هذه الأمور ، نظراً للظروف التى يمر بها المجتمع حينذاك ، بغض النظر عن شكليات المحاكم وكيفيتها لأن هذه الأمور التنظيمية من الاختصاصات الداخلية لكل دولة . والقانون الدولي حاليا لا يمنع من قتل الأسرى بعد محاكمتهم لأن في ذلك تحقيق الأمن والمقاصد للدولة الآسرة . سواء كان الأسير من الرجال أم من النساء . لأن بعض الدول تستخدم النساء في الأعمال العسكرية العدوانية فهن والرجال في الحكم سواء لارتكاب العدوان والغدر وخلف الوعد .

الاسترقاق : وهو الضم الى ملك المسلمين للاشراف على الأسير واستخدامه وتأديبه بأدب الاسلام فيتأثر بذلك ويقبل على الدين بفهم وقناعة . وربما أطلق سراحه وأعتق لحسن سلوكه وطيب نفسه وصدق أخلاقه .

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن نظام الرق مبدأ مقرر منذ العصور القديمة عرفه قدماء المصريين وأيد صحته الفيلسوف « ارسطو » واستمر العمل الى أن جاء الاسلام فأقر المعاملة بالمثل وليس من المعقول ان يسترق الاعداء أسرى المسلمين ، أن يحرر المسلمون أسرى اعدائهم . وشرع الاسلام من الاحكام ما توجب الاحسان الى الرقيق على غير العادة التى كان يعامل بها في الدولة الرومانية التي كانت تعطي السيد الحق المطلق في التصرف بعبده ، ولو أدى ذلك الى قتله أو اماتته من الجوع .

أما الرق في الاسلام فقد بني على العدالة والواقعية وحسن المعاملة . فكثيراً ما اعتق الرسول وأصحابه الرقيق وعملوا على اقلال عددهم ، بل ان الاسلام شرع الاعانة المالية للرقيق حتى يحرر نفسه (**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين فيها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب**) التوبة/ ٦٠ وشرع الاسلام عتق الرقبة كفارة لكثير من المخالفات التى يرتكبها المسلم . وما اكثر المخالفات في النفوس البشرية (**ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة**) سورة النساء/ ٩٢ وكفارة اليمين اذا حنث بها صاحبها (**اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة**) سورة المائدة/ ٨٩ وغير ذلك .

ونهاية القول : ان الاسلام كان يرعي الأسرى ويكرم فيهم انسانيتهم ، ولا يلقيهم في المعتقلات المظلمة ليموتوا جوعاً وعرياً ومرضاً ، ولا يكلفهم من الاعمال ما يقصم ظهورهم على النحو الذي تعامل به الأسرى في عصر الحضارة حيث تقطع الأطراف وتسترق الشعوب قبل الأفراد في بلاد تعترف قوانينها بالتفرقة العنصرية بين السود والبيض بصفة يأباها الطبع الانساني السليم .



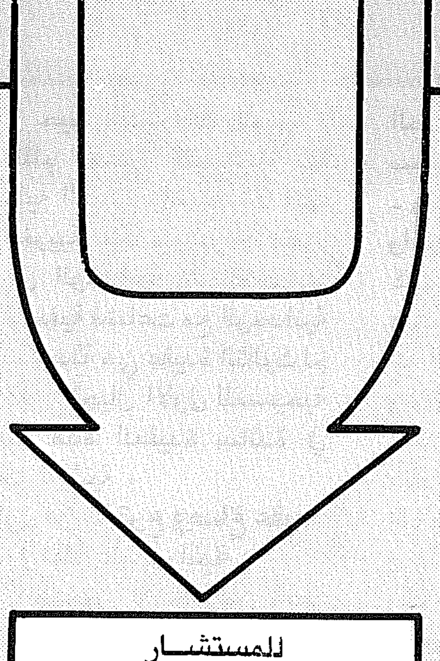
عقيدة الألوهية في رسالة النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام الى بني اسرائيل قائمة على توحيد الله بالعبادة ، وان المسيح عليه السلام بشر رسول ومن يرجع الى النصوص التي تنسب الى المسيح وليس ما الحق بكلامه وسيرته ، يجدها كلها تدعو الى التوحيد الخالص وان ما ورد من كلمة البنوة لله في بعض المواقف ما كانت الا من قبيل المجاز ويراد منها المحبة والطاعة ولهذا كانت تستعمل مع جميع المؤمنين الصالحين ولم يختص بها المسيح وحده .

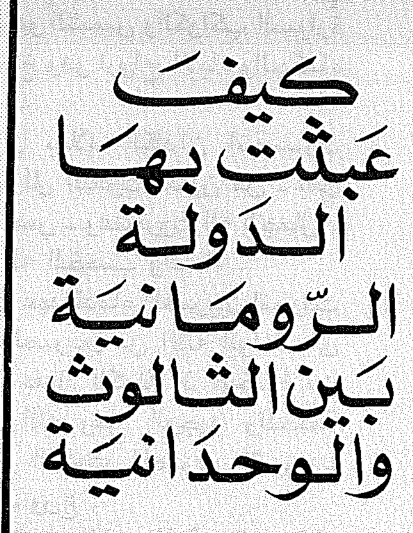
فعن وحدانية الاله قوله :

● (جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى انه اجابهم حسنا سأله اية وصية هي اول الكل فأجابه يسوع ان اول كل الوصايا هي اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد ـ وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الاولى) ـ انظر انجيل مرقس في الاصحاح الثاني عشر عدد ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ وكلمة يسوع تعني عيسى المسيح .

● ويؤمن الكاتب السائل على كلام المسيح عليه السلام (فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس اخر سواه) انجيل مرقس في الاصحاح السابق عدد ٣٢ .

● (وسأله رئيس قائلا ايها المعلم الصالح ماذا اعمل لأرث الحياة الابدية فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحا ليس احد صالحا الا واحد وهو الله) ـ انظر انجيل لوقا في الاصحاح





كيف عبثت بها الدولة الرومانية بين الثالوث والوحدانية

للمستشار
محمد عزت الطهطاوي

الثامن عشر عدد ١٨ ، ١٩ .

● ويقول في الاصحاح السابع عشر عدد ٣ (وهذه هي الحياة الأبدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) .

وعن البنوة لله يقول المسيح عليه السلام :

● (فصلوا انتم هكذا ، أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض) - انظر انجيل متى - الاصحاح السادس عدد ٩ ، ١٠ .

● (فكونوا رحماء كما ان اباكم ايضا رحيم) - انجيل لوقا في الاصحاح السادس عدد ٣٦ وفي هذا المقام يستطيع كل مؤمن بالله ان يقف ويناجي اباه اي ربه الذي دعاه المسيح ابانا بصيغة الجمع ويتخلق بصفة الرحمة لان رب الجميع رحمن رحيم اي انه اب لجميع المؤمنين وليس ذلك قاصرا على المسيح ولذا جاء في بعض نصوص الانجيل من اطاع الله كان ابنا لله - ومن اطاع الشيطان كان ابنا للشيطان .

- وفي رسالة يوحنا الأولى نجد ان يوحنا الحواري يعلن فيها بان الله سبحانه وتعالى لم يره احد قط وهذا نص كلامه في الاصحاح الرابع عدد ١٢ (الله لم ينظره احد قط) .

الا انه بعد انقراض اجيال المسيحية الاولى انتشر معتنقو النصرانية ودعاتها بين الأمم الأجنبية خصوصا في بلاد اليونان وفي بلاد الرومان حيث كانت تدين بالوثنية ،

وفي مصر حيث الفلسفات الوثنية ، فاختل نظام الدعوة التي جاء بها المسيح عليه السلام واستحدثت فيها الأفكار الغريبة عنها ـ وشوهت دعوة المسيح الى الوحدانية واختلطت بها الآراء الفلسفية فشاعت مع الوحدانية عقيدة مستحدثة هي عقيدة الثالوث لم تكن تعرفها الاجيال الأولى للمسيحية وان كانت هذه العقيدة سائدة في المجتمعات الوثنية .

من هو اول من اخترع وصاغ عقيدة الثالوث في ملة النصرانية :

يذكر المؤرخون ان اول من نادى بعقيدة الثالوث واخترعها واستعملها هو (ترتليان) في القرن الثاني الميلادي وبالتحديد سنة ٢٠٠ م فهي عقيدة دخيلة على النصرانية الحقة الموحدة .

عقائد الوثنيين التي كانت تدين بالثالوث قبل المسيح عليه السلام :

لقد غلبت عقيدة الثالوث على كثير من الديانات التي سبقت رسالة النصرانية ومن امثلة ذلك : ـ

١ ـ في بلاد الهند ابتدع كهنتها الثالوث البرهمي المكون من براهما الاله الخالق ـ وفيشنو او كريشنا وهو الاله الحامي للخليقة ـ وسيفا وهو القوة التي تفنى وتعيد .

٢ ـ وفي الديانة البوذية ابتدع كهنتها الثالوث البوذي المكون من الاله الخالق او النرفاتا وبوذا الابن من العذراء مايا ـ والروح القدس الذي حل على تلك العذراء فولدت بوذا .

٣ ـ وفي بلاد الصين انتهت عبادتها للاله الواحد الى ابتداع الثالوث الصيني تي ين الاله غير المنظور ـ وتي سميز وهو الشمس والكواكب السيارة ـ وتشايخ وهو ارواح الآباء والحكماء والملوك .

٤ ـ وفي بلاد الكلدان انحسرت عبادتها الى الثالوث المكون من ـ بعل اله الشمس ـ وعشتروت اله الجمال ، وتموز اله الخصب والنماء .

٥ ـ وفي عهد قدماء المصريين انحرفت عبادة المصريين من الاله الواحد الى الثالوث بفعل الكهنة اذ اتخذوا من صفات الله وهي الوجود والحكمة والحياة الثالوث المصري آتون ـ وآمون ـ ورع .

كيف غلبت النصرانية على حكام الدولة الرومانية ؟

عانت النصرانية من اضطهاد حكام الرومان الشيء الكثير طيلة ما يزيد على ثلاثة قرون ، ففقدت في تلك الاضطهادات كثيرا من رجالها في قمتهم المسيح عليه السلام ، كما امتد الاضطهاد الى انجيل المسيح نفسه فالتهمه وقضى عليه ، ففقدت بذلك اهم مراجعها الاصلية .

وبحلول سنة ٣١١ م تكشف للامبراطور جالير ـ وكان اشد المضطهدين للنصرانية حماسا ـ عقم جهوده ، فاضطر الى التخلي عن خططه واستسلم لفكرة التسامح مع النصارى ، ولما مات بعد فترة قصيرة اصبح موته مجالا لتنافس عدد كبير من طالبي الحكم ، الذين حاول كل منهم استرضاء الانصار وكسب التأييد من طوائف الشعب المختلفة .

وكانت تلك فرصة ذهبية للكنيسة

ان تبيع تأييدها معتمدة على ما تملكه من قوى تجعل منها حليفا يعتز به كل طالب للحكم .

وقد فاز بتأييد الكنيسة الامبراطور (قسطنطين) حيث رفعته الى الحكم ضد منافسه (ماكسنتيوس) الذي كان يستند الى آلهة الوثنيين فقد اقام لها الصلوات وذبح لرضاها القرابين - وفي سنة ٣١٢ م اصدر الامبراطور قسطنطين مرسوم (ميلان) جعل به النصرانية ديانة مرخصة كما ساوى بينها وبين غيرها من الديانات الاخرى داخل الامبراطورية الرومانية .

الا ان معتنقي النصرانية كانوا وقتئذ على خلاف شديد فيما بينهم واهم هذه الخلافات الخلاف الذي كان بين آريوس شيخ كنيسة بوكاليس بالاسكندرية وبين بطريرك كنيسة الاسكندرية حول شخصية المسيح عليه السلام .

فقد نادي آريوس بان المسيح ليس ازليا وانما هو مخلوق من الآب - وان الابن ليس مساويا للآب في الجوهر ويقف الروح القدس بين القوى المخلوقة ويعني بالابن المسيح وبالآب ذات الله - اي أن المسيح ليس مساويا لله بل هو مخلوق ويغلب التوحيد على هذه العقيدة فالآريوسية تعني ببساطة ، وحدانية الله مع عدم الخلط بين المسيح وبين الله .

اما عقيدة كنيسة الاسكندرية او ما يسمى بعقيدة الارثوذكس والتي حمل لواء الدعوة اليها (اثناسيوس) بطريركها فتتلخص في ان المسيح اله غير مخلوق ولد من الله لا من العدم وانه مساو له في الازلية والجوهر - وكذلك الروح القدس - فالآب اله - والابن اله - والروح القدس اله فمن اراد ان يخلص فعليه ان يعتقد بهذا الثالوث - ويعنون بالآب ، الله وبالآبن المسيح .

مجمع نيقية الأول وظروف انعقاده سنة ٣٢٥ ميلادية :

خشي الامبراطور قسطنطين خطورة المجادلات بين آريوس وبين بطريرك الاسكندرية على اقاليم الامبراطورية بسبب اختلافهم في امر العقيدة ، لذلك امر بعقد مجمع يضم رجال الدين المسيحي من مختلف انحاء البلاد لتقرير ما يراه في شأن الخلافات ، وقد انعقد هذا المجمع سنة ٣٢٥ م في مدينة نيقية بحضور ٢٠٤٨ من الاساقفة ، وكانت حصيلة هذا المجمع رفض آراء آريوس وتقرير الوهية المسيح ، وانه من جوهر الله قديم غير مخلوق ، وانه الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس .

ثم فرضت تلك العقيدة على طوائف النصرانية فرضا ، يؤيدها سلطان الامبراطور قسطنطين رغم مخالفتها لما كان يؤمن به الكثير من الاساقفة وعامة الشعب في فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر لاعتناقهم عقيدة آريوس التي يغلب عليها التوحيد بل قررت الدولة عزل انصار آريوس من كنائسهم .

ويقول ادولف هرنك استاذ تاريخ الكنيسة في جامعة برلين ان الامبراطور قرر تحت تأثير (هوسيوس) وزير البلاط ان يجبر

اعضاء المجمع المجتمعين على قبول صيغة الوهية المسيح بعد ان تواطأ وزير البلاط مع بطريرك الاسكندرية على تقرير تلك الصيغة .

مجمع انطاكية سنة ٣٢٩ م

لم يستسلم انصار آريوس الى العقيدة التي فرضها الامبراطور باسم مجمع نيقية ، بل صمموا على المقاومة حتى استطاعوا في عام ٣٢٨ ميلادية الضغط على الامبراطور قسطنطين ، فأعاد آريوس واتباعه الى كنائسهم ، وعندئذ قام (ايزبيرس) اسقف نيقوميديا و (نيوغنس) اسقف نيقية بعقد مجمع في انطاكية سنة ٣٢٩ تقرر فيه تثبيت معتقد آريوس وعزل الاساقفة الارثوذكس من اسقفياتهم .

مجمع قيسارية سنة ٣٣٤ م

لما كان اغلب النصارى في مصر من انصار آريوس غلبوا على كنائس مصر والاسكندرية واخذوها ، ثم وثبوا على اثناسيوس بطريرك الاسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واختفى ، فلم ير الامبراطور امامه من حل سوى عقد مجمع من الاساقفة في مدينة قيسارية عام ٣٣٤م ، ودعا اثناسيوس للاشتراك فيه فلم يحضر لذلك امر بعقد مجمع آخر في مدينة صور في العام التالي ، وحتم على بطريرك كنيسة الاسكندرية حضوره .

مجمع صور سنة ٣٣٥ م

عقد هذا المجمع بناء على امر الامبراطور قسطنطين وحضره اثناسيوس بطريرك الاسكندرية وقتئذ كما حضره كثيرون من الاساقفة الذين حضروا مجمع نيقية الاول - وقد احتدم الجدل بين المجتمعين حتى بلغ حد العنف وامتدت الأيدي الى بطريرك الاسكندرية بالضرب ، حتى كاد ان يهلك لولا تدخل مندوب الامبراطور لانقاذه ، واخيرا اصدر المجتمعون قرارات لصالح عقيدة آريوس منها ..

١) خلع البطريرك اثناسيوس من منصبه ونفيه الى مدينة تريفس في جنوب فرنسا .

٢) اعداد العدة لدفن قرارات مجمع نيقية التي قررت التثليث وألوهية المسيح .

مجمع انطاكية الثاني سنة ٣٤٠ م :

اوصى الامبراطور قسطنطين قبل وفاته سنة ٣٣٧ م بان يتولى نجله قسطنس الاقاليم الشرقية كلها ويتولى شقيقه قسطنطينوس ايطاليا وافريقيا اما قسطنطين الصغير فقد ولى امر فرنسا واسبانيا وبريطانيا .

وعلى اثر وفاة الامبراطور قسطنطين عاد البطريرك اثناسيوس من منفاه الى الاسكندرية سنة ٣٣٨ م فثار عليه انصار آريوس ودعوا الى عقد مجمع جديد وقد انعقد هذا المجمع في مدينة انطاكية سنة ٣٤٠ م وقرر فيه المجتمعون وكانوا من انصار عقيدة آريوس عزل البطريرك اثناسيوس من كرسي كنيسة الاسكندرية والمطالبة بتعيين البطريرك الآريوسي جاورجيوس بطريركا على كرسي كنيسة الاسكندرية وقد وافق الامبراطور الروماني على طلب ذلك المجمع مما اضطر

اثناسيوس الى الهرب الى مدينة روما .

مجمع انطاكية الثالث سنة ٣٤١ م

انعقد هذا المجمع لتقرير مجموعة من قوانين الايمان تتفق مع عقيدة آريوس التي يغلب عليها توحيد الاله .

عودة اثناسيوس الثالوثي الى الاسكندرية سنة ٣٤٦ م :

اضطر الامبراطور الروماني تحت تأثير شقيقه قسطنس حاكم الاقاليم الشرقية الى اعادة اثناسيوس الى كرسي كنيسة الاسكندرية ، الا ان انصار آريوس قاوموه مقاومة عنيفة ، مما ادى الى عقد مجمع في مدينة آرلس بفرنسا .

مجمع آرلس بفرنسا ٣٥٣ م :

قرر هذا المجمع خلع اثناسيوس من « اسقفية » مدينة الاسكندرية - ووقع على هذا القرار جميع الأساقفة الحاضرون فيه فيما عدا (بولين) اسقف مدينة تريفس - كما ان (ليباريوس) اسقف رومية ارسل وفدا من جانبه الى الامبراطور الروماني ليقنعه بوجوب عقد مجمع آخر ، يعيد النظر فيما قرره مجمع آرلس فوافق الامبراطور على عقد مجمع جديد في مدينة ميلانو .

مجمع ميلانو سنة ٣٥٥م :

كان هذا المجمع مؤلفا من ٣٠٠ من الأساقفة أغلبهم من أنصار آريوس وقرروا الآتي :

١ - خلع أثناسيوس من بطريركية الاسكندرية .

٢ - نفيه وابعاده عن مدينة الاسكندرية .

٣ - تحويل الغلال التى كانت توزع على فقراء الأرثوذكس الى كنائس الأريوسيين ، وقد كلف الامبراطور الروماني والى مصر من قبله باخطار البطريك أثناسيوس بالقرارات السابقة ، ولما رفض البطريرك المذكور تنفيذ تلك القرارات ، حاول الوالي استعمال القوة معه فلما شعر بذلك فر من البلاد سنة ٣٥٦م .

فتولى الأسقف جاورجيوس الاريوسي - كرسي كنيسة الاسكندرية .

مجمع سرميوم يضع صيغة ايمان جديدة سنة ٣٥٧م :

انعقد هذا المجمع في مدينة سرميوم في جنوبي فرنسا حضره كثير من الأساقفة الأريوسيين وتولى رئاسته أسقفان من الغرب هما أورزاس وفالانس وحضره الامبراطور قسطنطينوس بنفسه حيث وضع ذلك المجمع صيغة ايمان جديدة أنكر فيها مساواة المسيح لله في الجوهر .

مجمع ريمتي ومجمع سلوقية سنة ٣٥٩م :

هذان المجمعان أمر بعقدهما الامبراطور الروماني وكان الأول في مدينة ريمتي وخصه بالغربيين والثاني في مدينة سلوقية بسوريا كان من ضمن أساقفته عشرة من الاريوسيين وفدوا اليه من مصر . وقد أيد هذان المؤتمران عقيدة آريوس كل التأييد .

مجمع أنطاكية سنة ٣٦١ م :

انعقد هذا المجمع بمعرفة الاريوسيين وقد أكدوا فيه على صيغة

ايمانهم السابق الاشارة اليها بصيغة جديدة تعلن أن (الابن غريب عن أبيه - مختلف عنه في الجوهر والمشيئة) ويقصدون بالابن المسيح وبالاب ذات الله سبحانه وتعالى .

مجمع القسطنطينية سنة ٣٦١م :

انعقد هذا المجمع في مدينة القسطنطينية في نفس السنة التى انعقد فيها مجمع أنطاكية السابق الاشارة اليه وكانت مهمته تثبيت عقيدة التوحيد التى أقرها المجمع المذكور .

ثم قام الآريوسيون بنشرها في أنحاء الدولة الرومانية حيث قننوها في سبعة عشر قانونا للايمان تخالف القوانين التى أقرها مجمع نيقية سنة ٣٢٥م .

الدولة الرومانية ترتد عن التوحيد وتعود الى عقيدة الثالوث مرة أخرى

١ - لما توفى الامبراطور قسطنطينوس سنة ٣٦١م خلفه (يوليانوس) على عرش الامبراطورية ، فخشى من توثق عرى الوحدة النصرانية بين رعيته ، فعمل على حل عرى هذه الوحدة ، وذلك بأن سمح بارجاع الاساقفة المنفيين الى كراسيهم الكنسية ومنهم آثناسيوس البطريرك الثالوثي الى كرسي كنيسة الاسكندرية .

ولم يمض بعد ذلك كثير من الزمن حتى ظهر ذلك الامبراطور على حقيقته وكفره بعقيدة النصرانية كلية اذ أصدر أوامره باغلاق جميع الكنائس ونهب الأواني المقدسة منها وسلمها الى الوثنيين الذين سمح لهم بفتح معابدهم واعادة عبادة الأوثان وقدم بنفسه الضحايا لها .

٢ - وبوفاة يوليانوس سنة ٣٦٣م تولى عرش الامبراطورية (يوبيانوس) وكان يعادي عقيدة الآريوسيين لذلك فقد حرمها وأقام على الولايات التابعة للدولة حكاما ممن لا يدينون بهذه العقيدة وأرسل الى أثناسيوس باطلاق يده لنشر عقيدة الثالوث ثم لما تولى العرش الامبراطور تاوديوس سنة ٣٧٩م عمل على الغاء المذهب الآريوسي كلية والانتصار لعقيدة أثناسيوس وهكذا ساد التثليث وقضى على عقيدة توحيد الاله التى كان يمثلها الآريوسيون في جميع أنحاء الامبراطورية .

رأي علماء الأديان النصارى في عقيدة التثليث في زماننا المعاصر

١ - يقول أدولف هرنك أستاذ تاريخ الكنيسة في جامعة برلين (ان صيغة التثليث هذه التى تتكلم عن الآب والابن والروح القدس غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها وجود في عصر الرسل - وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا) .

٢ - وفي قاموس الكتاب المقدس الذي ألفه نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين وهم الدكتور بطرس عبد الملك أستاذ الدراسات الشرقية بالجامعة الامريكية بالقاهرة والدكتور جون

الكسندر طوسن والأستاذ ابراهيم مطر وقدم له الدكتور فيليب حتى الأستاذ الشرقي في جامعة برنستون ورد في هذا القاموس عن عقيدة التثليث الآتي : (اعترف كبار علماء اللاهوت أنها لم ترد في الكتاب المقدس - ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد وقد خالفه كثيرون - ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية - ثم استقر التثليث بعد ذلك عند الكنائس النصرانية على يد أوغسطينوس في القرن الخامس الميلادي) .

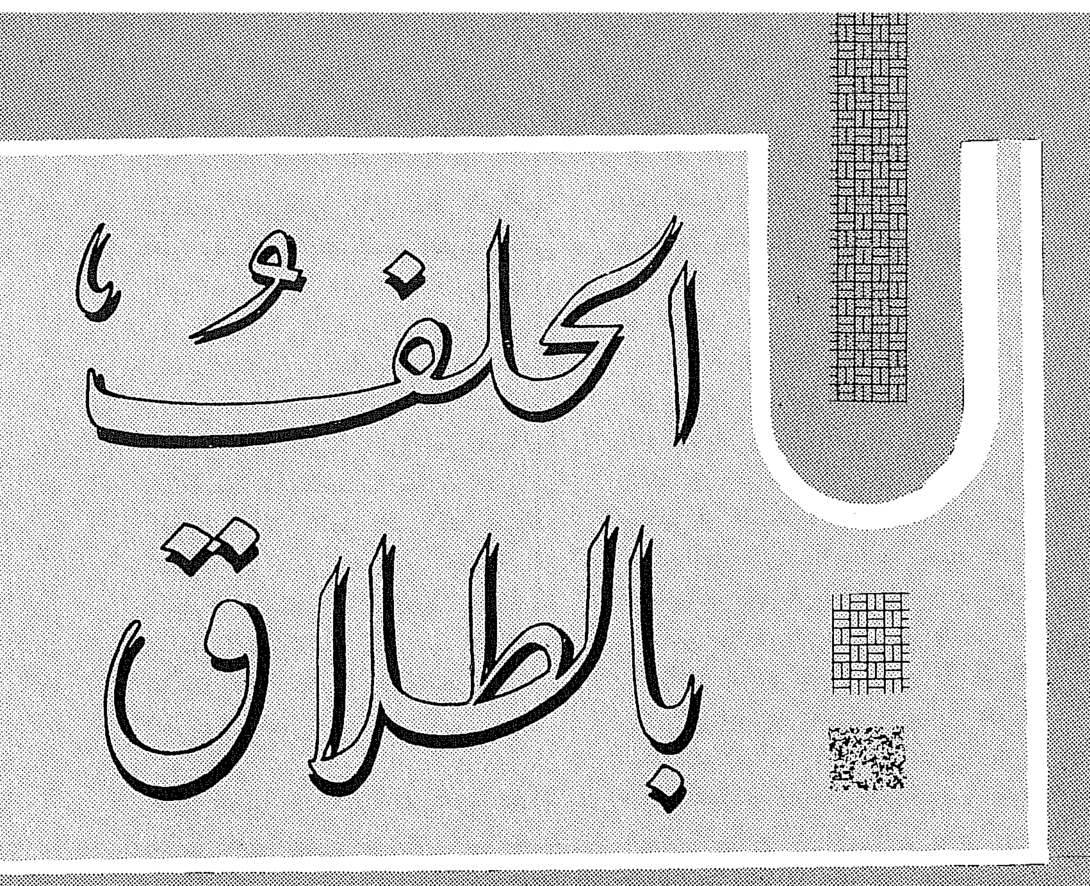
كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل امبراطور الدولة الرومانية وهل حمله فيه اثم تحريم عقيدة الآريوسيين أنصار عقيدة التوحيد ؟

أوردت كتب السيرة النبوية - أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل الى ملوك العالم والامراء في عصره يدعوهم الى الاسلام وكان ممن أبلغه بدعوة الاسلام الامبراطور هرقل قيصر الدولة الرومانية فلقد وصله كتاب النبي صلى الله عليه وسلم على يد دحية الكلبي وقد جاء فيه الآتي :-

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الآريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

ولقد فسر كتاب السيرة النبوية أن الآريسيين الواردة في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم تعني الزراع أي الفلاحين بوصفهم غالبية الرعية بمعنى أن اثم هؤلاء الفلاحين عن عدم اهتدائهم الى الاسلام يقع على قيصرهم باعتباره امبراطور دولتهم والناس عادة على دين ملوكهم .

ولكن الصواب والأقرب الى العقل أن الاريسيين تعني أنصار عقيدة التوحيد في أنحاء الامبراطورية وهم اتباع عقيدة آريوس بوصفهم أنصار عقيدة التوحيد المجرد التى دعا اليها المسيح عليه السلام وحواريوه المخلصون والذين غلبوا على أمرهم وحرمت عقيدتهم بفعل أنصار عقيدة التثليث بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم حمل امبراطور الروم في حالة اعراضه عن الاسلام وهو دين التوحيد اثم تحريم عقيدة دعاة التوحيد السابقين ايضا وهم « الآريوسيين » في مفهوم حكام الدولة الرومانية فعلى هذا الحاكم اثم الصد عن سبيل الله ومنع الدعوة اليه وهذا ذنب عظيم وجرم كبير قال تعالى : (**ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا . ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا . الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا**) النساء/١٦٧ - ١٦٩



سرى بين الناس في مجتمعنا المعاصر الحلف بالطلاق سريان النار في الهشيم ، أوسريان الداء في الجسم السقيم ، حتى استحال إلى مرض عضال .. استفحل على الدواء ، وعز عليه البرء والشفاء ، وتشيع هذه الظاهرة المرضية العويصة في الأسواق ومجامع السوقة ، حيث لا يجدون في وسعهم متنفسا لضيقهم ،

أو خروجا من ورطاتهم ، أو تبريرا لصدقهم ، أو تمكينا لكذبهم ، إلا الحلف بالطلاق أحيانا مرة واحدة .وأحيانا أخرى بالثلاث على كل مذهب ، واتخذ الحلف بالطلاق صورا شتى ، وأساليب مختلفة فمن قائل : علي الحرام « ومن قائل » علي الطلاق » ، ونحو ذلك مما يتناول عقدة النكاح المقدسة بالتهاون والاستهتار ، وتعريضها للقطيعة والتمزق والانهيار ، ثم يذهب بعض الحالفين إلى من له نصيب من علم أو فقه يستفتونه في طلاق ، ويلتمسون عنده مخرجا من زلته . لذا أحببت أن أتناول هذه الظاهرة الخطيرة بالبحث والنظر بعد أن رأيت فيها رأيا



بدعة مستحدثة

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

اعجبني ، ووقع من نفسي موقع الرضا والقبول ، وهأنذا ألخصه فيما يأتي : —

(١) إن الحلف شرعا لا يكون إلا بالله تعالى أو بصفة أو اسم من صفاته أو أسمائه الحسنى المعروفة وكان العرب قديما يحلفون بآبائهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم وعرفهم الأسلوب الأوحد للحلف والقسم ، وذلك فيما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه ، فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » وفي رواية لأبي داود والنسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا : « لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون » ، والحديثان دليلان على التحريم ، لأن النهي عند الاطلاق يفيده كما هو أصله ، وقال ابن عبدالبر : لا يجوز الحلف بغير الله تعالى بالاجماع ، وقال الماوردي : لا يجوز لأحد أن

يحلف أحداً بغير الله تعالى لا بطلاق ولا عتاق ولا نذر ، وإذا حلف الحاكم أحدا بذلك وجب عزله ، وفي حديث لأبي داود والحاكم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من حلف بغير الله كفر » وفي رواية للحاكم : « كل يمين يحلف بها دون الله تعالى شرك »بل إن من حلف بغير الله يجب أن يستشهد بعد حلفه وينطق بكلمة الاسلام ليجدد دينه .. أخرج مسلم : « من حلف منكم فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله » هذا بالنسبة للعباد ، أما بالنسبة لله تعالى فقد أقسم بالمخلوقات كالشمس والليل والضحى ونحو ذلك وهذا من خصائص الذات العليا ولا يسأل عما يفعل ، على أنها مؤولة برب الشمس .

وسبب التحريم : أن الحلف يقتضي التعظيم للمحلوف به ، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يلحق به غيره ، ثم قال الصنعاني (سبل السلام جـ٤ : ١٥٠) : « والاظهر عدم وجوب الكفارة في الحلف بهذه المحرمات ، اذ الكفارة مشروعة فيما أذن الله تعالى أن يحلف به لا فيما نهى عنه » .

(٢) ما دام الحلف لا يكون شرعا إلا بالله تعالى أو بصفة من صفاته فان الحلف بالطلاق ، بدعة لم يشرعها الله تعالى ، ولم يأذن بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا حلف به الصحابة ولا غيرهم من التابعين ، وفي ذلك يقول ابن تيمية في مجموعة الفتاوي جـ ٣ : ٣٧٦ : « إن اليمين بالطلاق بدعة محدثة ، ولم يبلغني أنها كانت يمينا على عهد الصحابة ، وقد ذكرت في الأيمان التي كان الولاة يلجأون إليها في بيعتهم لحمل الناس عليها ، وأول من اتخذ اليمين بالطلاق في أيمان البيعة الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكانت تشتمل على اليمين بالله وصدقة المـــال ، والطلاق ، والعتاق ولم أقف إلى الساعة على كلام لأحد من الصحابة في الحلف بالطلاق ، وإنما الذي بلغنا عنهم الجواب في الحلف بالعتق ، وهذه البدعة قد اتخذت صفة الشيوع والذيوع واعتقد الناس وقوع الطلاق بها لا محالة ، فنشأ من ذلك ضيق وحرج عظيمان أشبه بالأغلال التي كانت على بني إسرائيل في شريعتهم السابقة على شرعة الاسلام ، ونشأ عن ذلك أنواع من الحيل والمفاسد في الأيمان حتى اتخذوا آيات الله هزوا ، وذلك أنهم يحلفون بالطلاق على فعل أمر أو تركه ، ولا مناص لهم من فعله أو تركه ، وغالبا ما يكون ذلك في حالات الغضب والانفعال العنيف ، ثم إن فراق الزوجة وتعريض الأولاد للتشرد والتشتيت والتمزق قد يكون أفدح من أغلال الاسرائيليين ، حتى تفتقت قرائح المشتغلين بالفقه وغيرهم عن أنواع من الحيل للخروج من ضيق هذه اليمين المستحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وانحصرت حيلهم في الألفاظ ، أو في الأفعال ، أو في إفساد الأصل الذي بنى عليه المحلوف عليه ، أو بايجاد مانع من سريان الحكم أو في التحليل ، وكلها

تكلفات فقهية دعا إليها الانسياق وراء هذه اليمين بالطلاق التي لا تؤيدها الأدلة والأصول ، ولا تسمح بها الأقيسة في مجالات الاجتهاد إلا بمزيد من التأول والتكلف :

أ ــ فمن الحيلة على الألفاظ : أن من حلف مثلا لا يجلس على بساط جيء له ببساطين للخروج من الحنث في اليمين

ب ــ ومن الحيلة على الأفعال : مخالفة الزوجة ــ على رأي الشافعية ــ ثم فعل المحلوف ثم استعادة الزوجة بعقد جديد ومهر جديد ، وقد انحلت اليمين ، وفي نفس الوقت لا تطلق زوجته لأنها لم تكن في عصمته وقت فعل الفعل

جـ ــ ومن الحيلة في إفساد الأصل البحث عن ثغرة في النكاح الذي هو أصل لهذا الطلاق فاذا اكتشفنا فوات شرط من شرائط صحته وهي كثيرة عند الشافعي واحدى الروايتين عند أحمد ، حكمنا بفساد النكاح ثم بفساد الطلاق المبني عليه ، ونحتاج الى تجديد عقد النكاح مستوفيا شروطه ، وعند الشافعي أن الولي الفاسق لا يصح نكاحه ، وأسباب الفسق كثيرة ومن الممكن تحين أي تفريط من جانب الولى في النكاح للحكم ببطلان نكاحه ، قال ابن تيمية وهذا مكر في آيات الله أوجبه الحلف بالطلاق والضرورة إلى عدم وقوعه .

د ــ ومن الحيلة في استكشاف مانع ما ذهب اليه ابن سريج من الشافعية وطائفة بعده وهو : أن يقول الرجل لامرأته إذا وقع عليك طلاق مني فأنت طالق قبله ثلاثا ، فانه لا يقع على المرأة بعد ذلك طلاق أبدا ، لأنه اذا وقع الطلاق الأول المنجز لم يجد مكانا للوقوع لأنه يلزم وقوع المعلق وهو الطلاق الثلاث قبله المقتضي بينونتها منه ، فيفضي وقوعه الى عدم وقوعه ، ولكن العلماء رفضوا هذه الحيلة وأولهم ابن تيمية الذي رآها غلطا غير صحيح لان الطلاق ثلاث لا غير ، وهذه تعتمد على أربع طلقات فيكون باطلا وإذا بطل لم يلزم من وقوع المنجز وقوع المعلق عليه لأن ذلك التلازم يقتضي الصحة ، ثم إن هذه الحيلة تبطل الطلاق كمبدأ من مباديء الاسلام ، وشرط صحة الحيلة الحسنة عند أصحابها أن تكون مسايرة لمباديء الاسلام العامة لا مبطلة لها .

هـ :ومن الحيلة في هذا المقام إعادة النكاح من أساسه عن طريق التحليل الذي يشرط فيه الطلاق من الثاني وعودتها للأول بنكاح جديد ومهر جديد ، أو يقصد إلى ذلك ، وفيه ما فيه من الحظر المتمثل في منعه صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الأربعة إلا النسائي من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له) .

وأكثر ما يوقع الناس في هذه الحيل تهافتهم على الحلف بالطلاق لسبب ولغير سبب ، واعتقادهم وقوع الطلاق في حال الحنث لا محالة ، حتى لقد فرع أهل الحيل الكثير من حيلهم على هذا الأصل ، وقد شبه الشيخ أبو محمد المقدسي هذه الفروع المحبوكة

على هذا الأصل بمن بنى دارا حسنه على حجارة مغصوبة ، فاذا استحقت الحجارة انهدم البناء

(٣) إن الذي ثبت نقله عن الصحابة هو الجواب عمن حلف بالعتق ، فقد روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما المجمع على إمامته وفقهه ودينه ، وعن أخته حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعن زينب ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من أفضل فقيهات الصحابة ، الافتاء بالكفارة في الحلف بالعتق ، أي بكفارة اليمين عند الحنث فيها ، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، وعند العجز عن ذلك يصوم ثلاثة أيام ، فيكون الطلاق أولى منه بذلك ، وإنما كان الطلاق أولى من العتق ، لأن عادة الشرع في العتق تيسير سبل التحرير فيه ، وتلمس الأسباب الى ذلك ، ومع هذا فقد أفتوا بالكفارة لا بالعتق ، كما جرت عادة الشارع الحكيم بتأجيل الطلاق إلى ما بعد التأديب والتحكيم بفضالة ، وتعويقا لمجراه ، والقياس هنا منضبط ولا فارق . حتى إن طاوس وهو من أفاضل علماء التابعين لم يكن يرى اليمين بالطلاق موقعة له ، وقد اختار هذا الاتجاه ابن تيمية في مجموعة فتاويه جـ٣ ٣٧٩ وما حولها حيث قال : إن احتمال الكفارة في اليمين بالطلاق قياسا على اليمين بالعتق أيسر من وقوع الطلاق بآثاره السيئة ، وشريعتنا فيها من طبيعة اليسر والفرج ما يبرر ذلك ، وليس من اللازم للخروج من الذنب حلول الضرر العظيم ، لأن الله تعالى لم يحمل علينا إصرا كما حمله على الذين من قبلنا ، فعلى فرض أن الحالف بالطلاق قد حنث وارتكب كبيرة تاب منها ، فهل تضيق عليه الشريعة ، حتى لا يجد أمامه إلا ضرر الطلاق منفذا ومخلصا ، إن من يريد الطلاق حقيقة يطلق امرأته ثلاث مرات ، وله ذلك ، وهذه حالات خاصة بالكـــارهين ، وهي قليلة نسبيا بخلاف الحلف بالطلاق ، فانه قد وصل إلى درجة التهور واللهو غير المقصود حتى صار لا يراد به طلاق ولا فراق ، وإنما قصد به ما قصد باليمين من الحمل على الفعل أو الترك ، ثم قد يضطر إلى ذلك وإلى الحنث فيه ، فيلزمه طلاق لم يقصده ولا اختيار له فيه ، وأيضا فان الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم هو تخفيف الأيمان بكفاراتها . لا تثقيلها بالتطليقات التي تخرب البيوت وتشرد الأسر .

(٤) إن كثيرا من الفقهاء ومنهم الحنفية قد أوقعوا الطلاق بالحلف بالطلاق وجعلوا منه صورة التعليق بالشرط مثل : ان دخلت دار فلان فأنت طالق وسموه يمينا وأفتوا بوقوع الجزاء عند وقوع الشرط : وقالوا ان المعلق بالشرط كالمنجز عند وقوعه ، ولا مستند لهم إلا هذا التفكير العقلي في إطار نظرية الشرط والجزاء ، ومثل هذا التفكير لا يقوى على انشاء حالات من الطلاق لم توجد أساسا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد أصحابه ولا في عرف العرب الذين نزلت الشريعة في ساحاتهم ، وضمن

دائرة أعرافهم وتقاليدهم ، وخصوصا في هذا الأمر الخطير الذي يتعلق به حقوق الغير من زوجة وأولاد ، بل لابد في هذا من نص صريح أو قياس جلي ، وقد رأينا القياس واضحا جليا في فتوى ابن عمر واخته وزينب بالالزام بالكفارة على من حلف بالعتق . أما فيما عدا ذلك فلا نجد لهم مستندا إلا قولهم كما في العناية جـ ٤ : ٨١ : « وكل ما انعقد في حقه اليمين إذا وجد الشرط فيه يترتب عليه الجزاء »

(٥) لما كان أبغض الحلال الى الله الطلاق ، كما في حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الحاكم « سبل السلام جـ ٣ :٢٠٥ » فان في ذلك إشارة لا تخفى على الفقيه بأن يضيق بقدر الامكان منافذه ، ويعوق مسيرته ، كما قال الصنعاني في تعليق على الحديث السابق : « والحديث دليل على أنه يحسن تجنب إيقاع الطلاق ما وجد عنه مندوحة » . فانا نجد المندوحة الآن سانحة كل السنوح ، واضحة غاية الوضوح في تضييق سبل الطلاق استناداً إلى أن الحلف بالطلاق بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة ، وأنه شيء من مخترعات العصور اللاحقة لعهد الصحابة والتابعين وهم خير العصور كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » رواه البخاري واحمد والبدعة لا تترتب عليها أحكـــام شرعية بالوقوع بعد الايقاع ، بل ينبغي محاربتها ، والتشكيك فيها ، والقضاء عليها ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، وحينئذ فاننا نرى أن نذهب إلى ما ذهب اليه الصنعاني في سبل السلام جـ ٤ : ١٥٠ حيث قال :« والأظهر عدم وجوب الكفارة في الحلف بهذه المحرمات إذ الكفارة مشروعة فيما أذن الله تعالى أن يحلف به لا فيما نهى عنه » فقد يحلف الحالف بالطلاق وزوجته من أحب الناس اليه ، ولا يوجد بينهما سبب لنفور أو فراق ، فأي علاقة بين حلف الرجل بطلاق امرأته ، وبين عقدة النكاح التي وثقها الله تعالى بقوله : **(وأخذن منكم ميثاقا غليظا)** النساء / ٢١ وهل من حكمة الشارع جعل حاضر الزوجية ومستقبلها معلقا بمثل هذه الأحلاف اللاغية الباغية ، التي ليس لها منطلق من عقل أو تفكير ، وليس لها مستند من كتاب أو سنة . لذلك أرى أنه قد آن الأوان لكي نعالج هذا الداء الذي استشرى في جسد الأمة ، وانتشر في أوصالها انتشار السرطان في خلايا الجسم ، ولا يكون ذلك الا بحسم واستئصال مكمن البلاء منه ، وذلك بابطال كل أنواع الحلف بالطلاق وإهدارها واعتبارها لغوا لا يؤاخذ الله الناس به لا في الدنيا بالكفارة ولا في الآخرة بالعقوبة ، وأن من أراد أن يطلق زوجته حقا وصدقا فهناك السبل التي لا حلف فيها ولا تلاعب بها ولا افتئات عليها .

مائدة القارئ

عند الخروج من البيت

المسلم دائم الصلة بالله سبحانه وتعالى ، ولذا فهو يلجأ اليه في كل حال ، وفي حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه انس – رضي الله عنه – علمنا الرسول الكريم ان نقول عند الخروج من البيت : « بسم الله ، توكلت على الله . لا حول ولا قوة الا بالله » . وعندها يبتعد الشيطان عن طريقنا ويوفقنا الله للخير ، ونص الحديث كما رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه : عن انس – رضي الله عنه ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « اذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة الا بالله ؛ يقال له : حسبك هديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان » .

آثار الحسنة ، وآثار السيئة

قال ابن عباس رضي الله عنه : إن للحسنة لنورا في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ، ومحبة من الخلق ، وإن للسيئة لغبرة في الوجه ، ووهنا في البدن ، ونقصا في الرزق ، وبغضا من الخلق .

الأولى خير

صلى أعرابي صلاة مخففة ، فقام اليه علي – كرم الله وجهه – بالدرة ، وقال له : أعدها . فأعادها الأعرابي ، ثم قال لعلي بن أبي طالب : أهذه خير أم الأولى ؟ . فقال علي : بل الأولى . فقال الأعرابي : ولم ؟ قال علي – رضي الله عنه – : لأن الأولى لله ، وهذه للدرة .

انتقام

بطنة الغني انتقام لجوع الفقير .

مائدة القارئ

الأمل في الله

قال الشاعر :

ولرب نازلة يضيق بهـا الفتى ذرعا وعنـد الله منهـا المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنـت أظنهـا لا تفرج

بين الرجاء والخوف

كان عمر بن عبد العزيز يقول : اللهم أنت ربي ، أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، فان غفرت فقد مننت ، وإن عاقبت فما ظلمت ، ألا أني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك ، لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ، ونبيك المرتضى ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، فعليه السلام والرحمة .

تلاوة القرآن

في شهر العبادة ، حيث يصوم المسلم نهاره ، ويقوم ليله ، ويحيي ساعاته بتلاوة القرآن نسوق هذا المثل الذي ضربه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . حيث مثل صاحب القرآن بصاحب الابل . فصاحب الابل ان شد وثاق ابله امسكها وحفظها ، وان لم يربطها بالعقال وهو الحبل تفلتت منه وشردت ، كذاك صاحب القرآن إن تعهده بالتلاوة والحفظ كان نورا في قلبه ، وإن أهمله نسيه ، وفي ذلك خسارة كبيرة له .

يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة : إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت » . رواه البخاري ومسلم .



الحياة التي نعيشها امتحان كبير .

الحياة التعليمية فترة قصيرة تنتظم عاماً ..

والحياة الدنيوية فترة طويلة تنتظم العمر كله .

للاستاذ / محمد محمد حلاوة

الامتحان لغة :

محنه من باب قطع ، وامتحنه اختبره . والمحنة واحدة المحن التي يمتحن بها الانسان .

الامتحان والابتلاء :

يلتقى الامتحان والابتلاء في معنى الاختبار يقال بلاه جربه واختبره ، وبلاه الله اختبره يبلوه بلاء ، ويكون بالخير وبالشر ، وابتلاه أيضا .

الحياة امتحان كبير :

والحياة التي نعيشها امتحان

كبير .. امتحان في النفس ، وفي الزوج ، وفي الولد ، في الغنى وفي الفقر ، في الصحة وفي المرض ، في القدرة وفي العجز ، في النعمة وفي النقمة ، في كل شيء حتى في الهمسة والخطرة ، وفي الشوكة نشاكها : **(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور)** الملك/١ و ٢ .

نعم . فقد خلق الله الخلق ليعبدوه ، وأرسل لهم رسله مبشرين ومنذرين يبينون للناس دستوره الذي يسيرون عليه ، وهداهم النجدين : **(من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)** الاسراء/١٥ .

وقد حرص الدين في كل ما وضعه من تشريعات ـ وفق حكمة عليا ، وتخطيط محكم ، وعلم لا تخفى عليه خافية ، ورؤية دقيقة نافذة لا تدركها أبصارنا ، ولا تصل إلى فهم أسرارها عقولنا ـ حرص على ما يحقق للناس الخير والسعادة في دنياهم ، والأمن والعافية في أخراهم ، وطلب إليهم أن يعملوا في حدود هذه التشريعات ملتزمين جادين ، وأن يقاوموا ما وسعهم كل ما يحول دونهم ودون هذه الغاية من مفاتن الحياة ومغرياتها ، باذلين في سبيل ذلك العرق والدمع والدم ، والوقت والجهد والمال ، وأن يقفوا بالمرصاد دائما لشهواتهم ، ونزواتهم ، ووساوسهم ، فيعلنوا عليها حربا شعواء لا تهدأ ، ولا تغفل لحظة من ليل أو نهار : **(الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون . من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم . ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين)** العنكبوت/١ ـ ٦ .

ثم جعل لهم أجلا لا يعدونه ، ويوما يحاسبون فيه على ما قدمت أيديهم : **(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)** الأنبياء/ ٤٧ ، فمن جاز هذا اليوم فقد فاز برضوان الله وجنته ، ومن أخفق فيه فقد باء بغضب الله : **(فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه . إني ظننت أني ملاق حسابيه . فهو في عيشة راضية . في جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية . وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها**

كانت القاضيــة . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم في سلسلـة ذرعهـا سبعـون ذراعـا فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض علـى طعام المسكين . فليس له اليـوم ههنا حميم . ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون) الحاقة/١٣ - ٣٧ .

أصعب امتحان :

وقد اقتضت مشيئة الله سبحانه وتعالى وحكمته أن يكون أشق امتحان في هذه الدنيا هو امتحان الأنبياء والمرسلين ، ثم المصطفين من خلقه ، وذلك لعلو قدرهم ، ودقة موقفهم ، وجـلال رسالتهم ، ولهـذا عاشـوا حياتهم في جهاد متصل ، وضربوا الأمثلة العليا في الصبر ، واحتمال الأذى ، والزهد ، والقناعة ، وشظف العيش ، والايثـار ، والتضحيـة ، والتقوى ، والطاعة ، والترفـع عن الصغائر ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، وكانوا وفاء المسؤولية التي ألقيت عليهم ، فحـولوا مجـرى التاريـخ وانجزوا للانسانية في وقت قصير ما عجز عن تحقيقه ساسة العالم وقادته في أجيال وأجيال ، بل ما سيظلون عاجزين عنه إلى يوم الدين .

الامتحانات التعليمية :

والشبه كبير بين الحياة التعليمية ، والحياة التي نعيشها ، فالأولى فترة قصيرة تنتظم عاما دراسيا ما بين ثمانية أشهر وتسعة تقريبا ، والأخيرة فترة طويلة تنتظم العمر كله ، وهذه تعد لامتحان آخر العام يوم يكرم المرء أو يهان ، وتلك تعد ليوم الدين : **(يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتـى الله بقلـب سليـم)** الشعراء/٨٨ و ٨٩ .

وبالرغم من أن الدراسات المختلفة التي أجريت على الامتحانات التعليمية قد وجهت إليها بعض المآخذ إلا أنها لا تزال في نظر الأكثرية أمثل طريقة ، وأعدلها في قيـاس الطالب والحكم عليه .

ولقد خطا بعض المتقدمين في دول الغرب خطوة جريئة في هذا المضمار ، فألغوا الامتحانات بصورتها الحالية ، واكتفوا في جواز نقل الطالب من فرقة إلى فرقة أعلى ، أو في حصوله على إجازة أو مؤهل علمي برأي أستاذه أو أساتذته فيه ، وهي طريقة لا تخلو من عيوب أيضا ، إذ قد يصح هذا في عدد محدود جدا من الطلاب ، ومع أستاذ لا ترقى إليه تهمة أو شبهة ، ولكنه يتعـذر ، بل يستحيـل في الأعداد الكبيرة التي تتقدم للامتحانات كل عام .

ومهما كان الأمر فان امتحانات الشهادات ولا سيما امتحان الثانوية العامة وما يعادلها قد أخـذت في السنوات الأخيرة صورة زائدة من الاهتمام من جميع الأوساط ، وسلطت

عليها وسائل الاعلام المختلفة أضواء باهرة قوية متلاحقة جعلتها تبدو شبحا مخيفا للآباء وللأمهات وللطلاب على السواء ، وأصبحوا يعيشون فترة الامتحان بل قبله بمدة طويلة في قلق وتوجس ، وريبة وترقب ، وانتظار ولهفة ، مما يطالبنا ويطالب المسئولين بالوقوف طويلا عند هذه الظاهرة ومحاولة القضاء عليها أو التخفيف منها . ولو أنهم رجعوا إلى دينهم يستلهمونه الدروس والعبر لوجدوا فيه ما يريدون .

الدين والامتحانات :

وبعد فهل هيىء الطالب دينيا لهذه الامتحانات ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ .. اعتقد أننا أغفلنا هذا الجانب إلى حد كبير ، مع أن أي عمل يتم بعيدا عن الدين وتعليماته فهو عمل محكوم عليه بالاخفاق ، وكم يسعدني ، وأبناؤنا وبناتنا الطلاب يستعدون لموسم الامتحانات أن أتقدم اليهم ببعض ما هداني الله إليه من توجيهات :

اولا :**التوكل على الله** : **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)** الطلاق/٣ وفرق كبير بين التوكل والتواكل ، فالتوكل أن تعتقد أن الأمر لله وحده ، وأن الفعل لله وحده ، ثم تأخذ في الأسباب . أما التواكل فاستسلام يرفضه الدين ، وينهي عنه ، وهو صفة العجزة وغير المؤمنين ، وستطالعنا نتيجة مذهلة لو قمنا باحصائية عن عدد المتواكلين ، والذين لا يأخذون بالأسباب من طلابنا وطالباتنا .

ثانيا : **العمل الجاد المتقن المنظم** :**(وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة/١٠٥ . والآية الكريمة تحتمل كل هذه المعاني وأكثر فناهيك بعمل يراه الله والرسول والمؤمنون . إن العمل الذي لا عرق فيه لا خير منه ، والعمل غير المتقن لا جدوى فيه ، والعمل العشوائي يربك الجسم والتفكير والوقت ، وقد رأينا أن بعض الطلاب يرهقون انفسهم احيانا أكثر مما يتحملون فتكون النتيجة أنهم يعتلون شهورا ، وبذلك يسيئون إلى أنفسهم من حيث أرادوا ان يحسنوا إليها . حقا « إن المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى » ، وتنظيم الفكر لا يقل اهمية عن تنظيم العمل ، لأن الفكر المشوش لا يثمر الا حقائق مشوشة .

ثالثا : **الصبر** فمن صبر ظفر :**(واصبر وما صبرك إلا بالله)** النحل/١٢٧ . **(إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين)** يوسف/٩٠ ونعني بالصبر هنا الصبر على السهر ، وعلى التعب ، وعلى التحصيل ، وعلى التركيز ، وعلى ترويض العادة ، وعلى قهر النفس وحرمانها من بعض المتع ، وعلى الصعوبات المختلفة : صعوبة الحفظ ، والعرض ، والمادة وغيرها .

رابعا : **الأمل والتفاؤل** فانه لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة : **(إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)** يوسف/٨٧ وللأمل حدود

إذا تجاوزناها أصبح تمنيا ، وقاد الانسان إلى متاهات يصعب عليه أن يخرج او ينجو من شرها . وكم جرينا وراءه فألهبنا وأحرقنا .

خامسا : الاعتماد على النفس ، وتلك صفة المؤمنين الأقوياء ، والمؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف . إن الانسان الذي لا يعتمد على نفسه إنسان ضعيف الارادة ناقص الهمة ، مشلول التفكير . وقد ثبت بالتجربة أن الطالب الذي يعتمد على الدروس الخصوصية يتعثر في دراسته ، ونجاحه نجاح وقتي وسطحي ، لأنه لا ركيزة له . ولنسأل أنفسنا كم طالبا يستفيد من الدروس الخصوصية بوضعها الراهن ، إن الطالب الذي يستفيد بحق منها هو الطالب الذي يحدد موقفه من المادة تحديدا دقيقا ، فيعرف ما فهمه منها جيدا ، وما لم يفهمه أصلا ، وما هو بين بين ، ويذهب إلى استاذه طالبا ما يحتاجه فقط كأن يقول له مثلا : أريد في مادة الرياضيات خمس حصص ، حصة في باب كذا موضوع كذا ، وحصة في جزئية كذا ، وثالثة في المقارنة بين كذا وكذا ، ورابعة في طريقة الاجابة ... إلى آخره .

سادسا : الثقة بالنفس ، بحيث لا تتعدى حدودها ، وإلا أصبحت غرورا ويا ويل الانسان من الغرور ، ولذا فقد وجب على الطالب أن يكون صادقا مع نفسه ، وأن يقيس قدراته واستعداده بميزان دقيق ، فاذا لم يستطع فليستعن بمن يثق فيه من أساتذته ، وذلك ليحدد موقفه من كل مادة ، ويتعرف مواطن ضعفه ومواطن قوته ليقف على أرض صلبة ، ويتحرك بقدم ثابتة فكم من طلاب يخرجون من الامتحان يرقصون ويهللون يقدرون لأنفسهم الدرجة النهائية أو قريبا منها ، ثم نفاجأ عندما تظهر النتيجة بأنهم راسبون أو ناجحون بالنهاية الصغرى فقط . ليس لذلك إلا تفسير واحد هو أنهم يخدعون انفسهم .

سابعا : التواضع ، فالتواضع سمة العلم ، والكبر سمة الجهل ، واستقص في هذا الموضوع كما تشاء ، وضع من المقدمات ما تحب فلن تتخلف هذه النتيجة أبدا (ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر) . وإنها لظاهرة تدعو للعجب وللأسف معا ما نراه في طلاب اليوم إذ يستنكفون أن يسألوا عما لا يفهمون كأن سوء الفهم عار وضعف ومذلة . وذلك على النقيض تماما مما كان يفعله طلاب الأمس فكانوا يسألون ويلحفون .. يسألون أستاذهم . يسألون زميلهم .. يسألون أي إنسان يلتمسون عنده المعرفة ؛ وكانت لا تهدا لهم نفس ولا تقر لهم عين إلا إذا أدركوا ما يريدون .

ثامنا : التحلي بآداب العلم ، فللعلم آداب كثيرة ، يجب الالتزام بها ، وأهمها الطهارة ، والخشوع ، وحسن الاستماع ، وخفض الصوت ، وعدم اللجاج ـ وعفة الحوار ..

تاسعا : القصد في الطعام ، فان

الاكثار منه يثقل البدن ، ويقتل النشاط ، ويضعف الهمة ، وله أثره السيىء على الذهن .

عاشرا : عدم الغفلة ، سألته وقد رأيته يعيد الشهادة الثانوية : فيم تخلفت ؟ ولم ؟ أجاب : في مادة الرياضيات . قلت له كيف ، وعهدي بك تلميذا نجيبا ؟ قال : اقص عليك . في امتحان مادة الجبر والهندسة التحليلية ، وبعد ان دق الجرس مؤذنا بالاجابة قرأت الأسئلة ، ثم بدأت في اجابة التمرين الأول . حللت الخطوات الأربع الأولى منه في ثوان ، وبقيت الخطوة النهائية عندما حللتها حدثتني نفسي بأن النتيجة غير صحيحة . وحبا في التغلب على المسألة وجريا وراء هذه الغاية اخذت اعيد واعيد وفي كل مرة تحدثني نفسي بأن النتيجة غير صحيحة ، وظللت كذلك إلى ان حدثتني نفسي بأن الجواب صحيح . وهنا رفعت القلم ، ونظرت في الساعة فوجدت ان الزمن لم يبق منه إلا دقائق معدودة !!

الاجابة المفتوحة :

ايها الطالب عندما تدخل الامتحان ابدأ فاكتب بياناتك في المكان المعد لها من دفتر الاجابة ، ثم قسم أوراق الاجابة على الاسئلة معتمدا في ذلك على طبيعة المادة ، وعلى خبراتك من الأعوام السابقة ، بحيث تبدأ اجابة كل سؤال من اول صحيفة وحسب هذا التقسيم اكتب إجابة السؤال الأول ، إجابة السؤال الثاني ، إجابة السؤال الثالث ... وهكذا .

فاذا تسلمت ورقة الأسئلة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، واقرأها للمرة الأولى ، ولا تحكم عليها بهذه القراءة . اقرأها للمرة الثانية ، واختبر أسهل الأسئلة وأكثرها وضوحا لك وفهما . ابدأ الاجابة عنه في مكانه الذي حددته من اوراق الاجابة ، فاذا انتهيت منه فقل الحمد لله وراجعه في الحال ، ولا تنتظر حتى نهاية الزمن واذا وقفت في شيء منه فلا تفكر اكثر من دقيقتين بأي حال ، فاذا وفقت فذلك الفضل من الله ، والا فانتقل الى اخف سؤال واسهله بعد ذلك ، وهكذا وقد يحدث كثيرا ان تتذكر النقطة التي وقفت عندها ولم تجب عنها وأنت تجيب عن سؤال آخر عندئذ ارفع القلم وارجع بسرعة حال الى السؤال الذي وقفت فيه واكمل النقطة التي فاتتك والا فانها ستند عنك ومن العسير أن تعود ثانية وتلك هي الاجابة المفتوحة التي نقصدها والتي تدل على يقظتك وانتباهك والتي تتيح لك أن تجيب أوفى ما يكون على كل سؤال من الاسئلة مستغلا كل ثانية من زمن الاجابة .

ولقد امرنا الدين باليقظة وحذرنا من الغفلة والشواهد على ذلك كثيرة .

واخيرا **فملاك الأمر كله طاعة الله وتقواه** ، فهي خير عاصم وخير معين فاتقوا الله ويعلمكم الله : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب**) الطلاق/٢ و ٣ .

والله أسأل ان يرزقنا ويرزق أبناءنا وبناتنا التوفيق والسداد .

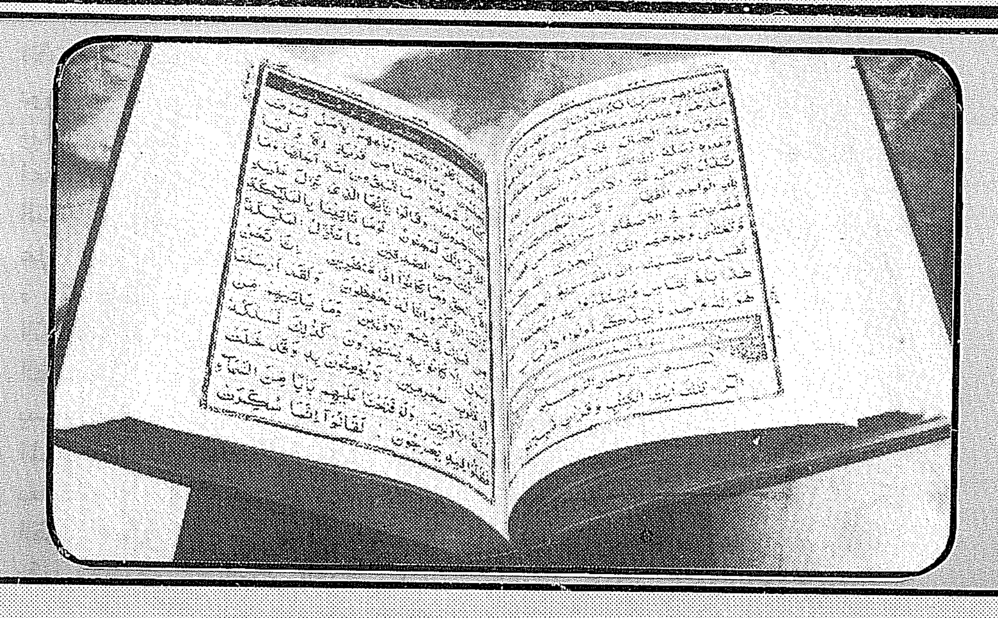
التصوير القرآني

للدكتور/ علي علي مصطفى صبح

أذهل القرآن الكريم عقول البشر ، وتركهم في حيرة وما زالوا يرددون : هل الاعجاز في النسق العجيب ؟ أم في النظم البديع ؟ أم في الأسلوب الرفيع ؟ أم في التصوير البياني ؟ أم في التصوير الفني ؟ أم في الفن القصصي ؟ أم في كل ذلك ؟ أم في غير ذلك ؟ ان الاعجاز في « التصوير القرآني » لأنه ينبني علي ما سبق ، بل أكثر مما سبق .

حين نزل القرآن الكريم ، كان العرب قد بلغوا الغاية في فصاحة اللغة وبلاغتها ، لذلك كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في لغة العرب ، التى أفصح عنها القرآن في صورة أعجزت أهلها ، وذلك أدعى الى اقناعهم وأجدر في رد انكارهم لدعوة الاسلام ، فيكون العجز عن المجاراة في لغتهم بمثابة البرهان الساطع والحجة القاطعة قال الله سبحانه وتعالى : (**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**) ، النساء/ ١٦٥ ، لذلك عجزوا عن الاتيان بمثله ، بل عن الاتيان بآية من مثله ، مع أن الله سبحانه وتعالى جعله (**قرآنا عربيا غير ذي عوج**) الزمر/ ٢٨

تعددت الجوانب في اعجاز القرآن الكريم ، فكان في مضمونه وشكله ، وفي كل ما يتصل به ، سواء أكان ذلك في موضوعاته المختلفة التى تتصل بالاخبار عن المغيبات ، كالشأن في القصص القرآني ، الذي يحكي أحوال الأمم السابقة مع الأنبياء والرسل ، الذين بعثهم الله فيهم مبشرين ومنذرين ، من لدن آدم عليه السلام الى خاتم النبيين والمرسلين ، وغيرها من القصص ، مثل قصة أصحاب الجنة ، وقصة الرجلين ، وقصة أصحاب الكهف ، وذي



القرنين ، وسوى ذلك .

أم كان الاعجاز في الموضوعات التى ستقع في المستقبل ، مثل هزيمة الروم وفتح مكة ، وانتصار الاسلام ، وغير ذلك مما أخبر به الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، بأنه سيقع في المستقبل القريب أم البعيد الى يوم القيامة .

أم كان الاعجاز في الموضوعات التى تتصل بالتشريع الالهي لهذه الأمم ، فتوضح العلاقة بين الخالق والمخلوق ، وتنظم أسلوب المعاملة بين الانسان ونفسه ، وبينه وبين أهله وعشيرته ، وبين المجتمع الذي يعيش فيه ومجتمع آخر ، وغيرها من التشريعات والنظم ، مما يتناسب مع الأجيال والأزمان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، قال تعالى : (**ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**) الاسراء/٩

أو كان الاعجاز من حيث النظم العجيب ، والأسلوب البديع ، في ألفاظه التى وقعت في موقعها ، متآخية من جاراتها ، ومنسجمة مع أخواتها ، لأداء هذا المعنى ، الذي يهز الأعماق ، أو من حيث تصويره للمعاني تصويرا تلتقي فيه كل عناصر الاعجاز ، في « التصوير القرآني » الرفيع .

وآثرت التعبير في جانب القرآن الكريم « بالتصوير القرآني » لتفرده بالاعجاز ، فهو أسمى ما عرفه البلغاء على الاطلاق ، فنسبة الشيء الى أصله أولى بجلال القرآن وقدسيته ، من حيث مصدره الالهي ، دون غير ذلك من التعبيرات والأوصاف ، التى يمكن أن يتصف بها التصوير في القرآن الكريم من المصطلحات الأدبية والنقدية والبلاغية ، التى جرت على ألسنة

الأدباء والنقاد والبلغاء ، وآثروها دون غيرها ، مما يتفق مع ذوقهم وباحساسهم ، ويشخص مدى اعجابهم وانبهارهم بالاعجاز في التصوير البديع في القديم والحديث على السواء ، مثل قول بعضهم : « التصوير الفني في القرآن الكريم » ، وقول بعضهم : « الفن القصصي في القرآن الكريم » فالقرآن يسمو عن تصويره بكلمة « الفن » المستعملة مع العامة ، ومثل قول بعضهم : « التصوير الأدبي » كأن القرآن نص أدبي من صنع البشر ، وقول بعضهم : « البيان القرآني » ، وهذا أقرب الى الصواب من حيث النسبة الى القرآن فقط ، لا من حيث المراد ، لأن البيان يمثل جانبا واحدا من جوانب التصوير القرآني العميق ، وغير ذلك من الأوصاف التى جرت على الألسنة مما لا يتناسب مع جلال القرآن الكريم وقدسيته الربانية .

والقرآن الكريم حين خاطب العقل والشعور ، والروح والقلب جميعا ، خاطبها بأجل الوسائل في التعبير ، فبهرها « بالتصوير القرآني » الذي تلتقي فيه كل روافد الاعجاز ، ليكشف عنها أروع كشف ، في جلاء ووضوح ، واقناع وتأثير ، والتصوير القرآني هو « اعجاز الاعجاز » ، لأن التصوير بمعناه الواسع العميق يفيض بكل ذلك ، فهو جسد وروح معا ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ولا نقصد بالتصوير الصور التقليدية والجزئية ، التى اقتصرت على ألوان البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها ، أو اقتصرت على اللفظ والعبارة أو اقتصرت على النظم في علاقة الكلمة بالمعنى ، دون الأبعاد النفسية والشعورية ، التى يعلمها خالق النفس والشعور سبحانه وتعالى ، وليس هذا هو المقصود بالتصوير القرآني ، بل الأمر أعمق من كل ما سبق ، وأرحب أفقا ، ان التصوير القرآني كائن حي خالد ، يلتقي فيه ما اجتمع في الانسان من كل وسائل الحياة ، في ارتباط شكله بمضمونه جملة ، وما وراء ذلك من مشاعر النفس وخوالجها وعواطفها والصدق فيها ، وغير ذلك من عناصر التصوير ، التى تملك زمام التأثير في النفس ، وتدفع صاحبها الى الاقتناع العقلي .

والتأثير والاقناع هما الغاية من الاعجاز في التصوير القرآني ، وبهما تحول الوليد بن المغيرة من معاند فاتك الى مهزوم ضعيف ، يسترحم محمداً صلى الله عليه وسلم ، ويضع يده على فمه الشريف فزعا من الهلاك ويقول له : أمسك عليك يا ابن أخي ، ثم يذهب الى صناديد الكفر ، الذين كانوا ينتظرون منه القضاء عليه ، فاذا بالحق ينطق به قلبه وعقله ، وينطلق على لسانه ، ليجري مجرى المثل والحكمة ، وان كان المثل من كافر ، وهذا أولى لأنهم قالوا والفضل ما شهدت به الأعداء . قال الوليد بن المغيرة ، يصف الابداع في التصوير القرآني : ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان

أسفله لمغدق ، وانه يعلو ولا يعلى عليه . وصدق الله العظيم اذ يقول : **(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)** الحشر/٢١

وعلى سبيل المثال تأمل قول الله تعالى : **(اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً . فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا)** الكهف/١٠ ، ١١ ، ستقف امامها خاشعا مطرقا لجلال التصوير القرآني في نقل المشهد حيا كما هو ، فأبرزت الآيتان الكريمتان عناصر التصوير في فرار الفتية من جبروت الملك في سبيل الله ، وهم على خوف شديد ، فشخصت السرعة في معناها ومبناها الموسيقي فقوله تعالى : (إذ) يدل بمعناه الزماني ومبناه الصوتي على قصر الوقت الذي قطعه الفتية في البحث عن الكهف في سرعة خوفا من الوقوع في يد الطاغية ، على العكس من كلمة (حين) التى قد تسد مسدها في المعنى الزماني ، فهي تدل على البطء وطول الوقت مما لا يتناسب مع المقام من السرعة ، ودلالة (أوى) عليها أدق من دلالة (لجأ) حين توضع مكانها ، فهي تدل على الوصول في تؤدة وتلكؤ .

ثم ما يوحيه لفظ (الفتية) من الشباب والنضارة ، وتدفق البذل والكرم في نصرة الحق ، والصلابة والقوة في جانب الباطل ، فموطن الغرابة فيهم أن ولايتهم في شبابهم ، والشباب مرحلة الغواية والميل ، ولن تكون ولاية الشيخ الكبير مثار العجب ، لذلك كان الشاب المستقيم من السبعة الذين سيظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ... وشاب نشأ في عبادة الله ، ثم ما يدل عليه وزن (الفتية) من العدد ، وهو دون العشرة ، وهم كذلك ، لأن العرب استعملت (فعلة) في جمع القلة .

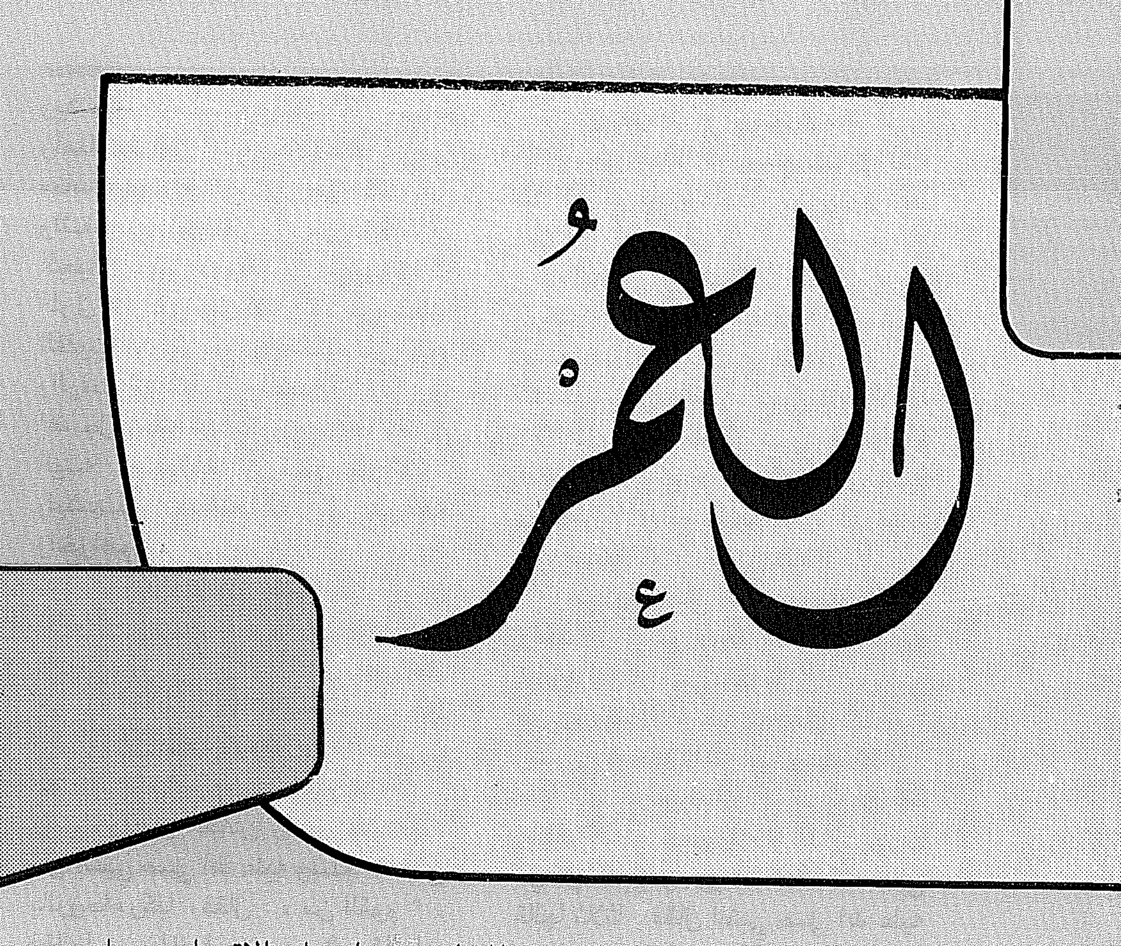
وأما قوله تعالى : (فضربنا) فالفاء وحدها التى تدل في اللغة على الترتيب والتلاحق صورت سرعة استجابة الله لهم ، حيث هيأ لهم كهفا يحفظهم فيه دلالة على ولايتهم ، والولاية دون النبوة ، لما في (الضرب) من معنى الايذاء والعقاب ، لفرارهم بدينهم ، بينما الأنبياء لا يفرون ، وانما يواجهون الكفار في ثبات واصرار ، وتسليط (الضرب) على السمع أبلغ في النوم من تسليطه على العين ، فقد تتناوم العينان ، وصاحبهما يقظان ، وانما النائم الحقيقي هو الذي ضرب على سمعه لا بصره ، وهكذا اذا ما تأملت ما في الآيتين من الحروف والألفاظ ، لوجدت أن كل حرف ولفظ لا بديل له في التصوير القرآني فهو يفيض بمعان غزيرة ، لا يعلم حقيقتها الا الله سبحانه وتعالى : **(وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين . وانه لفي زبر الأولين . أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل)** الشعراء/١٩٢ ــ ١٩٧ .

عبادة

عندما أوشكت الانسانية ان تبلغ رشدها ، ويكتمل وعيها ، وصار في استطاعة شعوب مختلفة الاجتماع على التفاهم والود والمحبة في صعيد واحد ، أمر المولى تبارك وتعالي رسوله وخليله سيدنا إبراهيم عليه السلام ببناء اول بيت مقدس يحج اليه الناس جميعا ، فنفذ سيدنا إبراهيم الأمر بمساعدة ولده إسماعيل عليهما السلام : (**واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**) البقرة - ١٢٧ .

ولما اثمرت طهارة القلوب ، وقداسة المبدأ والايثار ، والتطلع الى الحياة الانسانية المثلى في الاجتماع على العقيدة الصحيحة ، امر المولى تبارك وتعالى سيدنا ابراهيم عليه السلام بتطهير الكعبة من رجس الشرك ، والوثنية والاصنام التي كانت تعبد من دون الله عز وجل ، وقد هاجر الى « الجزيرة العربية » لهذا الهدف : (**واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود**) . الحج - ٢٦ .

وبعد ان تم بناء البيت الحرام وتشييده واعداده لجمع كلمة الناس



على عبادة الله عز وجل ، وتوحيد صفوفهم في ظل العقيدة الصحيحة أمر المولى تبارك وتعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام ان ينادي في الناس جميعا من كل جنس ولون ، معلنا دعوتهم لزيارة هذا البيت : (**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**) الحج ـ ٢٧ ، قال قتادة : لما امر الله عز وجل ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج نادي : يا أيها الناس ، ان الله عزوجل بنى بيتا فحجوا .

والاستجابة لهذا النداء الرباني لحضور هذا المؤتمر العام واجبة على المسلمين ، ليحل الاتحاد محل الاختلاف ، ويتحول الحقد الى ود واخاء .

ولقد كان فرض الحج في السنة الخامسة او السادسة من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامة عليه ، ليكون مظهرا من مظاهر المساواة بين المسلمين ، ورمزا خالدا لاتحادهم ، وملجأ رحبا لمواساتهم وتراحمهم ، وملاذا قدسيا لتزكية نفوسهم ، وشعاعا وضاء لانارة بصائرهم وضمائرهم ، ومتوجها خالصا الى بارئهم ورازقهم ، ليتجلى عليهم بنعمائه ، ويعمهم ببركاته وخيراته ،

ويشملهم باحسانه وتجلياته ، ومثابة وأمنا يثوبون اليه كل عام ليؤدوا مناسكهم ، ويتحرروا من ذنوبهم واثامهم ، ويتجردوا من زخارف الحياة الدنيا ، ويطهروا قلوبهم بذكر المولى تبارك وتعالى الذي تطمئن بذكره القلوب ،، ويترفعوا بأنفسهم عن اللغو والرفث والفسوق والجدل ، ويكبروا الله جل شأنه ويشكروه على ما وفقهم اليه وهداهم ورزقهم واولاهم ، وليشهدوا منافع لهم في دنياهم واخراهم .

ان الحج ركن عظيم من اركان الاسلام ، ودعامة قوية من دعائمه ، فرضه المولى تبارك وتعالى على كل مسلم ، بالغ ، حر ، مستطيع ، فلا يجب على الكافر ، ولا على الصبي ، اما اذا فعله الصبي صح منه ، لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لقى بالروحاء ركبا ، فقال : « من القوم ؟ » فقالوا : « المسلمون » ، ثم قالوا : « من انت ؟ » فقال : « رسول الله » ، فرفعت اليه امرأة صبيا وقالت : « ألهذا حج ؟ » ، قال : « نعم ولك أجر » رواه مسلم .

ولا يجب على المجنون ، ولو فعله لا يصح منه لذهاب عقله ، ولا على من فيه رق ، ولو فعله فانه يصح منه ويثاب عليه ، وايضا لا يجب على غير المستطيع ، ويسقط عنه الفرض في حالة ما اذا تبرع له احد بنفقات حجه .

ويشترط في وجوب الحج على المرأة أن تكون امنة على نفسها من الفتنة ، سواء بوجود زوج او محرم ، او نسوة ثقاة معها ، بيد انه يصح منها في حالة ما اذا خرجت وحجت دون وجود احد من هؤلاء معها .

والحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام ، لقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » (متفق عليه) .

وهو فرض على المسلم والمسلمة مرة واحدة في العمر ، وما زاد عن ذلك فهو تطوع ، ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس ، ان الله قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » ، فقال رجل : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم ، فانما اهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيء فدعوه » رواه مسلم .

بيد انه يسن الاكثار منه ومن العمرة تطوعا ، فقد روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » « متفق عليه » .

وقد ذهب كثير من العلماء الى ان الحج افضل من الصلاة والزكاة والصوم مستدلين على ذلك بما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي العمل افضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » (متفق عليه) .

ان المولى تبارك وتعالى قد اوجب الحج مرة في العمر على التراخي ، لتتعرض جماعات من الناس لنفحات الله عز وجل ورضوانه ، ولم يكن وجوب حج بيت الله الحرام عبثا ، بل هو لمنافع منشودة في كل النواحي المادية والروحية : (**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**) الحج ـ ٢٨ .

وهذه المنافع عامة وواسعة ، تتناول الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية ، والاجتماعية ، وسائر الجوانب التي تقدس وحدة المسلمين ، وتشعرهم بأنهم جميعا جسد واحد ، كل امة او جماعة تمثل عضوا فيه ، تستمد منه كيانها ويقوم وجودها عليه .

وليس هناك شك في ان قمة المنافع الروحية تتجلى في توجيه الناس جميعا الى توحيد الله عز وجل وعبادته دون سواه ، وهذا الاجتماع السنوي ضمان لاعظم وحدة اجتماعية ، وقاعدة عريضة للاخاء والسلام ، فليس هناك سوى معبود واحد ، كلهم لبوا دعوته ، واقروا له وحده بالنعمة ، ودانوا له وحده بالطاعة .

وفي مناسك الحج يندحر الشرك وتنهزم الوثنية ، وتتطهر العقائد من الدنس ، ويعلم الجميع انها شر كلها ولا خير فيها .

ويتجلى انتصار الايمان على الكفر بطريقة عملية في رجم الانصاب في « منى » وهذه سنة متبعة من ايام خليل الله عز وجل ابراهيم عليه السلام ، فقد حطمها في مدينة « اور » ، ثم رجمها في « منى » حين تراءى له الشيطان حولها ، ولا يزال الحجاج الى وقتنا هذا يرجمونها في « منى » .

ولقد لمس العرب بطلان عبادة الاصنام من قديم ، يوم رجمها سيدنا ابراهيم عليه السلام في « منى » ، وهو يقول عند الرمي بكل حصاة : « الله اكبر » ، ويتضح حذره من الشرك والوثنية في دعائه الذي اخبر المولى تبارك وتعالى عنه بقوله : (**واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام . رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم**) ابراهيم ـ ٣٥ ، ٣٦ ، ولا يزال الناس الى اليوم يلمسون بطلان عبادة الاصنام كلما رجمها الحجاج .

ولا شك ان الاحساس بتوحيد الله عز وجل ، ونبذ الاصنام يتجلى اعظم ما يتجلى من الناحية النفسية عند الحجاج حين يكفرون بها عمليا برجمها في « منى » ، هنا يستشعرون عظمة المولى تبارك وتعالى في قلوبهم وأنه الخالق لكل شيء ، وليس كمثله

شيء بعد ان تصغر في نظرهم الانصاب التي هي معاقل الشرك عندما يرجمونها وهم يهتفون : « الله اكبر » ، ويتكرر هدم الوثنية بتكرار رجم الانصاب في كل عام ، ففي يوم النحر يرجم نصب « العقبة » اكبر الانصاب التي ترجم في الحج ، وهو النصب الذي يرجم في ذلك اليوم وحده ، اما بقية الانصاب فترجم في ايام التشريق الثلاثة ، ومن تعجل في يومين فلا حرج عليه ، ولا يشك انسان مثقف له دراية بعلم النفس في ان رجم الانصاب في معاقلها هو تذكير بأن المولى تبارك وتعالى واحد لا شريك له في ملكه وفي سلطانه .

وفي موسم الحج يجتمع المسلمون على اختلاف جنسياتهم واوطانهم والسنتهم ، في مؤتمر عام عالمي للمدارسة في شئونهم ، ولتبادل وجهات النظر فيما يهمهم من الامور ، حتى يحققوا العزة والنصر لهم ولدينهم .

ويكفي انهم في موقف لا يجدون فيه الا الحق ، ولا يحسون الا بالتضرع والابتهال الى المولى تبارك وتعالى ، رجاء مغفرته واملا في عونه ، وطمعا في رحمته ، « مكة » البلد الحرام ملتقاهم ، والكعبة الشريفة مجتمعهم ، وهي اول بيت وضع للناس ، يقول الحق جل وعلا : « **ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين** » ، آل عمران - ٩٦ ، ٩٧ ، فمن ترك الحج مع قدرته عليه فان الله عز وجل في غنى عنه ، لأنه جل شأنه غني عن العالمين .

وقد استعمل القرآن الكريم كلمة « **ومن كفر** » بدلا من كلمة « **ومن ترك الحج** » ليدل على شدة حرص الاسلام على اداء هذه الشعيرة .

وفريضة الحج تجمع اركان الاسلام في مناسكها ، ففيها الصلاة ، وفيها الزكاة ، وفيها الصيام في فدية التقصير في بعض الواجبات ، وفيها التوحيد في التلبّية ، وفيها الى جانب ذلك مظهر الجهاد ، من حيث الاستعداد وتحمل مشاق السفر ، وتغيير الاجواء والمطعم والملبس والمسكن ، وما يعتاده الانسان في حياته العادية ، وما يتقيد به الحاج من الازمنة والامكنة .

والحج هو الشعيرة الوحيدة من بين شعائر الاسلام التي لا تؤدي الا بصفة جماعية ، وعلى هيئة مؤتمر عام ، ولقد جعل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من مؤتمر الحج طريقا للتغيير ، وطريقا للتقدم ، وطريقا للنهوض بالانسانية ، واستغل الرسول صلى الله عليه وسلم موقف الحج لتوجيه المسلمين للمنهاج الصحيح والطريق القويم .

ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة ومعه مائة الف او يزيد من المسلمين لحج بيت الله الحرام ، فطاف بالكعبة ، ثم سعى بين الصفا والمروة ، وفي ليلة اليوم الثامن من ذي الحجة

نزل المزدلفة بمنى ، وفي ليلة التاسع نزل بعرفات عند الصخرات ، فلما حان وقت العصر امر من ينادي في الحجاج بالانصات ، فأنصت الناس ، واتخذ من حوله مبلغين لخطبته حتى يصل قوله الى الناس واضحا ، فخطب وهو فوق ناقته القصواء خطبة جامعة شاملة ، اكمل بها دستور الدين ، واتم بها الرسالة ، ووضحت خطبته الاغراض الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمستقبل المسلمين ، وتعد هذه الخطبة وثيقة خطيرة حددت اهداف الاسلام العليا ، وصارت اساسا كليا في التشريع ، وسندا يرجع اليه فقهاء الدين ، ففي هذه الوثيقة قطع لكل كلام حول الاسلام ، ويكفي ان الوحي نزل بعدها - كما جاء في صحيح الخبر - بقول المولى تبارك وتعالى : (**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة - ٣ .

وفي الحج يتجمع الحجاج من سائر أنحاء الأرض ، يفدون على البلاد المقدسة ، فيغمرونها بما ينفقرنه وما يتصدقون به ابتغاء وجه المولى تبارك وتعالى وابتغاء مرضاته ، الأمر الذي يؤدي إلى إصلاح حال الفقراء ، ويحقق دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام : (**رب اجعل هذا البلد آمنا وأرزق أهله من الثمرات**) إبراهيم/ ٣٥ .

وفي الحج تتجلى وحدة المسلمين كأقوى ما تكون ، وتزول جميع الفوارق ، ونرى المسلمين وقد غمرهم احساس المودة والمحبة ، وملأ قلوبهم الشعور بالاخوة الاسلامية وهم في اطهر مكان واقدس بقعة ، يذكرون الله عز وجل في ايام معدودات ، مستمسكين بالقيم والمبادىء ، متجردين من الاهواء والشحناء ، مبتعدين عن البغضاء والمعاصي ، عازفين عن الفسوق والجدال والعصيان ، متجملين بالصبر على الشدائد ، متقبلين بكل رضا وطيب خاطر الارهاق الحسي والنفسي في الاماكن الضيقة وزحمة الحجاج ، مرتدين ملابس الاحرام مظهر المساواة ورمز الوحدة ، في صفاء روحي ، متجهين الى القبلة نقطة تجمعهم وشعار وحدتهم ، آملين رضا الله عز وجل والدار الاخرة ، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم » رواه البزار عن جابر ورجاله ثقات .

وفي الحج يقف المسلمون بعرفات ، تجمعهم جميعا روابط المودة والاخاء هاتفين في صعيد واحد ووقت واحد للاله الواحد : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك » .

وعلى ذلك فان الحج المبرور يعتبر عبادة العمر ، ويكون بمثابة التطهر من جميع الذنوب ، والتزود بالكثير من الفضل والرضوان ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » (متفق عليه) .

ان فضل المولى تبارك وتعالى على

حجاج بيته لاتحده حدود ، فهم قد جاءوه شعثا غبرا وهو عز وجل ناظر اليهم برحمته ، ويحوطهم برعـايته ويحفظهم بعنـايته ، تتنـزل عليهم الـرحمات في عـرفة وحـول البيت الحرام ، وفي كل موطن من المواطن التي يؤدون فيها الشعائـر ، وهم خـاضعون بـين يديـه عز وجـل ، متساوون ، منخلعون من كل ربقة لا يـرتضيها الاسـلام ، متخلون عن المألوف والشهوة والعادة ، متحركون ضمن هدف واحد رسمت معـالمه العقيـدة الاسلاميـة التي يهللـون ويكبرون لشارعهـا ، رافعون اكف الضراعة اليه بالرجاء ، قلوبهم مؤمنة ونفوسـهم راضية طيبة ، فلا يخيب لهم المولى تبارك وتعالى رجاء ، ولا يرد لهم دعـاء ، بـل يشملهم بفضلـه ورحمته ، فيندمون على ما اقترفوا من ذنوب ، ويقفون بين يديه عز وجل خائفين من هول اليوم الذي يفر فيه المـرء من اخيـه ، وامـه وابيـه ، وصاحبته وبنيه .

ان الحج بشعائره كلها آية ربانية على سلامة الطريق ، ومصدر قوة للامة الاسلامية لو رافقت كلماتنا الخشية ، وارتبطت تلبيتنا بالقلوب ، وجعلنا كلمة الاسلام هي المحكمة ، وفي بيت الله الحرام آيات بينات ، جديرة بأن توقظ كل غافل ، وتشد من ازر كل كامل ، وتحيى الارض بعد موتها ، وذلك ميدان يتسـابق فيه السعداء الذين لا يبتغون اي شيء سوى مرضاة الخالق جل شأنه .

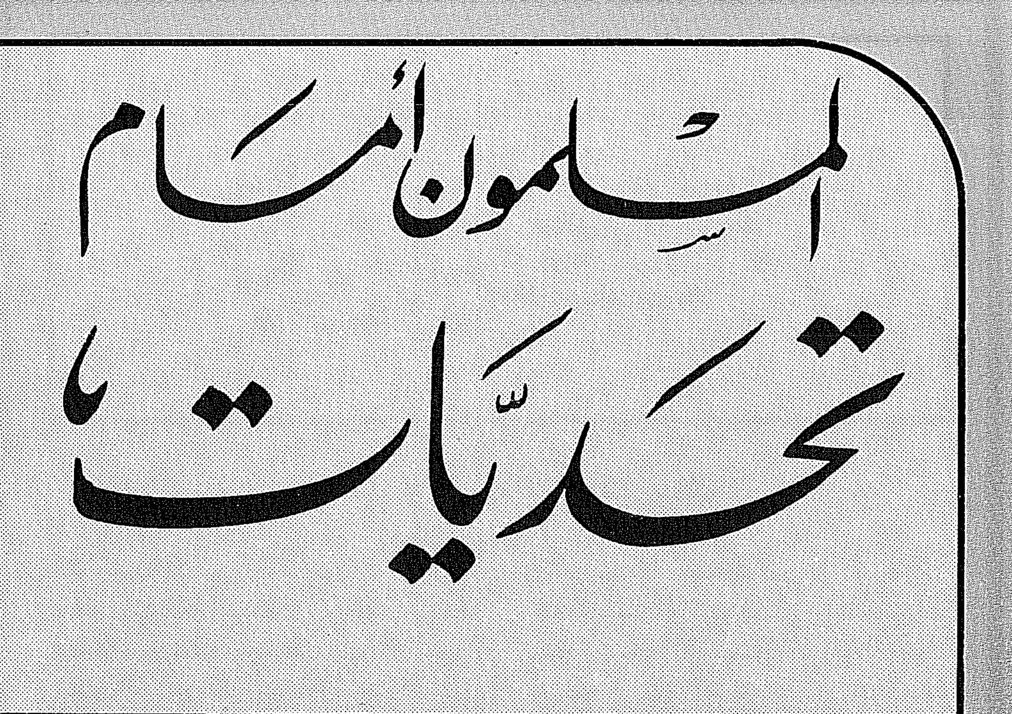
ما اعظم هذه الفريضة ، وما اعذب وقعها على النفوس المؤمنة ، انها رحلة الحيـاة وطريق الفـوز والسعادة ، والنجاة من عذاب المولى جل شأنه ، وفي ذلك يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « اتاني جبريل عليه السلام فاقـراني من ربي السلام وقال : ان الله غفر لاهل عرفات ولاهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات ، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : « يا رسول الله : اهذا لنا خاصة ؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا لكم ولمن اتى من بعدكم الى يوم القيامة » ، فقال عمر : « كثر خير الله وطاب » رواه المنذري في كتاب الترغيب والتـرهيب عن ابن المبارك عن سفيان الثوري عن الزبير بن عدي عن انس بن مالك رضي الله عنه .

نسأل المولى تبارك وتعالى الرحمن الرحيم ، وندعوه وهو القاهر فوق عباده ، ونلجأ اليه وهو الذي يباهي بـالحجيج مـلائكته ويتجـلى عليهم بالرحمة والعتق من النار ، ان يفتح القلوب لهدايته ، وان يجعل من نور كلمات المصطفى صلى الله عليه وسلم غيثا يروي النفوس العطشى ويحملها الى مرابع الخير ، وان يتجلى على عباده بروح من عنده تسري في كيان الفرد والجماعة ، فيعـودون الى سيرتهم الاولى ، ينهلون من منابع العطاء ، ويستـأنفون الطـريق ، ويـأخـذون بأسباب القوة في القلوب والعقـول والاعداد ، فيأمنـون بعد خـوف ، ويـؤدون رسـالتهـم في العـالـمين مطمئنين .

إلى حجاج بيت الله الحرام

للاستاذ / محمود محمد بكر هلال

سطعت كنور الفجر في أبياتي ... وتسربت كالعطر في الزهرات
وغدت تحدث في جلال خاشع ... كالطهر والايمان في الصلوات
وسمعتها تدعو وتهتف في الضحى ... قدسية الدعوات والنغمات
نادى الخليل فياسعادة من سعى ... لله في صدق وفي إخبات
فأجابها نفر « كريم » أشربوا ... حب التقى وحلاوة القربات
تركوا ديارهمو وساروا خشعا ... كالنور يطوى الجو والفلوات
وهناك في الأرض المقدسة التي ... كرمت بنور الوحي والآيات
هتفت بهم ورقاء ساحرة الرؤى ... تختال في سحر وفي هالات
ورنت الى ركب الحجيج وأرسلت ... بشرى كلحن الطير في الربوات
حجاج بيت الله طابت رحلة ... نلتم بها ما طاب من جنات
غادرتمو الوطن الحبيب لتسعدوا ... بالأجر والرضوان في عرفات
وخلعتمو الدنيا وزخرفها الذي ... يغري الورى باللهو واللذات
وهناك في عرفات صرتم أمة ... مجموعة التهليل والدعوات
لا فرق بين الواقفين فكلهم ... قلب يناجي الله بالطاعات
وعلى منى نلتم من الله المنى ... وقتلتمو الشيطان بالجمرات
وقصدتمو البيت الحرام وطفتمو ... سبعا ببيت الله ذى الرحمات
بشراكمو فلقد عمرتم بيته ... وهو الكريم يضاعف الحسنات
ثم انثنيتم نحو قبر محمد ... فحظيتمو بالخير والبركات
صلى عليه الله ما طلع الضحى ... ودعا الموحد بارىء النسمات
ولكم من الله المثوبة والرضا ... في أسعد الأيام والأوقات
والتهنئات أزفها منضورة ... كالزهر في أرج وفي بسمات
لكمو بحجكمو وباليوم الذي ... لا شك بالنصر المؤزر آت



خطة جديدة :

شنت اوروبا ثماني حملات صليبية على الشرق الاسلامي ، وقد باءت هذه الحملات بالاخفاق والهزيمة . فـ « القديس لويس التاسع » قائد الحملة الصليبية الثامنة وملك فرنسا وقع اسيرا في مدينة (المنصورة) في مصر ، ثم خلص من الأسر بفدية . ولما عادِ الى فرنسا أيقن ان قوة الحديد والنار لا تجدي نفعا مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة تدفعهم الى الجهاد ، وتحضهم على التضحية بالنفس وبكل غال ، اذن لا بد من تغيير المنهج والسبيل ، فكانت نوصياته أن يهتم اتباعه بتغيير فكر المسلمين ، والتشكيك في عقيدتهم وشريعتهم ، وذلك بعد دراستهم للاسلام لهذا الغرض . وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار الى ميدان الفكر !

ان هذه الوثيقة الخطيرة ظلت مختفية عن انظار المسلمين ، بل العالم فترة طويلة ، ولم يكشف النقاب عنها الا في وقت متأخر قبل سنين قليلة ، وقد اشارت اليها مراجع عديدة من كتب التاريخ الفرنسي ، كما ذكرها مؤرخه ـ ايضا ـ « جرانفيل » ! وقد حولت المعركة بهذه التوجيهات من الغزو العسكري الى الغزو الفكري ، فعلى شبابنا ان يتفهم ويدرك ما اراد لهم اعداؤهم ، اذ قد نفذت هذه الخطة تنفيذا دقيقا ، ونجحت نجاحا



الغزو الفكري

للاستاذ/ ابراهيم النعمة

واضحا ، نلمس اثاره في مجتمعات المسلمين اليوم !

مجالات الغزو الفكري :

كان الغزو الفكري الذي وجه الى العالم الاسلامي منظما التنظيم كله ، فعمل على الدخول في جميع مرافق الحياة ، والهيمنة عليها واستغلالها لصالحه ، فاستخدم السينما والمسرح والتمثيلية والقصة والاذاعة والتلفزيون والكتب والمجلات في ما يحقق غرضه ! وقد حقق ما يصبو اليه وزيادة ، فأنشأ جيلا يحب الغرب والحياة الغربية ، بل يتفانى في سبيلها ! ولو حملت اوروبا كلها السلاح اكثر من الف سنة ، وجاءت بخيلها ورجلها ، وقضها وقضيضها الى العالم الاسلامي : تغزو وتدمر لما حققت من النجاح ما حققته في غزوها الفكري الذي اوهن الامة الاسلامية ، وتركها تتلوى الما وترتمض اسى !!

التربية والتعليم :

ومن اقوى الوسائل التي تمكن بها الغزو الفكري من الوصول الى هدفه هي التربية والتعليم والثقافة الاجنبية ، اذ بوساطة ذلك تم الاتصال بالمسلمين .. وقد دخل الغزو الفكري الى العالم الاسلامي من باب يخيل الى السطحيين من الناس انه

الباب الطبيعي ، اذ حمل أسم العلم والمعرفة والتمدن ، ومن يحارب ذلك الا الجاهل الاحمق ؟! يقول زويمر : « المدارس احسن ما يعول عليه المبشرون في التحكك بالمسلمين » !

اقبل المسلمون على هذه المدارس بكثرة كاثرة : يزدردون مناهجها ، ويلتهمون كل ما احتجنته من عقيدة وفكر ، لا يميزون صحيحها من فاسدها ، ونفعها من ضرها .. وقد اوحى الى بعض المسلمين ان يعتقدوا ان التعليم في هذه المدارس خير دواء لمعالجة الداء الذي الم بالعالم الاسلامي ! ولم يدر بخلد كثير منهم ما سوف تنتجه هذه المناهج المبنية على اسس تختلف وتتباين عن اسس الاسلام الصحيحة في العقيدة والشريعة ، والنظرة الى الكون والحياة والانسان : (**والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا**) الاعراف/٥٨ .

على ان هذه المدارس كانت تساندها جمعيات كثيرة : تمدها بالمال وبكل ما تحتاجه . ونستطيع ان ندرك اهمية هذه المدارس في اعمالها التخريبية باهتمام المستعمرين بها ، اذ ما دخلوا بلدا من البلدان الا كان اول ما فعلوه ان فتحوا المدارس . وقد قال القائد الفرنسي الجنرال « بيير كيللر » عن المعاهد الفرنسية في لبنان :

« .. فالتربية الوطنية كانت بكاملها تقريبا في ايدينا . وفي بداية حرب عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ كان اكثر من اثنين وخمسين الف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا ، وكان بين هؤلاء فتيان وفتيات ينتمون الى عائلات اسلامية عريقة » وهذه المدارس ادت دورا عجزت عن ادائه اجهزة التبشير والاستشراق كلها . ويكفينا ان نعلم ان مؤتمر (ادنبرج) التبشيري الذي عقد عام ١٩١٠ وحضره ١٢٠٠ من مندوبيه كان مما قرره هذا المؤتمر ما يأتي :

« اتفقت اراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على ان معاهد التعليم الثانوية التي اسسها الاوروبيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية ، يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول اوروبا كلها » .

ويقول المبشر « تكلي » :

« ان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس امرا صعبا جدا » .

ويقول المستشرق الانكليزي (هاملتون جب) :

« لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة العصرية والصحافة ان يترك في المسلمين ـ ولو من غير وعي منهم ـ اثرا يجعلهم في مظهرهم العام « لادينيين » الى حد بعيد ، ولا ريب ان ذلك هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الاسلامي على حضارته من اثار » .

الجامعة :

بعد ان سيطر المستعمرون على بلاد المسلمين اولوا جل اهتمامهم

بالجامعات الاسلامية : بمناهجها ونظامها ، وصاغوها صياغة خاصة تجعل المتخرج منها لا صلة له بالاسلام ، ويكون في الوقت نفسه اميّا في عقيدته وشريعته . يقول الدكتور عبد الحليم محمود ـ شيخ الجامع الازهر رحمه الله :ـ

« ان الامر قد وصل بالاستعمار ان صاغ خريجي كليات الحقوق ، بحيث لا يفهمون بعد (الليسانس) كتابا عربيا في المواد التشريعية ، وليس الامر بغريب ، ان جدول التدريس في كليات الحقوق يخصص عشرين محاضرة في الاسبوع للقوانين الاوروبية ، ومحاضرتين فقط للشريعة الاسلامية » .

ولم يكتف المستعمرون بذلك بل قاموا بفتح جامعات ومعاهد لتقوم بتوجيه ابناء المسلمين توجيها مباشرا : كالجامعات الفرنسية والامريكية التي كانت تعمل عملها في القاهرة واستانبول وبيروت وغيرها . وكانت هذه الجامعات تخرج شبابا معجبا بالغرب وحضارته . وتمكنت هذه الجامعات الغربية من منافسة الجامعات الاسلامية ، فانتزعت من الجامعات الاسلامية شبابها ، خاصة بعد ان جعلت الوظائف المهمة منحصرة في خريجي جامعات الغرب ، واغدقت عليهم المرتبات الوفيرة ، في الوقت الذي ضيقت الخناق من الناحية المادية على خريجي الجامعات الاسلامية ! ووصل الامر بخريجي الجامعات الاسلامية ان صارت الامثال تضرب بهم : في فقرهم المدقع ، وعوزهم البائس لقلة مرتباتهم !

وقد استمدت الجامعات العصرية مناهجها وبرامجها من المناهج والبرامج الغربية ، متجاهلة الدور الكبير العظيم الذي اسداه المسلمون الى الانسانية في مجال العلوم والاداب والروح والقيم ، وكانت علوم الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء وغيرها تدرس في هذه الجامعات على انها نتاج غربي ليس الا ، وان المسلمين لم يكن لهم اي دور يستحق الذكر في هذه العلوم وقد هدفت هذه المناهج الى ان تقف وقفة مضادة لما كان يقوم به الازهر ، وجامعتا الزيتونة ، والقرويين ، والمدارس الاسلامية في العالم الاسلامي ، وبذلك يتخلخل وينهز فكر الشباب المسلم ، الامر الذي يؤدي ـ بطبيعة الحال ـ الى ان يتخرج الطلاب من كلتا الجامعتين ، وخريج كل منهما يختلف في تفكيره مع الاخر ، بل صار بينهما تضاد عميق وبون شاسع ! ووصل الامر ببعض هذه الجامعات العصرية ان صارت تحتفل بمولد اناس عرفوا بمعاداتهم الشديدة للاسلام ، وذمهم الكبير وانتقاصهم الواسع للعرب : كما فعلت احدى الجامعات في مصر حين احتفلت بذكرى مرور مائة سنة على ولادة الفيلسوف (رينان) !!

وتبنت هذه الجامعات العصرية وجهة النظر الغربية في الاسلام والعرب والشرق ، وذلك بتأثير المستشرقين الذين كانوا يدرسون فيها ، وقد جعلت سورا من حديد بين

العلم الذي يدرسه ابناء المسلمين والاسلام الذي ينتسبون اليه . هذا وقد جعل الغربيون كثيرا من الجامعات الغربية تجمع بين العبادة والعلم . ففي جامعة (اكسفورد) مثلا تسع عشرة كلية وفي كل منها كنيسة ، والطلبة ملزمون بالصلاة فيها في اوقات معينة . ولا يخفي على القارىء اللبيب الفرق الواسع بين عقيدة الاسلام والعقيدة الاوروبية في موقفها من العلم فليتأمل !!

على ان الجامعات الغربية كان مخططها دقيقا ، حيث عملت على الوصول الى الهدف في تشكيك المسلمين بدينهم وتاريخهم وقيمهم من غير ان تصطدم اصطداما مباشرا بالاسلام ، ومن غير ان تستثير من يحمل حبا للاسلام فتخسره ، وذلك في ترويج دراسات المستشرقين في القرآن والوحي والرسول واللغة العربية والعقيدة والشريعة ، ومما يدلنا على ذلك ان الجامعة الامريكية في بيروت ظلت خمس عشرة سنة تدرس العلوم باللغة العربية ، ثم الغت ذلك ، وصار تدريسها بالانجليزية . وفي جامعة الجزائر كان التعليم بالفرنسية وكذلك الامر في معهد الدراسات العليا في تونس .

على ان هذه الجامعات الاجنبية يتخرج منها الطالب وهو موزع الولاء لدين غير دينه ، وحضارة غير حضارته ، وامة غير امته ! ان ذلك كله انكشف أمام الناس انكشافا واضحا حين وقف عبد القادر الحسيني ، يوزع شهادات خريجي الجامعة الامريكية سنة ١٩٣٢ ، والقى كلمة قال فيها :

« ان هذه الجامعة التي تظهر امام الناس في مظهر المدرسة العالمية ، ولكنها في الحقيقة تعمل على افساد العقائد الدينية ، وهي تطعن في الدين الاسلامي ، وان الجامعة الامريكية التي ادعت انها علمية محضة ، وليس لها ادنى علاقة بحوادث التبشير ليست كذلك » وقد اتى في كلمته هذه بأدلة كثيرة اثبتت ما قرره !!

ويعرب (ماسينيون) عن مهمة جامعات فرنسا تجاه الطلاب المسلمين فيقول :

« ان هؤلاء الطلاب المسلمين الذي يصلون الى فرنسا يجب ان يصاغوا صياغة غربية خالصة حتى يكونوا اعوانا لنا في بلادهم » .

وهكذا يعود المبعوثون بعد ان اجرت لهم الجامعات الغربية عملية « غسل الدماغ » الى بلادهم ، وقد حملوا افكار المستعمرين نفسها التي تقلل من سلطان الاسلام واهميته ، بل توهنه وتضعفه ! واذا علمنا ان اقامة الطلاب في ديار الغرب حين الدراسة فترة ليست بالقصيرة ، وان تلك الديار فيها من الانحراف والميوعة والضلال الشيء الكثير ، وان المقيم في تلك الديار يتأثر بأعراف القوم ان لم تكن له حصانة من دينه تقيه من شرور ذلك المجتمع الفاسد ، ادركنا ان بعضا من طلابنا ، بل كثيرا منهم سوف يتأثر بتلك البيئة ، لكن هذا التأثير يختلف من بعضهم الى البعض الآخر قوة وضعفا ، إيجابا وسلبا !



هنا... أمام الحرم

للأستاذ/ أحمد العناني

« أبشر .. أبشر .. رزقت بولد يا ضعيفة ، ربما لم تتناه الى سمع شيخ بركات ! » وارتفعت زغرودة أحد أبعد ممن في الجوار الملاصق ..

ولا عجب فقد كان الشيخ بركات ، كما يطيب للناس أن يسموه على كره منه ، موضع مهابة من نساء بيته ، وحب عميق أيضا ... في ذلك اليوم الزاهر ، ابتسم الشيخ بركات ابتسامة فاترة ، ولكنها معبرة ، وحيث كان الوقت في الهزيع الأخير من الليل ، وكان قد أعد منذ أيام ، ما يحتاج اليه البيت ، في مناسبة كل مولود جديد ، فانه لم يزد على أن نهض فتوضأ ثم مضى تـوا الى الحرم الابراهيمي الشريف ، يتمتم شاكرا لله تعالى ، وينقل خطاه بتأثر عميق وسعادة ، على شوارع مبلطة بحجارة صلبة متآكلة الوجوه ، من طول سير الناس عليها في تلك المدينة القديمة ، وفيما كان يقترب من الحرم كان يسمع أنين العابدين في « الزوايا » المحيطة بالحرم العتيق ...

ومر ببوابة كبيرة ، ينتهي منها السائر مباشرة الى الدرج الصاعد الى الحرم ، وتذكر أنه جلس عندها في جنح الليل غير مرة ، يسأل الله تعالى أن يستجيب لدعائه ، فيرزقه ولو ولدا واحدا ، عسى أن تنتفع به شقيقاته الخمس ، اللواتي سبقنه للحياة ، فلقد كان قد وطد العزم على ميتة جهادية في سبيل الله ... فمنذ استشهد الشيخ القسام رحمه الله ، وهذا الرجل يحس أن حافزا يناديه من أعماق أعماقه ، أن يا هذا : ما فائدة الاستمرار بعد الأبرار في الحياة ؟ ! والله لأن تموت ألف مرة خير لك من أن تحيا الى حين تنفذ نوايا المستعمرين ، وينتهي أمر البلاد الى أحباب الصليبيين ... لقد كان يتمثل الصهاينة وقد تكاثروا ومشوا تحت حراب الغاصب الى الأقصى ، والحرم الابراهيمي ، فتجتاحه تنهيدة ثقيلة ، وتمنى لو يموت كما مات الشيخ القسام ، يواجه الرصاص بجبهته ووجهه ، ويظفر من الله برضوانه ..

لم يكن في الحرم أحد حين وصل الشيخ بركات ، فتوجه ناحية المحراب حيث اعتاد أن يسري الى هناك قبيل الفجر من كل يوم ، يصلي مع الناس ، ثم يحمل خريطة ، فيها خبز ، وحفنة من الزيتون وقطعة من اللبن المجفف ، ويمضي قدما الى كرم العنب الذي ورثه عن أبيه ، لا يفتر في الطريق عن ذكر الله أبدا ، حتى اذا وصل الى الكرم مضى الى حيث يخبىء فأسه في مسكن صيفي مهجور ، ويبدأ العمل الى أن يدركه الجهد والجوع حين يكون الضحى ، فيجلس ليستريح ، ويفطر ، ويصلي ركعتين ، ثم يستأنف العمل يضرب في الأرض كأن له عندها ثأرا .. فاذا حان الظهر توضأ وصلى واستراح ، ثم استأنف العمل بعد الظهر ، حتى تميل شمس النهار الى المغيب غير غافل عن صلاة العصر .

وشد ما كان يزعجه حين يلقي تحية الى أحد ، أن يجيء الجواب في كل مرة : « وعليك السلام يا شيخ

بركات ! »
وذات مرة انفعل كثيرا من هذه العبارة ، فانفلتت منه صيحة عجب وتأفف ـ يا أخي .. أنا بركات بن ابراهيم الوردي ! »
ـ ومن قال غير ذلك يا شيخ بركات ؟ »
ـ أستغفر الله العظيم ! ويتنهد
ـ لم أخطىء في حقك يا شيخ بركات ، وأنت رجل طيب لا تغضب وأنت على حق .. فما بالك تغضب بغير حق اليوم ؟
ـ لا قوة الا بالله ! يا أخي أنا لست كبير سن فتسموني شيخا ، ولا عالما في الدين ولا فقيها .
ـ لا يا شيخ ابراهيم .. أنت
ـ رجاء رجاء لا تزكني على الله .. حرام عليك .. حرام عليكم يا ناس ، دعوني وشأني .
ويهز الرجل الآخر كتفيه استغرابا .. ومع ذلك فهو يحس بحنان عميق لهذا الرجل ، وهو يوقن أن لو كان على الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، لشابههم بركات الوردي في نقائهم وطهرهم ..
كان بركات من أوساط الطلبة في ثانوية الخليل الوحيدة في ذلك الزمان ، وكان يحيا حياة رتيبة ، وفق تربية صارمة في ذلك البلد الجبلي ذي التقاليد القديمة .. وعندما أنهى الثانوية ، وجد نفسه تلقائيا يعمل في مكان أبيه المتوفي من قريب ... يذهب الى كرم العنب فيعتني به ، لا يكاد يفارقه في غير أيام الجمع ، وكان يحيا حياة الجند من غير أن يعرف الجندية .
قبل الفجر من كل يوم يمضي الى الحرم ، وبعيد طلوع الشمس يكون في الكرم ، وقبيل الغروب يعود .. يصلي المغرب ، ويتعشى ، ويجلس الى بناته يسامرهن بعض الوقت ، وقد يزوره جاره أبو خالد ، أو يذهب هو لزيارته ، والحديث ان لم يكن عن الزراعة وشؤون الكروم ، فهو عما يشغل الناس من أمر الانجليز واليهود ، وعما يلقى الناس من قهر وسجون وتعذيب ، وعن الثورة وأحداثها .
وقليلا ما كان الشيخ بركات يسهر الى ما بعد صلاة العشاء يصليها في الجامع ان كان ناشطا ، فان كان جهد الأرض والزراعة قد امتصه سحابة النهار فهو يصليها مع أهله في البيت ، ثم يأوي الى فراشه يستعين على سرعة النوم بذكر الله ، والتضرع اليه ، ولا يخالف عن ذلك الا ليالي العمليات ضد الانجليز .
ذلك كان شأنه في الشتاء ، فاذا ما حميت شمس الربيع ، وبدت طوالع الصيف والحرارة ، استعان بجاره أبي خالد في ترميم العريش الصيفي ، وفي ثاني يوم يتعاون الاثنان في عريش أبي خالد ، ثم ترتحل العائلتان الى الكروم ، حيث الهواء الطلق والفاكهة والخضار ، وحيث النسوة يجتمعن ليخبزن على نار الحطب يثرثرن في أخبار الثوار والانجليز واليهود .
كان كل شيء على ما يرام في

المسكن الصيفي ... الجو في الأرض التي باركها الله لا هو الى حر في النهار ولا الى برد في الليل ... ومنذ الأصيل تختلط الأنوار والظلال وخضرة الكروم، والأنسام في موكب من الجمال يتحول اذا جن الليل عليه، وواتاه القمر بالحضور، الى معرض مسحور، يستريح القلب فيه، وتقر العينان، وتهدأ الروح في الجسد ... فيمتنع السهاد، ويحلو الرقاد، ويهيمن الصمت حالما بالسعادة، الى حين يمزق هدأة الليل صوت الرصاص يلعلع، من اشتباكات الثائرين مع دوريات الانجليز، وما تلبث أن تأتي مصفحات تهدر بصوتها الأجش على الشارع الرئيسي الممتد الى بيت لحم والقدس، واذ ذاك يحمي الوطيس ولا يبقى رجل عنده سلاح الا وهو في المعركة .. وتصطك أنياب الصبية الصغار، حين يخرج الانجليز من المصفحات، ليعيثوا خلال العرائش الصيفية بالأذى والعدوان .. وهم يصيحون برطانتهم المقيتة، فاذا أطلقت النيران من خلفهم رجعوا الى مركباتهم، يخورون كالثيران الهائجة ...

وبآخرة من الليل، يجلس الشيخ بركات وأبو خالد يتهامسان، فيما ينتظران غليان الماء في ابريق للشاي، على جمرات خافتة من نار الحطب.

- هاه ! ما رأيك ؟ هكذا يتساءل أبو خالد أولا

- لن نهدم راحتنا وراحة الأولاد بالعودة الى المدينة

- ولكني متأكد أنهم كشفونا .. غدا يأتون بكلابهم البوليسية فتتوقف عند عريشكم أو عريشنا، فيخربون كل شيء فيهما، ويروعون الأطفال، ويعتقلوننا.

- لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .. كل ما عليك أن تنهض فتضع في طريق الكلاب الى مخبأ الرشاشين والذخيرة ما يحول بينها وبين الشم، وما علينا الا التظاهر بالبراءة والغباوة، فتجوز الحيلة عليهم .. انهم أغبياء يا أبا خالد

- لكن هذا الضابط الجديد الذي يتكلم العربية أشد خبثا من الشيطان .. ألم تسمع بما فعل في حلحول أمس .. لقد أمر جنوده فخلطوا المؤن والملابس والفراش ثم أهالوا عليها الغاز وحرقوها .. ولم يترك رجلا ولا صبيا ناهز الرجولة، الا اعتقله وأمر بضربه، وقد قتل ثلاثة من خيرة الرجال ...

- كذلك فعل ... ؟ هل فيهم أحد من الجماعة ؟

- نعم ! محمد خليل ...

- واستشهد محمد خليل اذا ؟

- أي والله ! فلم تبق عين لم تدمع، ولا قلب لم يحزن .. كان والله يساوي مئة رجل .. رحمة الله عليه .. ما رأيت في الرجال أشد منه صمودا في ساعة الشدة ..

مضى أبو خالد يتحدث بلوعة عن آخر شهيد، شيعته القرية

المناضلة حين قتلوه غيلة ، بعد أن أعياهم في الجبال ليلا .. فيما ظل الشيخ بركات صامتا وقد امتلأ قلبه بالحقد على أولئك الكفرة المعتدين ... ثم تمتم بركات ...
ـ ليتني لم أذهب أمس الى يافا .. لكن أمر الله لا يرد .. كل هذا حصل في يوم واحد ؟
ـ ولكنا كنا محتاجين لسفرك من أجل الذخيرة ، ويا ليتك عدت بشيء
ـ رحمة الله عليك يا محمد خليل .. كان المقرر أن يذهب هو حتى آخر لحظة .. ما هكذا كان يشتهي أن يموت ... ولكن أين كانت القنابل الثلاث .
ـ كان على وشك الوصول الى مخبئها ، حين فاجأوه من الخلف بالرصاص
ـ لا بأس .. لا بأس ...
ـ أنا أعرف أن موته يشق عليك ، فقد كان لك أخا وفيا ، ورفيق عمر وسلاح .
ـ غدا أو بعد غد ، سأثأر له إن شاء الله ، وبالقنابل الثلاث .
ـ لا تحاول شيئا الآن .. انهم منتبهون
ـ استمع الي يا أبا خالد ، والله ما لنا أكرم من الميتة التي ماتها شهيدنا القسام ، مواجهة مع هؤلاء المجرمين الذي باعونا لليهود في وضح النهار ، مد يدك وعاهدني
ـ على ماذا ؟
ـ مد يدك وتوكل على الله .. لقد امتلأت البلاد بما زرعوا فيها قسرا من مستعمرات لليهود .. والله ما بقي في الأمر رجاء لشجاع ولا لخائف .. أعطني عهدك بأن تنظر في شأن ولدي اسماعيل اذا اختارني الله لجواره .
ـ يا شيخ بركات .. لا تلق بنفسك في التهلكة ، وعندك خمس بنات وطفل .
اذا أترك ولدي لله ، فأنت لا تريد مسؤولية عنه .
ـ معاذ الله أن يكون الأمر كذلك .. ولكن أردت
ـ أردت ماذا ؟ أن تردني عن المجرم قاتل محمد خليل ...

لم يمض غير أسبوع على تلك الليلة ، حين دوى نبأ مقتل الضابط البريطاني الماكر ، الذي كان يتحدث العربية بطلاقة ، ويعرف أكثر مما ينبغي لمثله عن أخبار الثوار ، ويفتك بالقرى وأهلها فتك الطاعون ، ويباهي بحبه لليهود ، ومقته للعرب ، لقد أطاحت به في عقر منزله قنبلة يدوية ، قذفها أحد الثوار عليه في مخدعه ، وقد سمع على أثر انفجارها تبادل رصاص شديد ، بين حرس الضابط القتيل ، والثائر الذي انسحب مخلفا وراءه خطا من الدم المتقطع ... وكان الناس مرتاحين لأن الثائر الذي أزاح كابوسا عن صدور الناس ظل مجهولا .. وربما كان يداوي جروحه في مكان مجهول ...

كان هناك شخص واحد يعرف الحقيقة هو أبو خالد .. وقد كان متأكدا من العثور على جثة الشيخ بركات لأنه لم يعد الى العريش منذ

أربعة أيام ... وكانت مشكلته ، عجزه عن البحث عن جاره وصديقه في النهار ، لأن المكان يواجه ثكنة الجنود الانجليز الذين جن جنونهم في البحث عن مكان اختفاء قاتل الضابط .. فقد كان خط الدم الذي خلفه وراءه في انسحابه ينتهي عند صخور في جبل نمرة ، وعبثا تبحث كلاب البوليس من بعد الجبل فقد ألقى الجريح في طريقها ما عطل حاسة الشم فيها . ولكن الى أين مضى الرجل الجريح ؟ ! وأين اختفى أو مات ؟ !! ومضت شهور ، وتغيرت الأحوال ، وهدأت الحوادث ...

وراح أبو خالد في عناد وتصميم ، يبحث عن صديقه الشيخ بركات ، الى أن انتهى الى بيت شعر في منطقة البحر الميت .. وهناك جلس يقص عليه بدوي من التعامرة ، قصة رجل جريح ، آوى اليهم ، وحاولوا تطبيبه بوسائلهم ، لكن جرحه نغر عليه ، بعد ما كاد يشفى ، فاختاره الله لجواره ..

- ولم يقل لكم شيئا ، ولا أوصاكم بشيء .. أرجوك أن تخبرني بكل شيء ، فان هذا الشهيد كان أحب الى من نفسي ...

- ما كان ينطق بغير ذكر الله ... وكان يهذي في شدة الحمى عن الحرم الابراهيمي ، وعن الضابط الانجليزي .. ولكنه ترك خريطة .. والله ما نعرف ما فيها ... وها أنت جئت .. فخذها لأهله فهي على حالها لم تمسها يد ...

كان في حقيبة الشيخ بركات نسخة من القرآن الكريم ، وبعض رصاصات ، وقطعات خبز قفار .. وظهرت في وسط المصحف ورقة ... فيها هذه الكلمات .

« رسالة الى ولدي اسماعيل من أبيه الذي أناله الله الحظوة بالشهادة في سبيل الله .. اذا كتب الله لك العمر فانظر في شؤون اخواتك ، واذا شهدت زمانا يجيء فيه اليهود لاغتصاب الحرم الابراهيمي كما يتوعدون ، فاحرص أن تموت شهيدا ، كما مات أبوك ، واذا استطعت فمت عند البوابة القبلية ، فهناك كان دائما يصلي أبوك والله معك » .

ومضت الأيام مريرة مليئة بالمآسي ، حوافل بالأحداث المتلاحقة ، كلما جاءت موجة منها أنست ذكر ما قبلها ، وحتى الشهداء الأبرار محت سطور ذكرياتهم في القلوب ، دموع اللاجئين ، وحسرات الاحتلال وأهوال الفواجع .. وفي ظلال الآلام وعلى دروب النقمة من حبوط الآمال مرة بعد مرة ، مشت أقدام الصغار نحو الشباب المفرغ من كل بهجة أو غنوة سعادة ، سقط الساحل وقامت دولة اليهود . وامتلأ الجبل باللاجئين ، وضاقت سبل العيش ، وامتلأت الدنيا بأغاني الأحزان ، وأناشيد العودة ، وسطع الغضب ، ولكنه تهالك ، فخفت وارتمى ، وضاع الباقي من

فلسطين ، وجاءت أيام الجسر ، جسر العذاب على درب الأردن ...

ربما كان اسماعيل بركات من أشد الناس احساسا بالفجيعة ، فبعد سنوات اليتم المرير ، حين كان يذهب مع والدته لزيارة قبر أبيه في منطقة التعامرة ، وفي سنة انتهائه من الدراسة الثانوية ، سقطت الخليل فيما سقط في أيدي الصهاينة الفاشيين ، وتجددت في حياة الولد قصة أبيه ...

أحيانا كان يسائل صديق والده أبا خالد عن أبيه كيف كان يفكر ؟ وكيف كان يتعامل مع الناس ؟ فكان أبو خالد يروي للفتى كل شيء الا أمر الرسالة التي تركها أبوه ، فانه أشفق عليه منها ، فطواها عنه .

قليلا ما كان يعرف اسماعيل ، أنه جاء صورة أخرى من والده ، رغم اختلاف الظروف والأيام ، فقد فعل الانجليز فعلتهم ، ومكنوا لأحبابهم الصهاينة ، قبل أن ينصرفوا ، بسبة الزمان ، وعار الظلم الأسود ...

لكن اسماعيل كان من المتعلقين بحب المسجد الابراهيمي ، حتى قبل أن يجيء الصهاينة للخليل بسنوات ، كان يعرف كل زاوية فيه ، وان أحب الزاوية القبلية بغير شعور منه ، وذات يوم تنهد في وجهه صديق أبيه الشيخ أبو خالد ، وهو يقول :

« سبحان الله .. حتى المكان الذي كان يصلي فيه أبوك أنت تحرص على الصلاة فيه !! لا اله الا الله .. حتى جدك أبو بركات كان لا يبارح الزاوية القبلية من الحرم ...

ولم يلبث أبو خالد أن مرض مرضا مقعدا ، ومع ذلك فحين كان يزوره اسماعيل بركات ، كان لا يغفل عن الحديث عن الحرم .. كيف وأهل الخليل يرون شرفهم كله في سدانة حرم جد الأنبياء ، وذات يوم ارتعد اسماعيل حين سأله الرجل المريض عن الأحوال فراح يحدثه عن تدنيس اليهود للحرم ، ودخولهم على الناس في الصلاة بأحذيتهم ، وبملابس نسائهم الفاضحة ، وهم يصفرون ويسخرون .. وأرعد اسماعيل وأزبد وهو يقول لأبي خالد : « والله يا عم لقد أخذت على نفسي عهدا ، لئن وصل شرهم الى الزاوية القبلية .. ، فلسوف أتقرب الى الله بدم من أستطيع الفتك به منهم ، ثم راحت تمضي الأيام ..

وذات يوم وفيما كان أبو خالد يحتضر ، قامت ضجة هائلة .. ، وكان واضحا أنها في الحرم .. وراح المريض يناشد من حوله : « أسألوا لي عن أخبار اسماعيل بركات ، فلعلي لو التقي بالاموات أجيب أباه لو سأل عنه ...

وارتفع صوت يقول :« يا والدي انظر في حالك ومرضك اسماعيل بركات رحمه الله ، منذ أيام ، دنس اليهود زاوية الحرم القبلية ، فهاج عليهم ، فقتل منهم ، واستشهد .

وابتسم أبو خالد ، وهو يودع الروح .. لقد تم لصديقه بركات ما أراده لولده أن يكون .

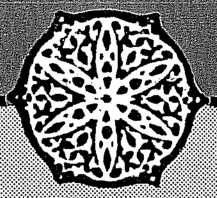


حركة البحث العلمي

للدكتور : حسن فتح الباب

ما اكثر المؤلفات التي تناول اصحابها موضوع الحضارة العربية والاسلامية وفضلها على العالم . بيد اننا ما زلنا في حاجة ملحة الى مزيد من هذه المؤلفات وذلك بغية تحقيق مقاصد ثلاثة **اولها** : تفنيد الكتابات المغرضة التي صدرت ومازالت تصدر من اعداء العروبة والاسلام ، **وثانيها** : الكشف عما تزخر به المكتبات العالمية المختلفة من جوانب تراثنا الذي ما يزال كثير منه طي الخفاء او النسيان . **اما المقصد الثالث** فهو تحقيق تلك المعادلة الصعبة وهي الجمع بين الأصالة والمعاصرة .

وفي رأينا ان البحث العلمي في الاسلام يقع في الصدارة بين الموضوعات التي ينبغي ان يلتفت اليها الباحثون ويولوها المزيد من الاهتمام والتركيز ، بالنظر الى طبيعة عصرنا الراهن وما يتسم به من تقدم مضطرد في مجال البحوث العلمية ومناهجها . فقد اجمع العلماء والمفكرون الذين يتحرون الصدق والنزاهة فيما يكتبون على ان العرب قد بلغوا في القرون الماضية اوج الحضارة والتقدم . وكانت ثقافتهم ينابيع متدفقة على الامم المختلفة التي عاصرتهم آنذاك . وان آثار هذه الثقافة ما فتئت باقية الى اليوم شاهدة على ذلك الشموخ والسمو الذي ارتقت اليه الامة العربية الاسلامية حينما كانت وحدتها متماسكة ، وعراها وثيقة ، وسبيلها لا زيف فيه ، وهو سبيل الاسلام الصحيح الذي يشحن الانسان بطاقات تمكنه من الحركة المستمرة ، وليس السبيل الذي يتخذه بعض الحكام ستارا يحجب النور عن عيون الناس ويكبل ارادتهم .



والعلاقات الدولية في عصور ازدهار الحضارة الاسلامية

والى جانب هذا العامل الاساسي الذي يرجع اليه انبثاق هذه الحضارة واستمرارها الا وهو وحدة الكلمة وسيادة العدالة ، فان ثمة عاملا اخر ادى الى تعدد جوانب الحضارة العربية ومنحها قوة خارقة للعادة ومكانة بارزة في تاريخ الانسانية كما يشهد لها بذلك المستشرقون العدول ،

ونعني بذلك العامل اهتمام الانظمة العربية بحركة البحث العلمي وتهيئتها شتى الوسائل المادية والمعنوية للكشف عن كل جديد في مختلف الميادين استلهاما لروح العقيدة الاسلامية القائمة على العلم والتفكير ، وطموحا الى الوصول بالامة الاسلامية الى ارفع منزلة ، واثبات العبقرية العربية ، والاسهام في رفد الثقافة الانسانية بدم حضاري جديد

فلقد وعى المسلمون في عهود ازدهارهم ان دينهم هو في حقيقته عقيدة تحررية كبرى جاءت لتطلق الفرد والمجتمع من اسار الجهالة ،

ولتبدل ظلمات الناس نورا ، وانه رسالة العلم والحضارة والتقدم . كما وعوا انه لا سبيل الى رفع الظلم واقامة العدل وارساء مبادئ الحق والمساواة الا بالبحث عن المعرفة ونشر الثقافة الصحيحة وخلق واقع جديد للمجتمع يتفق مع مبادىء الاسلام المثلى ، كيما يبلغ ذلك المجتمع غايته السامية وهي الوحدة التي تؤلف بين اهله جميعا وتضمن الخير والرفاهية لهم .

وتشهد حركة التاريخ وتطوره الدائم وما سجلت صفحاته من وقائع واحداث ان الدين الاسلامي كان ثورة

اجتماعية وثقافية شاملة باجل معانيها ، وان المسلمين كانوا يدركون الدور الضخم الذي يؤديه العلم في بناء الفرد وهو وحدة الاسرة التي تشكل خلية المجتمع ، ويعملون على تحصيل العلوم وتطويرها نحو آفاق فسيحة تتيح للانسان في كل مكان وزمان مستقبلا كريما ، وتفجر الطاقات الخلاقة في نفوس الافراد والجماعات . ولم يغفل الحكام المسلمون الاوائل مغزى عرض الرسول محمد عليه الصلاة والسلام على اسرى المشركين في بدر ان يطلق سراح من يفتدي منهم نفسه بتعليم عشرة من ابناء المسلمين .

اما طموح الخلفاء والحكام المسلمين الى النهوض بدولهم من طريق اتخاذ العلم اساسا ركينا في بناء هذه الدول ، فهو يتمثل في البعوث العلمية التي نظموها ، والسفارات الثقافية التي عنوا بها فسيروها الى مختلف ارجاء العالم القائم في ذلك الحين ، ممارسين في ذلك مبدءا اسلاميا اساسيا جاء في الحديث الشريف وهو « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » رواه ابن ماجه ، وعبر عنه الأثر القائل « اطلبوا العلم ولو في الصين » ، ومعتمدين في ذلك ايضا على ولع المسلمين ـ بطبيعتهم ـ بالسعي الى مناهل العلم مهما بعدت المسافة وشقت الطريق . فالعربي بفطرته وبحكم نشأته الصحراوية شغوف بالأسفار البعيدة وارتياد الآفاق المجهولة ، ومن ثم وجه قادة المسلمين طلاب العلم واربابه الى انتجاع موارد المعرفة في مظانها التماسا لكل مستحدث في العلوم والفنون والاداب والفلسفات .

وقد اقترنت البعوث العلمية في الاسلام بنشأة الدبلوماسية وتطورها وقد بدأت الدبلوماسية العربية منذ عصر الجاهلية اذ عرفها العرب اسلوبا لاقامة العلاقات وتوثيقها بين قبائلهم بعضها وبعض من ناحية ، وبينهم وبين جيرانهم من الامم والشعوب الاخرى من ناحية ثانية . غير ان هذه العلاقات كانت مقصورة في اغلبها على الناحية التجارية ، ومن ثم كانت نظمهم الدبلوماسية تتسم بالبساطة التي تتناسب مع ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية ، فلم تشمل بطبيعة الحال التبادل الثقافي بمفهومه الحديث لما يقتضيه ذلك من قيام وحدة سياسية فلما نشأت الدولة الاسلامية الاولى في المدينة ثم انتقلت الى دمشق وبعدها الى بغداد ، تعددت اغراض الدبلوماسية نظرا لتشابك العلاقات والمصالح بين العرب وجيرانهم ، وتحولت الدبلوماسية بذلك الى فن متطور يساير الظروف الجديدة ويتطلع الى افاق ابعد وارحب ، اذ ازدهرت الحضارة وتقدمت العلوم والمعارف ، وانفتحت منافذ وسبل جديدة للتلاقي بين الناس في مختلف اركان المعمورة ، وللتعاون بينهم لتحقيق المصالح والغايات .

ولقد كان الهدف الرئيسي

للدبلوماسية في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام هو نشر الدعوة في الجزيرة العربية ومنها الى الجماعات السياسية خارج الجزيرة ، وكانت العلاقات الدبلوماسية التي اقامها عليه الصلاة والسلام مقصورة في بداية الامر على المحادثات الشخصية وارسال الكتب وايفاد البعثات الى القبائل العربية والى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها للتعريف بالاسلام والدعوة الى اعتناقه . ومن اجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة الى مختلف القبائل ، وكانت المؤتمرات التي عقدت في الجزيرة العربية لشرح مبادى الدين الاسلامي والاقناع بها .

ولما اثمرت الدعوة وتحققت للعرب ـ لأول مرة في التاريخ ـ وحدتهم السياسية ، وقامت اول دولة اسلامية برياسة النبي صلى الله عليه وسلم ، اصبح انتهاج الدبلوماسية ضرورة جوهرية لتدعيم اركان الدولة الناشئة ، فاتسع نطاقها وتعددت وسائلها واغراضها ، وتطورت دعائمها . فلم تعد علاقات المسلمين بجيرانهم مقتصرة على التبادل التجاري ، بل امتدت الى مختلف النواحي الاخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة الى الاتصال بالدول المجاورة في سبيل تنفيذ السياسة الخارجية الاسلامية بالطرق الدبلوماسية .

ومن طبيعة الاحوال أن السفارات الثقافية ـ باعتبارها غرضا من اغراض الدبلوماسية ـ لم يكن لها مجال يعتد به في هذه المرحلة ، ذلك لان الجهد الاكبر كان منصبا على نشر الاسلام . فاستخدمت الدبلوماسية بمختلف اساليبها المتاحة لتحقيق هذه الغاية النبيلة ، وعقدت المعاهدات مع ممثلي الامصار والمدن المفتوحة لتنظيم الهدنة أو السلم وما يقتضيه ذلك من وقف القتال وتبادل الاسرى . ومن ثم استغرقت الدولة الاسلامية معظم حياتها على عهد النبي في نشر الدعوة وخوض غمار الحروب دفاعا عنها ، وترتب على ذلك ان اتجهت الدبلوماسية الى تحقيق الاغراض السياسية والعسكرية ، ومن المعروف في هذا الصدد ان من طليعة حكومة الثورات ان تعبى كل قواها في سبيل ارساء دولتها الناشئة والذود عن حماها ضد القوى المعادية .

ومع ذلك فاننا نطالع في صفحات التاريخ الاسلامي على عهد النبوة ـ في كتب السيرة ـ انباء سفارات اوفدها رسول الله لتثقيف العرب وتعليمهم ، ومن ذلك بعثة القراء التي ارسلها النبي الى قبيلة عقيل لتثقيفهم في الدين واقرائهم القرآن . بيد ان هذه السفارة ومثيلاتها لا تعد سفارات ثقافية بالمفهوم الفني الحديث ، بل ان الهدف منها هو نشر مبادى الدين اي الاعلام والدعوة . وهي تختلف في ذلك عن السفارات التي توفدها الدولة الى دولة اخرى تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي بقصد توطيد العلاقات بينهما عن طريق التبادل العلمي للمعارف والثقافات .

ولم تختلف السفارات الدبلوماسية كثيرا في العهد الاموي من حيث طبيعتها واغراضها عما كانت عليه في العصر النبوي ، وعصر الخلفاء الراشدين ، اذ ظل هدفها الرئيسي هو تأييد الفتوحات الاسلامية بنشر العقيدة السمحة في الاقطار والمدائن التي لم تكن قد بلغتها بعد . فلم يحدث من هذه الوجهة تطور كبير ، وانما كان التطور قاصرا على تنظيم الدبلوماسية وتطوير وسائلها . وكان استمرار الحروب بين دولة الاسلام ودولة الروم لا يسمح بأكثر من تبادل السفارات لعقد معاهدات الهدنة او تنظيم فترات السلام ودفع الجزية دون ان يمتد الى التعاون الدولي في مجال العلم والثقافة ، وذلك التعاون الذي لا ينشأ الا في اوقات الاستقرار وقيام العلاقات الودية في ظل السلام .

غير ان النهضة التي بدأت في العصر الاموي عن طريق حركة الترجمة كانت ارهاصا بازدهار شجره الثقافة والبحث العلمي حتى كان قطاف ثمراتها في عصر العباسيين . ذلك ان الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية كانتا اعظم قوتين سياسيتين في العصر الوسيط ، اذ امتدت رقعة الاسلام من اطراف الصين شرقا الى المحيط الاطلسي غربا ، كما اتسعت ارجاؤها شمالا وجنوبا ، وكانت الامبراطورية البيزنطية آنذاك تبسط ظلها على آسيا الصغرى وبلاد البلقان وايطاليا . ولم تكن الحروب هي العلاقة الوحيدة القائمة بين هاتين القوتين الكبيرتين ، بل نشأت بينهما في كثير من الاوقات علاقات مودة وسلام وفقا لمصالحهما التجارية ولمقتضيات التوازن الدولي .

ولم تستمر سياسة الفتوح في العصر العباسي كما كانت عليه الحال في عصر الخلفاء الراشدين والامويين ، بل ان الدولة كانت في حاجة الى الحفاظ على سلامة اقاليمها الشاسعة اكثر منها الى الاستمرار في الفتح . ومن ثم كان اكثر حروب العباسيين ضد البيزنطيين وغيرهم في بدايات عهدهم دفاعا عن دولتهم ، وكانت تلك الحروب هي الجانب السلبي للعلاقات السياسية ، اما في الجانب الاخر فقد اهتموا اكثر من الامويين بتوسيع دائرة علاقاتهم الخارجية واقامتها على اساس المنافسة السلمية لا التنابذ والصراع .

وهكذا بدأت حركة البحث العلمي في ظل هذه السياسة الدولية ، فسارت البعوث الثقافية بين خلفاء بني العباس وبين ملوك القسطنطينية وروما ومملكة البلغار ودولة الفرنجة والهند والصين ، والى جانب معاهدات الصلح وتبادل الاسرى في عهد هارون الرشيد والمأمون والمعتصم ، تبادلت دولة الاسلام مع الدول الاخرى السفارات في مختلف الاغراض الرامية الى توثيق الصلات التجارية وفض المنازعات وابرام المعاهدات . وكان دعم الروابط في مجال العلم

والثقافة من اهم ما سعت اليه تلك السفارات ، مما يشبه المهمة التي يقوم بها اليوم الملحقون الثقافيون في السفارات الدبلوماسية .

لذلك اقترن عصر استقرار الدولة الاسلامية وازدهارها واتساع نفوذها وترامي اطرافها بازدهار البحث العلمي عن طريق التبادل والتعاون بينها وبين الدولة الرومانية (البيزنطية) بصفة خاصة . ولا غرو ان يطلق على عصر هارون الرشيد وابنه المأمون العصر الذهبي للفكر والمعرفة ، وان تبلغ فيه حركة البحث العلمي مدى بعيدا ، فلقد كان عصر الاحياء العلمي بحق ، لانه العهد الذي ارتفعت فيه اعلام الاسلام على كثير من اقطار العالم الغنية بالموارد ، وساد فيه السلام الاسلامي مشارق الارض ومغاربها .

لقد امتدت حركة الترجمة التي بدأها الامويون الى جميع فروع العلم والمعارف ، ولم يأل العباسيون جهدا في استقاء العلوم والفلسفات والرياضيات من شتى مصادرها والبحث عنها في منابتها القاصية . وغني عن الذكر ان نجاح حركة الترجمة والبحث العلمي يرجع في المقام الاول الى حرية الفكر التي جاء بها الاسلام ، وكانت ديدن المسلمين في تعاملهم مع غيرهم ، وتحفل كتب التاريخ بكثير من الشواهد على اهتمام العباسيين بحركتي الاحياء العلمي والنهضة الفكرية حتى صارت كل من بغداد والبصرة والكوفة مراكز قيادة ومصادر اشعاع تضم القيادات العلمية والفكرية ، ويتزاحم عليها طلاب المعرفة من مختلف البلدان لينهلوا من مواردها الغزيرة .

وفي سبيل تدعيم تلك الحركة العلمية الرائدة سارت البعثات الاسلامية الى بيزنطة ، وقامت بزيارة مكتبات القسطنطينية لاستخراج الكتب النادرة التي يحتاج اليها المسلمون في دراستهم النظرية والفلسفية او تجاربهم الكيماوية والطبية على السواء وترجمتها . ومن تلك البعوث ما اوفده الخليفة العباسي المنصور الى القسطنطينية حيث عاد العلماء ومعهم مختارات من الكتب والمصنفات النادرة كان من بينها كتاب « اقليدس » .

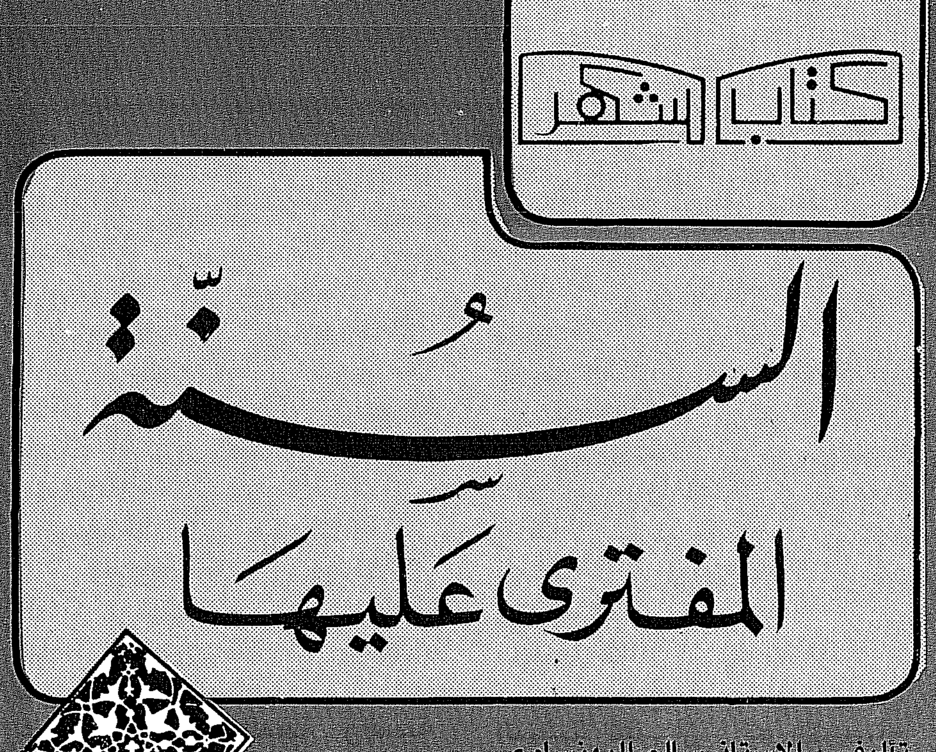
وكان المأمون ينتهج جميع السبل الدبلوماسية لتحقيق بغيته ، فوثق علاقاته بملوك الروم ، واتحفهم بالهدايا الثمينة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب افلاطون وارسطو طاليس وابقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم . وليس ادل على جهود المأمون في هذا الميدان من تلك الواقعة التاريخية التي تؤكد نظرته الى العلم والثقافة باعتبارهما ركنا من اركان الدولة ودعامة من دعائم السلام الاسلامي ، وليسا مجرد ترف عقلي للخاصة ، اذ كان من شروط صلحه مع الامبراطور

البيزنطي « ميخائيل » الثالث ان يعطيه مكتبة من مكتبات الاستانة ، فكان ذلك ، ووجد فيها كتاب بطليموس في الرياضة الفلكية ، فأمر بترجمته ، وسماه « المجسطي » .

ومن مآثر المأمون في ميدان البحث العلمي انه انشأ سنة ٢١٥ هـ (٨٢٠ م) بيت الحكمة في بغداد . وجمع في هذه المكتبة الاف المخطوطات المترجمة عن الحضارات الانسانية القديمة التي ورثها المسلمون ، وتلك المؤلفة من قبل الأدباء والعلماء والفلاسفة العرب في شتى العلوم والفنون . وقد قصد الباحثون والدارسون هذه الدار من مختلف الامصار الاسلامية يأخذون عنها ويستمدون منها زادا لهم . وبذلك انتقل العلم من الرواية الى التأليف ، ومن المشافهة والاستماع الى البحث والاستقصاء . وازدهر الانتاج الفكري نتيجة لذلك في شتى مناحي العالم الاسلامي شاملا مختلف مناحي المعرفة .

وكان الخلفاء العباسيون والاباطرة البيزنطيون يتنافسون في انتزاع فضل السبق العلمي في عصرهما ، ولا يألون جهدا في هذا السبيل . ومن ذلك ان الخليفة المأمون ومعاصره الامبراطور تيوفيل ـ وكانا يغرمان بالشرع وروايته ويهتمان بالمسائل الدينية واستثارة المعارضة بالتجديد في الدين ـ جرى بينهما تنافس حاد في هذا الصدد تمثل في تلك السفارات المتعددة والمفاوضات المتكررة التي دارت بينهما في شأن العالم الفلكي المهندس ليو . وكان المأمون يتوق الى حضور هذا العالم الذائع الصيت الى بغداد لفترة قصيرة من الزمن كي يستفاد من علمه الواسع في الرياضيات . فأرسل الى الامبراطور البيزنطي سفارة خاصة من اجل ذلك وقال في رسالته الشخصية إليه إنه يعتبر ذلك عملا وديا . ووصل الامر الى حد ان عرض عليه صلحا دائما في مقابل ايفاده هذا العالم اليه . ولكن تيوفيل رفض عرض المأمون لأن ابحاث « ليو » كانت تتعلق في شطر منها بأسرار الدولة البيزنطية وشئونها العسكرية . وحين نذكر قوة الدولة الاسلامية في عصر المأمون وسعي الدولة البيزنطية الى خطب ودها والدخول معها في علاقات سلمية ، ندرك مبلغ سخاء هذا العرض من جانب المأمون ، ومدى حرص تيوفيل على منافسة الخليفة في البحث العلمي .

ومن هذه الواقعة وامثالها نتبين ان النزعة العلمية كانت احدى السمات المميزة للنهج الذي سار عليه الحكم خلال عهود بني العباس اعمالا لروح الاسلام ، وركيزة لدولته في الارض . فما اجدر بنا اليوم ان نعود الى بدء حياتنا حتى نجمع بين الاصالة والمعاصرة اذا كنا قد تنبهنا الى مكانة العلم والبحث في مجالاته المختلفة ، فاننا لم نزل بعد في اول الطريق وعلينا استكماله ، واول الغيث قطر ثم ينهمر .



تأليف : الاستاذ سالم البهنساوي

عرض وتحليل : محمد عبد الله السمان

○ المؤلف هو السيد المستشار سالم البهنساوي المستشار بوزارة العدل الكويتية ، عرفته وهو ما يزال طالبا في كلية الحقوق ، شابا مسلما طموحا ، امتحن من اجل عقيدته فصابر وصبر وتحمل وثبت ، اصدر في بداية حياته رسالة بعنوان : الوجيز في العبادات ، ثم الاسلام والتأمينات الاجتماعية ، ثم بعد ذلك عرض لقضية من القضايا التي شغلت في الآونة الاخيرة اذهان الرأي العام الإسلامي ، في دراسة موضوعية بعنوان : الحكم وقضية تكفير المسلم ، ثم هذا الكتاب الذي نقدمه للقراء اليوم .. السنة المفترى عليها .

○ والكتاب يقع في ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير ، ويعرض لقضية من اهم القضايا الجديرة بالدراسة والتمحيص . والعمق وسعة الافق . على اساس من المنهج العلمي والمناقشة الموضوعية ، ومما يزيد من اهمية القضية ، ان المستشرقين من الغرب والشرق ، وتلامذتهم من بعض المسلمين انفسهم ، قد خاضوا في هذه القضية ، وصالوا وجالوا ، بهدف التشكيك في مصادر الاسلام ، بعد ان فشلوا في محاولاتهم التشكيك في الوجود الاسلامي نفسه .. إذن فمن يعرض لهذه القضية ينبغي عليه ان يدرك ان مهمته شاقة ، وان يكون كفءا لها ، وعلى درجة كبرى من الصبر والمعاناة .

○ ولكي نحكم على الدراسة التي بين ايدينا ، يحسن بنا ان نعرض محتوياتها في ايجاز ، المؤلف قسم دراسته الى عشرة فصول :

الفصل الاول : بين الرسول وحقيقة السنة ، وفيه عرض للسنة بين النصارى والأعراب ، وحقيقة السنة والبيان النبوي ، وانواع السنة ووظيفة الرسول ، والجماعات الاسلامية والانحراف عن المنهج النبوي ، ثم استقلال السنة بالتشريع .

الفصل الثاني : الفتنة وشبهات حول تدوين السنة .. وبعض ما عرض فيه : كتابة السنة ، والسنة والفتنة الكبرى ، والتقريب بين السنة والشيعة ، ثم الحديث النبوي بين السنة والشيعة والخوارج .

الفصل الثالث : تناول فيه ، السنة بين الجرح والتعديل ، وعلوم الحديث واهميتها ، ورد السنة بين السند والمتن ، ثم مدى التوقف في متن الحديث .

الفصل الرابع : وفيه عرض للسنة وشبهة الظنية ، واحاديث الآحاد بين مدرستي الرأي والحديث ، والسنة وبدعة المصطلحات الحديثة ، واحاديث الآحاد بين الظن واليقين ، ثم احاديث الآحاد وقطعية الثبوت ..

الفصل الخامس : وقد تناول المؤلف فيه دعوى تقديم القياس على سنة الآحاد ، وشبهة عمل اهل المدينة ، ثم المذاهب والخلاف الفقهي .

الفصل السادس : وقد عرض فيه للسنة بين المعجزات والعقائد ، والمعجزات بين الدين والعقل ، ثم الغزو الفكري وبدعة الاسراء بالروح .

الفصل السابع : وفيه عرض للسنة بين العموم والخصوص ، والدليل الظني بين العام والخاص ، وشبهة التعارض بين العام والخاص ، وشبهة تعارض النصوص ، ثم بدعة التوفيق بين الاسلام والنصرانية .

الفصل الثامن : وقد تناول فيه السنة ونسخ الاحكام ، ونسخ السنة للقرآن ، ثم الاجماع والنسخ .

الفصل التاسع : وفيه عرض للطعن في البخاري ، وفي ابي هريرة ، وتحريف النصوص الشرعية بين المستشرقين وعلماء الشهرة ، ثم التحريف وموالاة اهل الكتاب .

الفصل العاشر والاخير : وقد عرض فيه لمنزلة السنة من القرآن ، والسنة وتفسير القرآن ، ومقارنة القرآن بالكتب المقدسة ، وعصمة الائمة عند الامامية ، ثم الوسائل الجديدة لهدم السنة .

○ هذا مجمل ما ورد في هذه الدراسة . ومن هذا المجمل الموجز يتبين لنا ان المؤلف قد وفق - بحق - في مناقشة الشبهات التي اثيرت حول السنة المصدر الثاني ، ودحضها . وقد توسع المؤلف بالقضية المطروحة ، وقليلا من المسائل العرضية التي تتصل اتصالا مباشرا بها ، فمثلا

الشبهات حول تدوين السنة ، والشك في ثبوت السنة ، والسنة وبدعة المصطلحات المرتبطة ارتباطا وثيقا بالقضية الحديثة ، وشبهة تعارض النصوص ، هي من المسائل الجوهرية اما مثل هذه المسائل : الغزو الفكري وبدعة الاسراء والمعراج ، مؤلف التوراة والانجيل ، مقارنة القرآن بالكتب المقدسة ، فهي مسائل يمكن مناقشتها في مجال آخر غير مجال القضية المطروحة ، حتى لا يتوزع جهد المؤلف ، ويتوفر على اصل القضية .

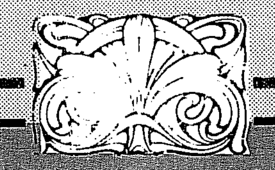
● ان المؤلف قد التزم بالمنهج العلمي في كثير من الشبهات التي عرض لها ، الا ان هناك قليلا من المسائل ، في حاجة الى مراجعة . ومن اوائل هذه المسائل ، احاديث الآحاد بين الظن واليقين ، فالمؤلف يجنح الى التخفيف من اهمية ان تكون احاديث الآحاد ظنية ، ويرد قول العلماء الذين يرون ان احاديث الآحاد التي تفيد الظن لا يعمل بها في العقائد ، مع ان جمهور الفقهاء والاصوليين ، يقررون ان الحديث المتواتر وحده ـ كالقرآن ـ مفيد للحكم الشرعي في العقائد ، وغيره ـ كالآحاد ـ لا يفيد الحكم الشرعي في العقائد ، وهذا مايقرره استاذنا الشيخ احمد ابراهيم الذي كان من اوائل اساتذة الشريعة في كلية حقوق القاهرة ، وذلك في مؤلفه « علم اصول الفقه » وكذلك استاذنا الشيخ محمد ابو زهرة ـ رحمهما الله ـ في مؤلفه « اصول الفقه » ونص عبارته : « وحديث الآحاد يفيد العلم الظني الراجح ، ولا يفيد العلم القطعي ، اذ الاتصال بالنبي فيه شبهة .. ولهذه الشبهة قالوا : انه يجب العمل به إن لم يعارضه معارض .. ولكن لا يؤخذ به في الاعتقاد ، لان الامور الاعتقادية تبنى على الجزم واليقين ، ولا تبنى على الظن ولو كان راجحا ، لان الظن في الاعتقاد لا يغني عن الحق شيئا » .

ومما يدهش له القارىء ما يراه المؤلف الاستاذ البهنساوي ، من ان احاديث الآحاد قطعية الثبوت . مستندا الى ان التفرقة بين الاحاديث النبوية « المتواتر والآحاد » تفرقة لا دليل عليها من القرآن او السنة او اجماع الصحابة ، خصوصا ان القرآن قد اعتد بخبر الاثنين والاربعة واخذ به في الحدود» .

ونحن نقول إن هذا التقسيم مجمع عليه تقريبا ، وليس من المعقول ، ان نطلب دليلا عليه من الكتاب او السنة او اجماع الصحابة ، وعلم الحديث نفسه لم ينشأ الا ابتداء من اواسط القرن الثالث الهجري ؟

اما قول المؤلف ان القرآن الكريم قد اعتد بخبر الاثنين والاربعة .. فهو قياس مع الفارق ، لاننا بصدد رواية لا شهادة . والرواية تتصل بدين المسلمين فهي في حاجة الى التدقيق ، لانها تنتقل من راو الى اخر ، وهكذا .

● وبعد ـ فلا جدال ان المؤلف قد قدم لنا دراسة جديرة بالتقدير ، وقد بذل فيها جهدا شاقا مضنيا اثمر دحضه لكثير من الشبهات ، بالاضافة الى غيرته على الاسلام ، وصدق نواياه . فجزاه الله خيرا .



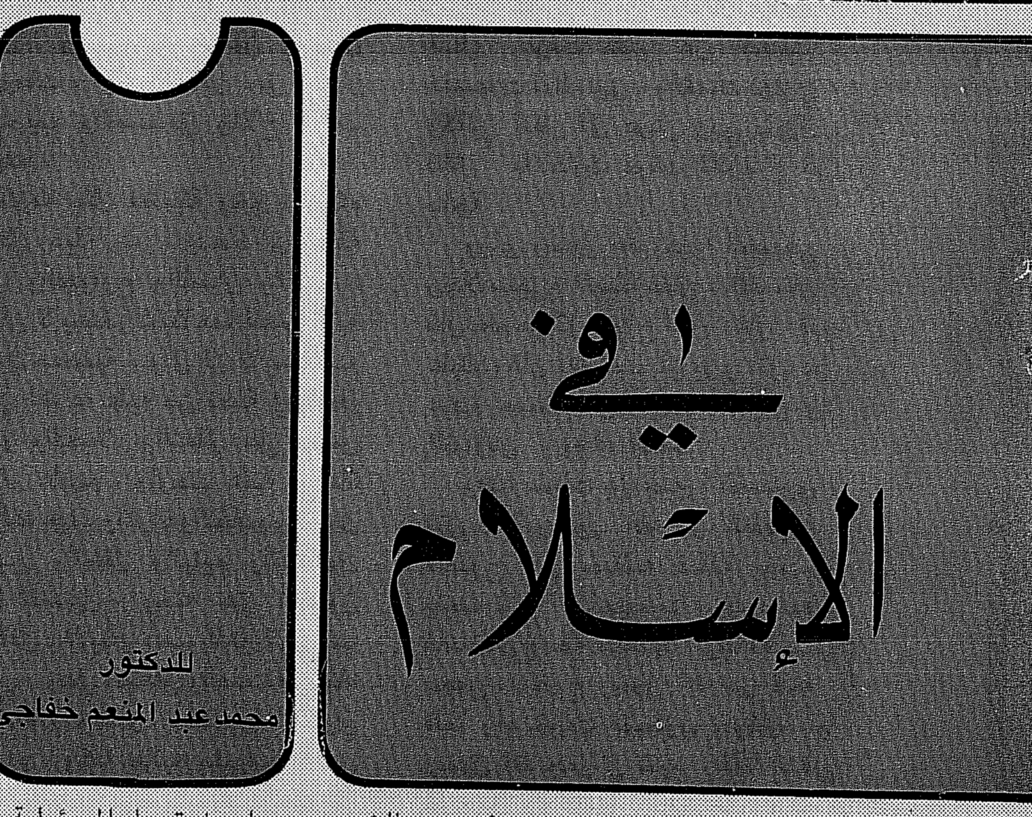
التكوين العقلي للفرد

شاهدنا نظما معاصرة تجتهد في تربية الانسان تربية عقلية أساسها السطحية والعاطفية والحقد، والنظرة القاصرة الى الأمور والأشياء، والحكم بموازين مختلة على مختلف القضايا : وكان ضرر هذه التربية كبيرا وخطيرا وشديدا.

ولا نزال نرى الأيديولوجيات المعاصرة في العالم تطبع الفرد بطابعها الخاص، وتحاول أن تصبغه بصبغة معينة لا يتعداها .. مما جعل الفرد ينشأ في خواء عقلي، وفراغ فكري كبير.

وتحاول وسائل الاعلام المختلفة ذات اليمين وذات اليسار أن تؤثر على الانسان تأثيرا شديدا، فلا تترك له فرصة الرأي المستقل، ولا التفكير الذاتي المنبعث عن مشاعر الانسان وأحكامه الخاصة.

وقد أثر ذلك كله على البناء الانساني والثقافي والحضاري في العالم، ورأينا الانسان المعاصر يسعى الى الانانية والأثرة والذاتية وحب الشخصية سعيا حثيثا، ورأينا العرض والمظهر والشهرة أحب الى نفسه من الجوهر والحقيقة والاخلاص في العمل والتفكير .. الى



غير ذلك مما رأيناه من دافع الانسان عن مصلحته وحدها ، ومن قيام حروب متلاحقة بسبب التنافس على المصالح الاقتصادية وعلى استعمار العالم وفرض النفوذ والسيادة دون غيرها من مثل الحياة وقيمها العليا .

وعلى النقيض من كل ذلك كان الاسلام ، وكان رسول المسلمين ، وكان اعلام مدرسة الاسلام الأولى ، الذين فتحوا العالم ، وقوضوا صروح الطغيان ، ونادوا بحقوق الانسان ونشروا الثقافة والحضارة في الدنيا .

ربى الاسلام الانسان المسلم على العفة والنزاهة والشرف ومراقبة الضمير ، ورباه على تحمل المسؤولية ، والحرص على الأمانة والوفاء بالوعد ، والالتزام بالعهد ، ودعاه الى تقرير أمانة الكلمة ، والى التزام المنطق في القول ، والحجة في الحوار ، والصدق في الكلمة والانسانية في التفكير .

والزمه الدفاع عن الحق ، وانكار الباطل ، والاحتكام الى العقل ، وترك التقليد ، والسير على نمط المنهج القرآني كاملا .

وعوده الذاتية والشخصية الكاملة ، فلا يكون الانسان المسلم مرائيا ولا منافقا ولا إمعة يسير وراء غيره أينما سار .

ودعاه الى الانسانية في معاملة الناس ! والى الدفاع عن العرض والحرمات ، والى تقدير حق الجار والقريب والصديق والأخ والأب وغيرهم .

وألزمه بكل فضيلة وخير ، ونهاه عن كل رذيلة وشر ، ودعاه الى نظافة القلب والجوارح واللسان والثياب ، والى أن لا يسخر شيئا مما أنعم الله به عليه في معصية ، والى أن لا يستخدم ما من الله به عليه من نعمة في البطر والكبر والخيلاء والتعالي على الناس والفخر عليهم ، وأوجب عليه مراعاة حق الضعيف والمرأة والخادم والعامل والأسير والطفل واليتيم والمسكين وابن السبيل ، وحثه على التعاون والتكافل والايثار وحب الغير قبل حب النفس ، وعلى الانفاق والصدقة وايتاء الزكاة ، والبر بالفقراء وذوي الأرحام . وكما طالبه بشرف النفس طالبه بشرف العرض ، ورفع وجهه الى السماء بعد أن كان الانسان قبل الاسلام يخلد الى الأرض ، وينكس رأسه في التراب . وصار يراقب الله في كل شيء ، ويراقب ضميره في كل صغيرة وكبيرة .

قيم جديدة خلقت في الانسان المسلم شعورا جديدا ، وفكرا جديدا ، وعقلية من طراز خاص غير العقلية التي يفكر بها أتباع كل دين وملة .

هذا هو الحارث بن مالك الأنصاري يقول له الرسول صلى الله عليه وسلم يوما : كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت مؤمنا بالله حقا ، قال : انظر ما تقول ، فان لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عرفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت لذلك ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا .. فقال : يا حارث عرفت فالزم / ابن ماجة .

ورأى رسول الله زهيرا الضبعي ، رجلا سيىء الهيئة فقال : ألك مال ؟ قال نعم من كل أنواع المال . قال : فلير عليك ، فان الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا ، ولا يحب البؤس ولا التباؤس / **رواه أحمد** .

وهذا خوات بن جبير الأنصاري ، نزل مع رسول الله مر الظهران ، فخرج من خبائه فاذا بنسوة يتحدثن ، فأعجبنه ، فرجع ، فاستخرج حلة فلبسها ، وجاء فجلس معهن ، وخرج رسول الله من قبته ، فلما رآه خوات اضطرب ، وقال : يا رسول الله جمل لي شرد ، فأنا أبتغي له قيدا ، ومضى رسول الله ، فاتبعه خوات فألقى الرسول اليه رداءه ، ودخل الأراك فقضى حاجته وتوضأ ، وأقبل والماء يسيل على صدره من لحيته ، فبادر خوات يقول له : أبا عبد الله ، ما فعل ذلك الجمل ؟ يقول خولت : وارتحلنا ، فجعل رسول الله لا يلحقني في المسير الا قال : السلام عليك أبا عبد الله ، ما فعل شراد ذلك الجمل ؟ فلما رأيت ذلك ، تغيبت الى المدينة ، واجتنبت المسجد والمجالسة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما طال ذلك علي أتيت المسجد ، فقمت أصلي ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره ، فجاء

فصلى ركعتين فطولت رجاء أن يذهب ، ويدعني ، فقال صلى الله عليه وسلم : أبا عبد الله ، طول ما شئت أن تطول ، فلست بمنصرف حتى تنصرف ، فقلت في نفسي : والله لأعتذرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأبرئن صدره ، فلما انصرفت ، قال : السلام عليك أبا عبد الله ، ما فعل شراد ذلك الجمل ؟ قلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت ، فقال : يرحمك الله ثلاثا .. ثم لم يعد لشيء مما كان .. – أسد الغابة – .

ما مغزى ذلك ؟ مغزاه ضعف النفس الانسانية حينا عن مقاومة اغراء الفتنة ، وان حزم الانسان لأمره حينئذ أسلم ، وصراحته وصدقه في مثل هذا الموقف أولى .. ومغزاه هذا الروح الانساني الرفيع الذي كان يعامل به الرسول الأعظم صحابته ، وكيف كان يؤدبهم في انسانية معاملة وجلال أدب ، وسمو حكمة ، صلى الله عليه وسلم .

وانظر الى عمر بن الخطاب وقد عزل خالد بن الوليد ، في حواره لأحمد المخزومي من أبناء عمومة خالد ، كان عمر يخطب المسلمين في المدينة ، فقال لهم : اني أعتذر اليكم من خالد ، أمرته أن يحبس هذا المال على المهاجرين ، فأعطاه ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان ، فنزعته ، أي عزلته ، وأثبت أبا عبيدة ، فقام أحمد المخزومي فقال له : لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغمدت سيفا سله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ووضعت لواء نصبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولقد قطعت الرحم ، وحسدت ابن العم .. فقال عمر له : إنك قريب القرابة ، حديث السن ، تغضب في ابن عمك .

حوار يعلم العقل ، ويرشد الى الحق ، ويدل عليه ، وليس فيه استعلاء خليفة ، ولا سوء أدب ابن عم .

هذا الطابع العقلي للمسلم ، الذي رباه الاسلام ورسوله العظيم عليه ، كان له أثره وخطره في حياة الاسلام ، فقد خرج من المدينة ومكة أعلام الاسلام ، وساسته وقواده وعلماؤه وقضاته . وحكام الأمم ، وساسة الشعوب ، ومعلمو الانسانية ، وموجهو الدنيا ، وناشرو الدين والعلم والثقافة ، ورافعو لواء المدنية والحضارة في الأرض ، فأضاءت بهم الدنيا ، وسعد بهم العالم ، وعزت بهم الانسانية ، وكانوا مصابيح الحياة ، ونجوم الدهر ، وكواكب التوحيد ، ومقدمة مواكب النور في الأرض .

انظروا الى حرص الاسلام على أن يكون المسلم صادقا في كل شيء ، روى سفيان بن أسد الحضرمي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كبرت جناية أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب »

رواه أبو داود وابن حنبل

وأمر الاسلام للمسلم بالعدل في الحكم ، وبالتروي في الفصل والقضاء بين الناس ، وبوزن الحجج بموازين دقيقة .. معروف لا يحتاج الى بيان ..

وماذا تعرف عن المسلمين الذين

رباهم الاسلام حقا ، في عهد الرسول وخلفائه وفي عهود مجد الاسلام ، الا كل شرف وخير ومأثرة ومنقبة ومكرمة ؟ رضوان الله عليهم أجمعين .

هذا النهج الاسلامي الرفيع ، هو الذي سماه القرآن الكريم « صبغة الله » فقال تعالى « **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** » البقرة/١٣٨

وسماه القرآن أيضا بـ « فطرة الله » كما جاء في الآية الكريمة : « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » الروم/ ٣٠ .

وفي المنهج العقلي في الاسلام يقول الله عز وجل : « **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** » لقمان/٢٠ ، فالعلم والهدى والكتاب المنير ثلاثتها هي الطريق الى المعرفة الحقة في الاسلام ، ويفسر المفسرون العلم بالعلم الضروري ، علم الفطرة والطبع والغريزة ، ويفسرون الهدى بالاستدلال والنظر الذي يهدي الى المعرفة ، والكتاب المنير بالوحي .. وان كنت لا أرى مانعا من أن نذهب الى غير ما قالوا ، فنفسر العلم بما يشمل الحقائق الثابتة المستقرة في النفس ، والتي يرشد اليها التفكير والبحث والدليل والتجربة ، **ونفسر الهدى** بالالهام النفسي الذي تمده فطرة الله في النفس الانسانية ، ونفسر الكتاب المنير بالوحي المنزل من السماء وهو القرآن الكريم والكتب السماوية الصحيحة .

فأصول المعرفة في الاسلام ثلاثة :

١ ـ العلم العقلي المبني على الدليل والبرهان .

٢ ـ والعلم الفطري المركوز في طبائع الناس كافة .

٣ ـ والوحي الالهي الداعي الى الدين والايمان والمثل والقيم الحضارية .

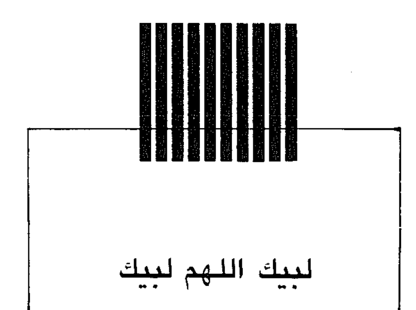
ويؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه كان اذا ظهرت أمامه مشكلة دعا أصحاب رسول الله وأولي الرأي في الأمة فاستشارهم فيها ، فاذا قاموا من عنده دعا شباب المسلمين ، فعرض عليهم المشكلة ، وامتحنهم فيما يذهبون اليه من رأي في حلها .. ليعودهم على التفكير وسداد الرأي ومواجهة المشكلات ، وليربيهم تربية تجعل منهم خلفا صالحا لخير سلف .

لقد أثمرت هذه التربية العقلية الاسلامية أجيالا من المسلمين ، نشروا الاسلام ، وسادوا العالم وساسوا الشعوب .

فمتى نرجع الى النهج الاسلامي في تكوين أجيالنا المسلمة على ما كان يربى عليه في الاسلام أجيالنا الصالحة السالفة ؟ رضوان الله عليهم أجمعين .

عندما يحدث ذلك ، ويخرج جيل جديد ، على النمط الاسلامي الخالص في التربية العقلية للانسان المسلم .. عند ذلك سوف نعود سيرتنا الاولى ، ونسترد مكانتنا السالفة ، ونعود الى امتلاك زمام العالم مرة أخرى . وما ذلك على الله بعزيز .





تحت هذا العنوان كتب الينا هذه الفقرة الاستاذ/صلاح أحمد الطنوبي

قال الله جل ثناؤه : **(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين)** ٩٦

و٩٧/آل عمران . الحج هو قصد مكة لأداء عبادة الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، وسائر المناسك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته

وهو أحد أركان الاسلام الخمسة ، وفرض من الفرائض التي علمت من الدين بالضرورة .. فلو انكر وجوبه منكر كفر وارتد عن الاسلام ..
والحج المبرور هو الحج الذي لا يخالطه إثم .

عن أبي هريرة (رضي الله تعالى عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » رواه البخاري ومسلم .

التلبية شعار للحاج :

إن التلبية هي الشعار الدائم للحاج إلى أن يرمى الجمار ولفظها « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » ، وقد بين

العلماء معناها بعبارات تختلف في الألفاظ وتتحد في الجوهر .. وقد ذكر الامام النووي بعض هذه المعاني فقال :
التلبية : معناها : إجابة بعد إجابة ولزوما لطاعتك .
وقيل : اتجاهي وقصدي إليك مأخوذ من قولهم : داري تلب دارك اي تواجهها .

وقيل امرأة لبة إذا كانت محبة لولدها عاطفة عليه .

وقيل : أنا مقيم على طاعتك وإجابتك .. مأخوذ من قولهم لب الرجل بالمكان وألب .. إذا أقام فيه .
قال القاضي : قيل هذه الاجابة لقوله تعالى لابراهيم « عليه السلام » :

وأذن في الناس بالحج

عن خلاد بن السائب عن أبيه « رضي الله عنه » قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « أتاني جبرائيل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالاهلال والتلبية » وزاد ابن ماجه « فانها شعار الحج » أما المرأة فانها لا ترفع صوتها بالاهلال .

وتستحب التلبية في مواطن : عند الركوب ، أو النزول ، وكلما علا شرفا « المكان المرتفع » أو هبط واديا « المكان المنخفض » أو لقى ركبا ، وفي دبر كل صلاة وبالأسحار .

الصلاة على النبي « صلى الله عليه وسلم » :

عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : يستحب للرجل ــ إذا فرغ من تلبيته ــ أن يصلي على النبي « صلى الله عليه وسلم » .
وكان النبي « صلى الله عليه وسلم » إذا فرغ من تلبيته سأل الله مغفرته ورضوانه واستعتقه من النار (رواه الطبراني وغيره) .

الدعاء :

ينبغي المحافظة على الطهارة الكاملة : واستقبال القبلة ، والاكثار من

الاستغفار والذكر والدعاء لنفسه ولغيره بما شاء من أمر الدين والدنيا ، مع الخشية ، وحضور القلب ، ورفع اليدين .

إن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : « خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » (رواه الترمذي) .

علامات وآداب الحج المبرور :

الحج المبرور ما اخلص العبد فيه لمولاه ، واستكمل أركانه وشروطه وواجبه واجتنب ما نهى عنه الشارع وأباه .. وللحج المبرور علامات وآداب قبلية وحالية وبعدية فمن علامات الحج المبرور القبلية : أن يوفق العبد قبل الشروع في السفر للتوبة ، ورد المظالم ، وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ، ورد ما عنده من الودائع ، واستصحابه من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير ، بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ، وأن يتصدق بشيء قبل خروجه ، ويلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ..

ومن علامات الحج المبرور بعد الشروع في السفر : أن يكون المتوجه لبيت الله الحرام مقيما لفرضه ، موفيا بنفله ، مراعيا لأوقاته ، ضابطا لأنفاسه ، قائما بوظائفه ، حافظا لمروءته ، صبورا على شدائد السفر ، موطنا نفسه عليها ، متجنبا موارد الندم القادح في إخلاص توجهه متوسعا في الزاد طيب النفس بالبر والانفاق من غير تقتير ولا اسراف ..

ومن علامات الحج المبرور البعدية : أن يرى الحاج تاركا لما كان عليه من المعاصي قبل حجه ، وأن يتبدل إخوانه الطالحين باخوان صالحين ، ومجالس اللهو والغفلة بمجالس الذكر واليقظة ، وأن يرى طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه ، فان ذلك من دلائل قبول حجه .

وصلى الله تعالى على محمد النبي الأمي وسلم تسليما كثيرا .



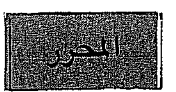
حمل البريد الينا كثيرا من رسائل الاخوة القراء على امداد الساحة العربية والإسلامية .. ونظرا لكثرة الرسائل ، فاننا نعتذر للتأخر في نشرها والرد عليها

المال الحرام ، والمطر ، والمرأة العاملة

من السودان كتبت الينا الاخت فاطمة مختار عمر .. لتستفسر عن امور ثلاثة :ـ

اولا : ما حكم الشرع في اسرة ينفق عليها عائلها من مال حرام او مختلط بالحرام وهي لا تدري بذلك ؟.

ثانيا : توصل العلماء في بعض الدول الى التحكم في الضباب والغيوم وفي منع المطر او توجيهه الى اماكن معينة باتباع طرق علمية ، فهل في هذا تعارض مع قول الله سبحانه : « والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور » ؟
ثالثا : ما رأي الشرع في المرأة العاملة وهي ليست في حاجة الى العمل ؟



ما دامت الاسرة او افرادها لا يعلمون ان ما ينفقونه قد اتى من حرام فلا وزر عليهم .. بل الاثم على رب الاسرة فقط وهو الذي اكتسب من حرام « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ، « وكل نفس بما كسبت رهينة » ، الى غير ذلك من الآيات الكريمة

التي تبين ان الاثم لا يتعدى صاحبه .
وحتى لو كان يعلم افراد الاسرة ان المال الذي ينفقه عليهم رب الاسرة هو مال جاء عن طريق حرام ، فانهم ما داموا صغارا لا يستطيعون الكسب فلا شيء عليهم ، واما اذا كان فيهم من يستطيع ان يكتسب بنفسه فعليه ان يتورع عن الحرام ، وينفق مما يكسبه من حلال .
اما استغلال العلم في الاستفادة من المطر وتوجيهه فذلك شيء لا يتعارض مع الدين ولا مع قدرة الله وعلمه ، فالله هو القادر على كل شيء ، وهو الذي يحيط علمه بكل شيء ، ولو شاء سبحانه لامسك الرياح فلا تثير السحاب ، ولا يسقط المطر ، وكل ما يجري في الكون واقع بمشيئة الله ، وما يفعله العلماء هو دليل على قدرة الله ، وانه الصانع الاول .. فكما احيا سبحانه الارض الميتة بالمطر كذلك يحيى الاموات ببعثهم من قبورهم .
واما عمل المرأة ، فهو جائز في الاسلام ، مادام عملا شريفا كريما ، يحفظ للمرأة مكانتها الاسلامية ، وبشرط ان تلتزم المرأة بتعاليم الاسلام ، فلا تبرج ، ولا خلوة بالاجنبي ، ولا كشف لما حرم الله كشفه .. وبشرط الا يشغل هذا العمل المرأة عن القيام بواجبها تجاه اسرتها ، ورعاية اولادها ، والله يوفق للخير دائما .

ردود سريعة

ـ الاخ سعد النجدي العازمي من منطقة الزراعية

يسأل : هل يجوز للفتاة ان تكشف من جسدها شيئا قليلا اثناء الصلاة في البيت مثلا اسفل الركبة او الرأس او مثلا الصدر ارجو الافادة .
ـ من شروط الصلاة عند النساء ستر العورة وعورة المرأة كافة جسدها عدا وجهها وكفيها وما ذكرته في رسالتك من كشف لبعض اجزاء الجسم يبطل الصلاة .

ـ الاخ احمد بشار بركات ـ ابو ظبي

بعث الينا بمقال ادبي يتضمن مدح الشعراء للرسول صلى الله عليه وسلم عبر العصور من القديم للحديث ويقول لنا بأنه من كتاب المقالات الادبية والدينية ويستفسر عن امكانية نشر نتاجه .
يا اخ احمد المجلة تركز اهتمامها على المواضيع الاسلامية ونحن نرحب بكل المقالات والموضوعات الاسلامية التي تردنا اذا كانت صالحة للنشر ونأمل ان يصلنا بعض نتاجك الاسلامي .



جاء في كلمة الدعوة السعودية في عدد رقم ٧٩٤ بتاريخ ٢٠/٤/١٩٨١ تحت عنوان

الى فلسطين من جديد هذا هو الطريق

نتوجه بالحديث هذه المرة الى اخوة الجهاد .. الى الصامدين أبدأ في مسرى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في القدس وفي المثلث وغزة والجولان .. وفي كل شبر وتحت كل شجرة وخلف كل حجر من ارض فلسطين الحبيبة نشد على أيديهم ، نقبل بين أعينهم ، نهنئهم ، نعم نهنئهم بالنصر والفتح القريب بمشيئة الله تعالى .

وقد كان للانباء التى تحدثت مؤخرا عن ظهور تيار اسلامي جديد في فلسطين وقع اهتزت له نفوس المؤمنين المتعطشة دوما لتحرير الأرض وتخليص المقدسات من رجس المحتلين الصهاينة .

وكانت « اسرة الجهاد » التي اثارت هلع السلطات الصهيونية والتي ظهرت في قرى المثلث الفلسطيني المحتل منذ عام ١٩٤٨م هي طليعة ذلك الزحف القادم ، فقد امتدت هذه الحركة المباركة ـ كما ورد في الانباء ـ في وقت قياسي لتشمل ثلاث مناطق مهمة من فلسطين .

- المنطقة الشمالية : وينتمي اعضاؤها الى قرية ام الفحم .
- المنطقة الوسطى : وينتمي اعضاؤها الى باقة الغربية .
- المنطقة الجنوبية : وينتسب اعضاؤها الى كفر قاسم والقرى المجاورة وعلى رأس كل منطقة من هذه المناطق قائد مسئول من أسرة الجهاد .

والحق ان مجريات القضية لا تهم المراقب الواعي كثيرا فقد تعود الاشقاء في فلسطين ان يتذوقوا العلقم على يد العدو الغاصب . ولكن ما يهمنا جميعا هو الابعاد الحقيقية لهذا الحدث الفريد وهي ذات دلالات كثيرة معبرة .

قد يكون من أهمها ان جذوة الايمان قد تخبو فترة ولكنها لا تموت أبدأ مهما طال ليل الظلم والبغي والتجهيل والتجويع ايضا .

فبمجرد ان تدوي صرخة مؤمنة سرعان ما يستعيد المسلمون كل المسلمين وعيهم الحقيقي فتسرى فيهم روح الايمان سريان البرق في الليل

البهيم وتتأجج بين حناياهم نخوة الجهاد ثم لا يكون بعد ذلك ظل لمستعمر اثيم ، او مطمع لغاصب مستبد .. وما قصة المعتصم وعمورية عنا ببعيد .

وبعد فهل يتذكر الأهل في الضفة والقطاع وفي المثلث والجولان – وهم بلا شك يتذكرون – ما كان من بلاء حسن للأباء والاجداد حين زحف جيش عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى فلسطين والشام ينشرون الاسلام والعدل والسلام وهل يتمثل اخوة الجهاد نخوة هارون والمعتصم وجهاد صلاح الدين وجيشه يوم خلص بيت المقدس من أيدي النصارى المتعصبين .

وما بالنا نوغل في التاريخ بعيدا وهذه التجربة الجزائرية ذات المليون ونصف المليون شهيد امامنا جميعا ماثلة للعيان .

اننا لا نحمل اخواننا في الدم والعقيدة على الصعب ولا نطالبهم بالمستحيل فالجهاد قدر مفروض على المسلم وهو من قبل ومن بعد الطريق الأوحد لبلوغ النصر كما لا نتنصل من مسؤولياتنا الأخوية تجاههم وتجاه المقدسات السليبة في فلسطين ، ولا نقول كما قال قوم موسى (عليه السلام) من قبل « **اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون** » ولكن نقول قاتلوا عدو الله وعدوكم فانا معكم مقاتلون .

● وفي الوقت عينه نضع ايدينا – كما كنا دائما – في أيدي الرجال المخلصين من ابناء فلسطين خارج الوطن الأم – الذين يجاهدون في كل ميدان من اجل القضية في ساحات القتال والفداء وفي المحافل الاقليمية والدولية . والشيء نفسه بالنسبة لبقية الشعب الأبي الذي تحدى مغريات التذويب والتلاشي وفضل الاقامة في المخيمات والعيش الكفاف وما هو ادنى من الكفاف املا في عودة كريمة الى ارض الاباء والاجداد .

ونعتقد بيقين ان فلسطين الجريحة في حاجة الى كل كلمة صدق وكل قذيفة بندقية ونقطة دم واننا كما روى عن سيد البشر لن نغلب لقلة عددنا بل ان الأم الفلسطينية وحدها قادرة على تعويض كل الأبطال الذين سقطوا والذين سيسقطون مستقبلا في ساحات الجهاد والفداء على تراب فلسطين حتى يأتي النصر « وما النصر الا من عند الله » .

وكلمة اخيرة لا نظن انها تغرب عن بال كل مجاهد في سبيل الله ان القضية اي قضية مهما كانت عادلة فانها تحتاج وباستمرار الى سواعد الرجال العظام للدفاع عنها وحمايتها وان التجربة الطويلة مع المنظمات والهيئات الدولية قد اعطت قناعة بأن هذه المنظمات لا تستطيع ان تنصف الا الاقوياء ايمانا وبأسا . والله يتولى الصالحين وهو الهادي سواء السبيل .

الشرق الأوسط مازال مركز الثقل الحضاري

عن جريدة اللواء الاردنية جاء تحت هذا العنوان على لسان الفيلسوف الفرنسي غارودي ما يلي :-

الاسلام منذ انطلاقته الأولى استطاع ان يوضح امكانية ايجاد طريق اصيل تماما .

انه بذلك يعتمد على دعامتين أساسيتين لكل مجتمع إنساني حقيقي ، مجتمع ذو وجه انساني والدعامتان هما التعالي والجماعة .

وأضاف ان هذه الرؤيا يجعله أن يؤكد ان بامكان الاسلام ان يلعب دورا حاسما إذا هو لم ينغلق على نفسه وعلى ذاته .

وقال علينا أن نفكر جيدا في المستقبل وعلينا أن تقف التكاليف لباهظة لاستثمارها في المجهودات العلمية والتربوية وكما قلت لبعض المسؤولين العرب ان ثمن طائرتين من طراز ماستير يكفي لاعادة بناء كل الجامعات العربية الكبرى التي وجدت في العصور الذهبية لا من اجل العودة الى الماضي المجيد فحسب وانما لاثبات فعالية التصور الاسلامي وما يمكن ان يقوله الاسلام عن طريق اصيل ومتميز ، طريق لا يشبه الرأسمالية الغربية .

واضاف ، ان امام العرب ثلاثين سنة من اجل انجاز عمل عظيم على المستوى العالمي وعندهم النفط الذي يمكنهم من القيام بذلك ، ولذلك فالعرب يتحملون مسؤولية تاريخية وعليهم عدم اضاعة هذه الفرصة ، لأن اضاعتها خسارة فادحة ليس لهم وحدهم بل للعالم اجمع .

وقال انه مقتنع بأن مركز الثقل والتحول الحضاري ما يزال في منطقة الشرق الأوسط ومنه سيبعث الاشعاع من جديد ولكنه قال ان ذلك مشروط بأن لا ينغلق الاسلام على نفسه داخل عباءة التزمت والتعصب الذي لم يكن ابدا من تقاليد الاسلام .

ان آيات القرآن لا تتضمن أي معنى للتزمت أو الانغلاق بل هي تؤكد على الانفتاح والحديث النبوي (اطلبوا العلم ولو في الصين) يحمل وحده دلالة عميقة على ما يحققه الاسلام من أهمية على الانفتاح باتجاه حضارات الاخرين .

وقد اوضح الاسلام في مراحل توسعه أنه يملك القدرة الهائلة على الاندماج والتفاعل مع أكبر الحضارات وعطاءاتها العلمية والدينية والفنية في الصين والهند وايران والباكستان وافغانستان واكثر من ذلك فان الاسلام استطاع ان يجعل هذه الحضارات وحدة متناسقة اصيلة وانسانية .

اما في المرحلة الماضية وقبل اشكالياتها يرى الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي ان مستقبل الاسلام

ليس في اعادة وتكرار ما قيل بشكل رائع وجذاب في عهد النبي ، بل علي ان يحاول ان يبدع وينمي التصور الاسلامي ومعالم طريقه الاصليـة بحسب مقتضيات العصر .

ان الاسلام الأصيل هو ان نفعل ما فعله النبي محمد في عصره وهذا يعني شق طرق جديـدة على ضوء الخطوط العريضة التي جاء بها النبي عندما اسس مجتمع المدينة .

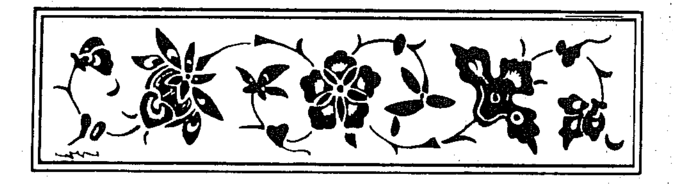
الاسلام المنتصر

نشرت جريدة اللواء الأردنية تحت هذا العنوان مقالا جاء فيه :

العالم الاسلامي يمور اليوم بالفتن والانقلابات ، والصراعات والحروب الداخلية حتى ليحسب المرء أن هذا الجزء من العالم لم يكن في يوم من الأيام دولة واحدة لها عاصمة واحدة ويحكمها خليفة واحد رغم اتساع مساحاتها وصعوبة المواصلات بين أجزائها . يوم كانت الأمة تشرب من معين فكري واحد وتتجه الى كعبة واحدة . فكانت خير أمة أخرجت للناس وكانت أقوى أمة على خارطة هذه المعمورة .. وكان أعداء الأمة أدركوا سر قوتها وسبب عظمتها وسبيل وحدتها فعملوا كل ما بوسعهم لابعادها عن هذا السر والسبب والسبيل ألا وهو الاسلام . فربوا بين ظهرانيهم وعلى أعينهم شبابا من أبناء هذه الأمة كانوا أشد فتكا بها من الجيوش الجرارة يوم ناصبوا فكر أمتهم وعقيدتها العداء وعملوا في منابعها تكديرا وتلويثا . حتى لقد نشأت على أيديهم أجيالا كان بعضها يخجل من الانتساب الى الاسلام دينا والى أرض الاسلام وطنا . وأصبح السير على نهج الاسلام سبة ورجعية ، وتأخرا وجمودا . وفي ظل غياب الاسلام عن خارطة العالم الاسلامي تمزقت الأمة شر تمزيق وحلت بها نكبات لم يعرف لها التاريخ مثيلا . لم تقتصر على احتلال الأرض ، بل تعدتها الى سلب النفوس فاستمرئت هذه النفوس الذل والهوان ، والضياع وظلت الأمة تتخبط في دياجير ظلمتها تتناوشها براثن الغزو الفكري الذي فتكت سمومه بعقول أبنائها فسلبتهم ارادتهم حتى وصل الاخفاق مداه وتجسدت الهزيمة أمة تعيش على الأرض . وهنا بدأ الضمير النائم للأمة الممزقة يصحو على واقعه ويراجع حساباته التي أثبتت أن كل الهزائم التي منيت بها هذه الأمة كانت نتيجة منطقية لابتعادها عن الاسلام : وهي الحقيقة التي أصبحت تفرض نفسها على كل الأصعدة ، على امتداد الخارطة المسلمة وبدأ الناس جميعا يعودون الى منابع أمتهم .

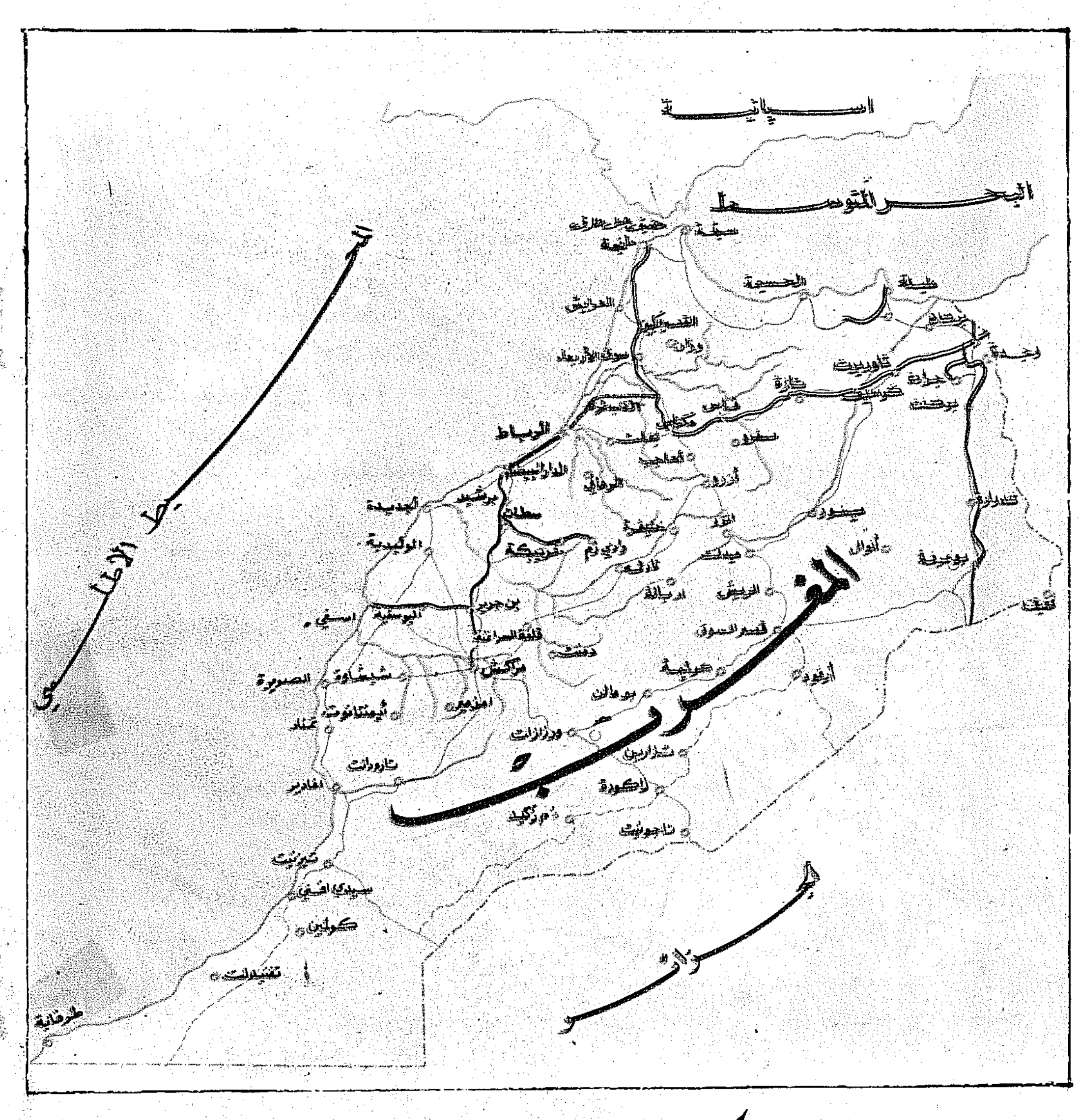
وحلت تهمة عداء الاسلام محل تهمة الرجعية والعمالة التي كانت تلصق بالبقية المسلمة . وهكذا فان الله ناصر أمره ومظهر منهاجه وها هو الاسلام يعود منتصرا . وأصبح الاقتراب منه مدعاة للفخر وتعزيزا لقواعد القيادات لأن هذه الأمة مسلمة بفطرتها مؤمنة بتكوينها فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

اقرأ في هذا العدد



المملكة المغربية (مراكش)

○ تقع في الزاوية الشمالية الغربية من قارة افريقية في موقع هام يطل على مضيق جبل طارق
○ كلمة المغرب تطلق على كل بلاد البربر الممتدة من ليبيا الى مراكش ولما نالت مراكش استقلالها اصبح اسمها (المملكة المغربية)
○ المساحة ٤٤٧,٠٠٠ كم٢ ،السكان غالبيتهم العظمى من المسلمين السنة
○ بلاد المغرب بلاد جبلية تسورها جبال الاطلس الممتدة من تونس الى المغرب ، وفي جبال الاطلس المغربية توجد اعلى قمة في العالم العربي وهي قمة طوبقال ٤١٦٥م .
والمملكة المغربية بلاد غنية زراعياً وتملك ثروات معدنية متنوعة وتتمتع بمناخ دافىء مطير
○ عاصمة المملكة المغربية (الرباط) ومن مدنها الهامة مراكش وفاس ، والدار البيضاء ومكناس
○ انتشر الاسلام في المغرب في النصف الثاني من القرن الاول الهجري وكانت المغرب نقطة الانطلاق لفتح اسبانية على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير وقد ساهم بربر المغرب جميعا في هذا الفتح
○ لما ضعفت الدولة العباسية في المشرق ظهرت على ارض المغرب دولا اسلامية متتابعة هي : الادارسة (١٧٢ ـ ٣٧٥هـ) والمرابطون (٤٤٨ ـ ٥٤١هـ) والموحدون (٥٢٤ ـ ٦٦٨هـ) وبنومرين (٥٩١هـ ـ ٩٥٧هـ) وفي عهدهم هوجمت سواحل المغرب من قبل البرتغاليين واحتلوا بعض الموانىء الساحلية مثل سبته ، وطنجه .
○ خضعت المغرب للاستعمار الفرنسي عام ١٩١٢ م وقد تنازلت فرنسا لاسبانية عن منطقة الريف المغربية الشمالية واصبحت منطقة (طنجة) دولية وقد حمل شعب المغرب السلاح دفاعاً عن دينه ووطنه وبرز في حرب الاستقلال الامير عبد الكريم الخطابي بطل منطقة الريف لكن اسبانية وفرنسا تعاونتا للقضاء عليه وقد نالت المغرب استقلالها عام ١٩٥٦م .



المملكة المغربية

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ